إهداء
إلى شيخي الفاضل وصديقي الكريم
د/ إبراهيم ...
جعلني الله وإياك من أهل القرآن، العاملين به والداعين إليه، أهل الله وخاصته، آمين
تلميذك ...
المدينة المنورة
١٤١٧/٥/١٨هـ

إلى شباب الصحوة (١)

الكلمات الحسان

فيما يعين على الحفظ، والانتفاع بالقرآن

"ويليه برنامج عملي لحفظ القرآن"

أعده وكتبه

أبو الحارث محمد بن مصطفى بن أحمد بن شعيب

نزيل المدينة النبوية المنورة

مكتبة ... المدينة المنورة ١٤٣٠هـ

مكتبة آل ياسر
للنشر والتوزيع
الجيزة - هاتف ٦٢١٨٧٦

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

الناشر

مكتبة آل ياسر

للنشر والتوزيع

الجيزة ت: ٦٢١٨٧٦

الفهـــرس

الموضوع	رقم الصفحة
المقـــــدمة	٣
الفصل الأول : فضل القرآن والحث على تلاوته	٨
المبحث الأول : فضل تدبر القرآن وتلاوته	٩
المبحث الثاني : الترغيب في سور وآيات مخصوصة	١٥
١ – سورة الفاتحة	١٥
٢– سورتي البقرة وآل عمران	١٦
٣– خواتيم سورة البقرة	١٧
٤– آية الكرسي	١٨
٥– سورة الكهف	٢٠
٦– سورة الفتح	٢٠
٧ – سورة تبارك	٢١
٨ – سورة التكوير ، والانفطار ، والانشقاق	٢١
٩ – سورة الكافرون	٢١
١٠ – المعوذات الثلاث	٢٢
الفصل الثاني : في بيان معنى الحفظ وأهميته وما يبدأ به منه	٢٤
المبحث الأول : فضل الحفظ وأهميته وشيء من فوائده	٢٥
١ – الحافظ من الذين أوتوا العلم	٢٥
٢– الحفظ سبب للنجاة	٢٦
٣– حافظ القرآن مقدم في دنياه وأخراه	٢٧
أ – في إمامة الصلاة	٢٨
ب – في المشورة والرأي	٢٨
جـ – في الدفن بعد الموت	٢٨
د – في الإمارة	٢٩

٤ – علو درجة الحافظ في الجنة ٢٩
٥– تزويج الحافظ بغير صداق إكراما له ٣٠
٦ – لا يكون الرجل عالماً إلا بالحفظ ٣٢
٧ – النبي ﷺ يأمر بالحفظ ٣٥
٨ – حفظ القرآن سبب في الذكاء وعدم النسيان ٣٦
٩ – حفظ القرآن يهدي لأحسن الخلال ٣٦
١٠ – حفظ القرآن من أعظم أسباب الفصاحة والبيان ٣٦
المبحث الثاني : بيان معنى الحفظ وسهولته ٣٨
أولاً : معنى الحفظ ٣٨
ثانياً : سهولة حفظ القرآن ٣٩
المبحث الثالث : فيما يبدأ به في الحفظ ٤٣
الفصل الثالث : ذكر بعض ما يعين على الحفظ ٤٧
١ – الإخلاص لله تعالى ٤٩
٢ – تصحيح النطق والقراءة ٥٩
المبحث الأول : تصحيح النطق والقراءة ٥٩
المبحث الثاني : من فوائد الدراسة على الشيوخ ٦٠
المبحث الثالث : أضرار الاقتصار على الكتب وحدها في الطلب ٦١
المبحث الرابع : اختيار الشيخ ٦٦
٣ – الاقتصاد والتدرج ٦٨
٤ – التكرار أساس الحفظ ٧٢
٥ – رفع الصوت والتغني بالتلاوة ٧٤
المبحث الأول : الجهر بالقراءة ٧٤
المبحث الثاني : التغني وتحسين الصوت بالتلاوة ٧٦
المبحث الثالث : الوسطية والاعتدال ٧٩
٦– العمل بما يحفظه ويتعلمه ٨٦

٧ - الفهم طريق الحفظ ٨٩
٨- المراجعة المستمرة ٩٣
المبحث الأول: أهمية المراجعة ٩٣
المبحث الثاني: مقدار ما يقرأ في اليوم والليلة ٩٦
٩ - قيام الليل بالمحفوظ من القرآن ١٠١
فضل قيام الليل ١٠١
الأسباب الميسرة لقيام الليل ١٠٦
١٠ - العناية بالمتشابه ١١٠
١١ - المداومة ولو على القليل ١١٢
١٢ - اجتناب المعاصي ١١٨
١٣ - المحافظة على رسم واحد للمصحف ١٢٣
١٤ - ذكر الله ودعاؤه ١٢٤
المبحث الأول: ذكر الله تعالى وفضله ١٢٤
الترهيب من ترك الذكر ١٢٨
المبحث الثاني: الدعاء وفضله ١٣٢
أولاً: آداب الدعاء ١٣٥
ثانياً: ما ينبعي أن يحذره الداعي ١٣٩
ثالثاً: من أوقات استجابة الدعاء ١٤٢
رابعاً: من يستجاب دعاؤهم ١٤٣
خامساً: موانع إجابة الدعاء ١٤٤
سادساً: شرب ماء زمزم مع الدعاء ١٤٧
١٥ - التسميع الدائم ١٤٩
١٦ - كتابة ما يريد حفظه ١٥٢
١٧ - تعليم الناس المحفوظ ونشره بينهم ١٥٤
١٨ - التقلل من الدنيا ١٥٨

١٩ – مراجعة سير القوم ١٦٤
٢٠ – اغتنم سني الحفظ الذهبية ١٧٩
المبحث الأول : سني الحفظ الذهبية ١٧٩
المبحث الثاني : مسئولية الشباب المسلم ١٨١
المبحث الثالث : مسئولية الآباء وأولياء الأمور ١٨٢
٢١ – إحكام الحفظ القديم قبل الإنتقال لحفظ جديد ١٨٤
٢٢ – مراعاة وقت الحفظ ومكانه ١٨٥
المبحث الأول : الوقت المناسب للحفظ ١٨٥
المبحث الثاني : المكان المناسب للحفظ ١٨٧
٢٣ – الطعام والحفظ ١٨٩
المبحث الأول : الورع وقلة الطعام مما يعين على الحفظ ١٨٩
المبحث الثاني : مأكولات تساعد على الحفظ وأخرى تسبب النسيان ١٩٣
الفصل الرابع : آداب حامل القرآن ١٩٦
الفصل الخامس : آداب تلاوة القرآن ٢٠١
الفصل السادس : التحذير من نسيان القرآن وإهماله وعدم استذكاره ٢١٨
الخاتمة ٢٢٥
برنامج عملي لحفظ القرآن ٢٢٨
من ثمرات الالتزام بهذا البرنامج ٢٣١
جدول للحفظ والمراجعة ٢٣٤
كتب ينصح بقراءتها ٢٣٧
قائمة المصادر والمراجع ٢٤١
فهرس الكتاب ٢٤٥

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ . ﴿ **ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ [آل عمران : ١٠٢].

﴿ **ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، إنّ الله كان عليكم رقيباً** ﴾ [النساء : ١].

﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يصلح لكم أعمالكم ، ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً** ﴾ .

[الأحزاب : ٧٠ ، ٧١]

أما بعد : فإن أصدق الحديث كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

وبعد : فهذه سطور سطرتها ، ومسائل حررتها ، وكلمات جمعتها ، نصيحة لنفسي أولاً ، ثم لكل مسلم أراد لنفسه النجاة ، فإنه لانجاة إلا بالعودة إلى كتاب الله تدبراً وفهماً ، وعلماً وعملاً .

قال سبحانه : ﴿ **إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ، ويبشر المؤمنين**

الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ﴾ [الإسراء : ٩] .

وماكان ينبغي للأغمار الأقزام ، والذين لم تتقلم أظفارهم في العلم بعد : أن يتطفلوا على موائد العلماء ، أو أن يكتبوا أو يصنفوا .

ولكنها كلمات أردت بجمعها مجرد النصح للمسلمين عامة ، ولطلبة العلم الشرعي خاصة ، والدافع لي على ذلك أمور منها :

١ - إعراض كثير من المسلمين عن كلام رب العالمين ، وهجرهم له بترك قراءته ، وعدم تدبرهم له ، وإعراضهم عن العمل به ، وقد قال سبحانه : **﴿ وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً ﴾** [الفرقان : ٣٠] .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : « هجر القرآن أنواع :

أحدها : هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه .

والثاني : هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه ، وإن قرأه وآمن به .

والثالث : هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه ، واعتقاد أنه لايفيد اليقين ، وأن أدلته لفظية لاتحصل العلم .

والرابع : هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه .

والخامس : هجر الاستشفاء والتداوي به ، في جميع أمراض القلوب وأدوائها ، فيطلب شفاء دائه من غيره ، ويهجر التداوي به ، وكل هذا داخل في قوله تعالى : **﴿ وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً ﴾** . وإن كان بعض

الهجر أهون من بعض » (١) أ . هـ .

ومن أنواع الهجر كذلك ، ما نراه في أيامنا هذه من الاحتفاظ بالمصاحف داخل السيارات ، وعلى أرفف المكتبات ، إما للزينة أو للبركة - زعموا - مع عدم قراءتهم فيها ، فضلاً عن العمل بها ، ومثله من يزين بآيات القرآن جدران منزله أو مسجده مع تركه للعمل به (٢).

٢ - ومنها : ذلك التخبط الذي يعيشه شباب الصحوة ، وذلك الغبش الذي أصاب الكثيرين من طلبة العلم ، حتى قدّموا كلام البشر على كلام رب البشر ، وأقبلوا على حفظ المتون في شتى الفنون ، وماحفظوا كلام الله الذي هو أساس جميع العلوم ، وما هكذا فعل السلف الصالح ، ولم يكن هذا هديهم ، ولا هذه طريقتهم في طلب العلم .

٣ - ومنها : عدم التخلق بأخلاق القرآن من كثير ممن حفظوه ، فترى منهم العُجب والرياء ، والمفاخرة والاستعلاء ، وإرادة حطام الدنيا الفاني ، ومتاعها الدنيء ، بحفظهم وتلاوتهم له ، وماهكذا كان المخلصون .

٤ - ومنها : تشوف كثير من شباب الصحوة وطلائعها ، لحفظ القرآن ، وتطلعهم إلى ذلك ، مع عدم سلوكهم الطريق الأمثل في حفظه واستذكاره ، فترى الواحد منهم متردداً في حفظه ، مشتتاً

---

(١) الفوائد - لابن القيم ص [١١٢] ط . الريان .

(٢) قال ابن قدامة المقدسي : في « مختصر منهاج القاصدين » : « من كان عنده مصحف ينبغي أن يقرأ فيه كل يوم آيات - ولو - يسيرة لئلا يكون مهجوراً » . أ . هـ ص [٦٨] ط دار الفيحاء .

في فهمه واستيعابه ، متحيراً في طريقة حفظه ومراجعته ، فتارة يقبل على الحفظ بجد ونشاط ، وتارة يُصاب بالفتور والإحباط ، وتارة يعتريه ملل وضجر وقد يتأخر القهقرى بسببه ، وربما ترك الحفظ جملة بعدما بدأ فيه .

لهذه الأمور وغيرها : استعنت الله على جمع هذه الكلمات ، وتنسيق هذه الجمل والعبارات ، وأحوج الناس إليها كاتبها ولكن كما قيل : « لو كان المرء لايأمر بالمعروف ولاينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ، ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر »[(1)] .

وقسمت هذا البحث إلى مقدمة وستة فصول وخاتمة ، فبينت في المقدمة أهمية الموضوع والدافع لي على اختياره والكتابة فيه .

وفي الفصل الأول : تحدثت عن فضل القرآن والحث على تلاوته وتدبره مع الترغيب في بعض سور وآيات مخصوصة .

وفي الفصل الثاني : بينت ماهية الحفظ مع ذكر بعض فوائده وفضائله وما الذي يبدأ به في الحفظ .

وفي الفصل الثالث : بينت بعض الأمور التي تعين طالب العلم على الحفظ وذكرت ثلاثاً وعشرين قاعدة تساعد على الحفظ والاستيعاب .

وفي ثنايا هذه القواعد ذكرت فوائد ولطائف يحسن بطالب العلم

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره عن مالك عن ربيعة بن عبدالرحمن عن سعيد بن جبير به . . قال مالك : وصدق ، من ذا الذي ليس فيه شيء ! . ولما قال الحسن البصري لمطرف بن عبدالله : عظ أصحابك ؛ فقال إني أخاف أن أقول ما لا أفعل ؛ قال : يرحمك الله ! وأينا يفعل مايقول ! ويود الشيطان أنه قد ظفر بهذا ، فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر . أ.هـ
وانظر تفسير القرطبي [١/ ٣٦٧] الطبعة الثالثة دار الكاتب العربي .
وقد أحسن من قال : فلو لم يعظ في الناس من هو مذنب فمن يعظ العاصين بعد الرسل

مطالعتها والإفادة منها .

وفي الفصل الرابع والخامس : بينت ماينبغي أن يكون عليه حامل القرآن من الأخلاق الفاضلة والآداب الرفيعة وكذا آداب تلاوة القرآن وماينبغي على القارئ مراعاته في أثنائها .

وفي الفصل السادس : ذكرت بعض ماورد في التحذير من نسيان القرآن وبينت خطورة إهماله وعدم تعهده بالتلاوة والمراجعة .

وفي خاتمة هذا البحث : وضعت برنامجاً عملياً لحفظ القرآن يشتمل على تطبيق لبعض القواعد المذكورة في ثنايا هذا البحث .

والله أسأل ، أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به كاتبه وقارئه وناشره ، وأن يضع له القبول في الأرض وأن يدخر ثوابه وأجره لي عنده في السماء . آمين .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

وكتبه أبو الحارث

محمد بن مصطفى بن أحمد بن شعيب

نزيل المدينة النبوية المنورة .

الفصل الأول[1]

فضل القرآن والحث على تلاوته

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : فضل تدبر القرآن وتلاوته

المبحث الثاني : الترغيب في سور وآيات مخصوصة

---

(١) انظر في هذا الفصل :

١ - « الترغيب والترهيب » للإمام المنذري .

٢ - « رياض الصالحين » للإمام النووي .

٣ - « فضائل القرآن » للإمام ابن كثير .

٤ - « صحيح البخاري مع الفتح » [٨/ ٦١٩ - ٧٢٢] كتاب فضائل القرآن

٥ - « شرح السنة » للإمام البغوي . ط المكتب الإسلامي [٤/ ٤٢٥ - ٥٢٩]

المبحث الأول : فضل تدبر القرآن وتلاوته

قال الله تعالى : ﴿ **لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون** ﴾ [الأنبياء : ١٠] قال عبدالله بن عباس : فيه شرفكم (١).

وقال تعالى : ﴿ **إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة ، وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ، ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ، إنه غفور شكور** ﴾ [فاطر : ٢٩].

وأي تجارة أعظم من تلك التجارة ، وأي ربح أعظم من ذلك الربح . . قال قتادة : كان مطرف بن عبدالله إذا قرأ هذه الآية يقول : هذه آية القراء(٢).

وقال تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه** ﴾ [المائدة : ٤٨].

قال عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - : « المهيمن : الأمين القرآن أمين على كل كتاب » .

وقال سبحانه : ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾[يونس ٥٨].

قال عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - : « فضل الله الإسلام ، ورحمته أن جعلكم من أهل القرآن » .

وقال جل وعلا : ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** ﴾
[الإسراء : ٨٢]

وقال جل شأنه : ﴿ **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين** ﴾ [المائدة : ١٥]

١ - وعن أبي أمامة رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اقرؤا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » (٣).

---

(١) « تفسير ابن كثير » [٣/ ١٧٠] ط مكتبة العلوم والحكم .
(٢) « تفسير ابن كثير » [٣/ ٥٣٢] .
(٣) رواه مسلم [٨٠٤] صلاة المسافرين ، وأحمد [٥/ ٢٤٩] .

٢ - وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعني فيه ، قال : فيشفعان »(١).

ومن كان شفيعه القرآن ، فهو إن شاء الله من أهل الجنان ، الناجين برحمة الله وفضله من النيران ، والمنعمين في الجنة بالقرب من ربهم والرضوان .

٣ - وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «خيركم من تعلم القرآن وعلمه »(٢).

٤ - وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ، ويتتعتع فيه ، وهو عليه شاق ، له أجران » وفي رواية « مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة . . . الحديث »(٣).

وهل يريد قارئ القرآن شيئاً أكثر من هذا ، إن كان ممن تعلموا القرآن وعلّموه غيرهم ، فهو من خيار الناس ، بل : هو خيرهم وإن كان من المتقنين لتلاوته ، المجيدين لقراءته ، فهو في نعيم الجنات ، مع الملائكة السفرة الكرام البررة .

وإن كان من المبتدئين في تلاوته ، والمتعلمين لقراءته ، ويتردد في حروفه وكلماته ، ويشق عليه بثقل لسانه في نطق آياته ، فله أجران ، أجر على قراءته ، وأجر لصبره على مشقة القراءة والتعتعة حتى يتعلم ، فهو في جميع أحواله من الفائزين المفلحين .

---

(١) رواه أحمد في المسند [١٠ / ١١٨] رقم [٦٦٢٦] وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح . وقال في « مجمع الزوائد » [٣ / ١٨١] : رجاله رجال الصحيح .

(٢) رواه البخاري [٥٠٢٧] ، وأبو داود [١٤٥٢] ، والترمذي [٢٩٠٩] وغيرهم .

(٣) البخاري [٤٩٣٧] ، ومسلم [٧٩٨] ورواه الترمذي [٢٩٠٦] وأبو داود [١٤٥٤] .

٥ – وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن ، مثل الأترجة [١] ريحها طيب ، وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لايقرأ القرآن ، كمثل التمرة ، لاريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن ، مثل الريحانة ، ريحها طيب ، وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لايقرأ القرآن ، كمثل الحنظلة ، ليس لها ريح وطعمها مر » [٢].

٦ – وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ، بل ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » [٣].

٧ – وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « يقال لصاحب القرآن ، اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها » [٤].

فيالسعادة المكثرين ، من التلاوة لكتاب الله رب العالمين ، والحفظ لآياته وسوره ، فدرجاتهم في الجنان عالية ، وحسناتهم عند ربهم كثيرة ومتنامية .

ويالخسارة المقلين ، وقد تخلفوا عن ركب السابقين المقربين ، وتحسروا على تفريطهم في تلاوة القرآن ، وحفظ كلام ربهم الرحمن ، وندموا حيث لاينفعهم ندم .

٨ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا

---

(١) الأترجة : فاكهة ذات رائحة طيبة .

(٢) البخاري [٥٠٢٠] ، مسلم [٧٩٧] صلاة المسافرين ، والترمذي [٢٨٦٩] في الأمثال ، وأبو داود [٤٨٣٠] في الأدب . وغيرهم .

(٣) رواه الترمذي رقم [٢٩١٢] في ثواب القرآن وقال : حديث حسن صحيح . والدرامي [١١ ٣٣] فضائل القرآن وصححه الألباني في صحيح الجامع [٦٣٤٥] .

(٤) أبو داود [١٤٦٤] في الصلاة ، والترمذي [٢٩١٥] ثواب القرآن ، وأحمد [٢/ ١٩٢] وانظر « صحيح الجامع » رقم [٨١٢٢] ، و« صحيح أبي داود » [١٧ ١٣.] .

نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده »(١).

٩ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لا حسد إلا في اثنتين ، رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار ، فسمعه جار له فقال : ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان ، فعملت مثل مايعمل ، ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق ، فقال رجل : ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل مايعمل »(٢).

والحسد المعني في الحديث : هو الغبطة وهي أن تتمنى مثل ما للمحسود من النعم التي وهبها الله له دون أن تتمنى زوالها ، فأما تمنى زوال النعمة عن المحسود فهذا قبيح مذموم ، شرعاً وعقلاً .

١٠- وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة ، فقال : « أيكم يغدو إلى بطحان العقيق ، أو إلى العقيق ، فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم أو قطيعة رحم . فقلنا : يارسول الله نحب ذلك . قال : أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد ، فيتعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين ، وثلاث خير من ثلاث ، وأربع خير من أربع ، ومن أعدادهن من الإبل »(٣). وقوله : « أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم . . » فيه إشارة إلى أن جو المسجد أنسب للتعلم والحفظ من غيره مع مافي

---

(١) رواه مسلم [٢٧٠١] وأبو داود [١٤٥٥] وأحمد [٢/ ٢٥٢ ، ٤٠٧ ، ٤٤٧] .

(٢) وروى عن ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهما مثله وانظر : البخاري [٥٠٢٥] ، [١٤٠٩] ومسلم [٨١٥ ، ٨١٦] والترمذي [١٩٣٧] باب ماجاء في الحسد .

(٣) رواه مسلم [٨٠٣] وأبو داود [١٤٥٦] . وكوماوين : الكوماء من الإبل : عظيمة السنام طويلته . وانظر : لسان العرب : [١٢/ ٥٢٩] .

المكث فيه من الأجر والثواب .

١١ - وعن بريدة أن النبي ﷺ قال : « إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره ، كالرجل الشاحب . فيقول : هل تعرفني ؟ فيقول : ما أعرفك . فيقول : أنا صاحبك القرآن ، الذي أظمأتك في الهواجر ، وأسهرت ليلك ، وإن كل تاجر وراء تجارته ، وإني لك اليوم من وراء كل تجارة .

فيعطى الملك بيمينه ، والخلد بشماله ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، ويكسى والداه حلتين لاتقوم لهما الدنيا ، فيقولان : بم كسينا هذا ؟ فيقال : بأخذ ولدكما القرآن ، ثم يقال : اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها ، فهو في صعود ماكان يقرأ ، هذا كان أو ترتيلا »(١).

١٢ - وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن لله أهلين من الناس . قيل : من هم يارسول الله ؟ قال : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » (٢).

١٣ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من سره أن يحبه الله ورسوله فليقرأ من المصحف »(٣) .

ولأجل هذه النصوص وغيرها : اشتدت عناية السلف الصالح بكتاب الله عزوجل ، تلاوة وحفظاً ، وتدريساً وعملاً . وكانوا

---

(١) رواه أحمد [٥/٣٤٨] والدارمي [٢/ ٤٥٠] وفيه بشر بن المهاجر ، وهو ضعيف .

(٢) رواه أحمد وابن ماجه والدارمي والحاكم . وانظر « صحيح الجامع » [٢١٦٥]

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » ، والبيهقي في « الشعب » وانظر « صحيح الجامع » [٦٢٨٩] ، و« الصحيحة » [٢٣٤٢] .

ينصحون بالإقبال على هذا القرآن ، وعدم الانشغال عنه بغيره ، ومن أقوالهم في هذا (١) :

قال خباب رضي الله عنه : تقرّب إلى الله ما استطعت ، فإنك لن تتقرب إلى الله بشيء أحب إليه من كلامه .

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه : لو طهرت قلوبكم ماشبعت من كلام ربكم .

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : من أحب القرآن فقد أحب الله ، فإنما القرآن كلام الله .

وقال عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : « إن من أشراط الساعة أن يُبسط القول ، ويُخزن الفعل ، ويُرفع الأشرار ، ويُوضع الأخيار ، وأن تُقرأ المثناة على رؤوس الناس لاتغير . قيل : وما المثناة ؟ قال : ما استكتب من غير كتاب الله . قيل له : فكيف بما جاء من حديث رسول الله ﷺ ؟ فقال : ما أخذتموه عمن تأمنونه على نفسه ودينه فاعقلوه ، وعليكم بالقرآن فتعلموه ، وعلموه أبناءكم ، فإنكم عنه تسألون وبه تجزون ، وكفى به واعظاً لمن عقل » . (٢)

وقيل لمحمد بن سعيد : ماهذا الترديد في القرآن للقصص ؟ فقال : ليكون لمن قرأ ما تيسر منه حظ في الاعتبار .

---

(١) انظر « البحر الرائق في الزهد والرقائق » ص [١٠٤] ط . دار البخاري .

(٢) انظر مقدمة كتاب « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز » ط دار الكتب العلمية - للإمام أبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي [ت : ٥٤٦ هـ].

وعن عبدالحميد الحماني[1] قال : سألت سفيان الثوري عن الرجل يغزو أحب إليك أو يقرأ القرآن ؟ فقال : يقرأ القرآن ، لأن النبي ﷺ قال : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » .

ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي رحمه الله في المسجد وبين يديه المصحف ، فقال له الشافعي : شغلكم الفقه عن القرآن ، إني لأصلي العتمة ، وأضع المصحف بين يدي ، فما أطبقه حتى الصبح [2] .

وقال بعض السلف لأحد طلابه : أتحفظ القرآن ؟ قال : لا . قال : واغوثاه لمؤمن لا يحفظ القرآن ! فبم يترنم ! فبم يتنعم ! فبم يناجي ربه تعالى ؟! .

المبحث الثاني : الترغيب في سور وآيات مخصوصة

١ - سورة الفاتحة :

عن أبي سعيد رافع بن المعلى رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : « ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد ؟ فأخذ بيدي ، فلما أردنا أن نخرج قلت : يارسول الله : إنك قلت : لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قال : الحمد لله رب العالمين ، هي السبع المثاني ، والقرآن العظيم الذي أوتيته » [3] .

---

(١) هو عبدالحميد بن عبدالرحمن الحماني ، أبو يحيى الكوفي ، قال الحافظ في التقريب : صدوق يخطىء : ورمي بالإرجاء ، [ت ٢٠٢ هـ] . روى له البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه والترمذي .

(٢) « البرهان في علوم القرآن » للزركشي [١/ ٤٦٢] ط . دار التراث .

(٣) البخاري [٥٠٠٦] فضائل القرآن . باب فضل فاتحة الكتاب .

و « المثاني » جمع مثناة : إما من التثنية لأنها تثنى في كل ركعة من الصلاة ، أو لاشتمالها على قسمين ثناء ودعاء ، أو لاشتمالها على فصاحة البيان وبلاغة المعاني ، أو لأنها تثنى على مرور الزمان وتتكرر فلا تنقطع ، وتدرس فلا تندرس . وإما من الثناء لاشتمالها على الثناء على الله وتمجيده بأسمائه وصفاته . والله أعلم .

وقوله « والقرآن العظيم الذي أوتيته » أي : وهي المسماة بذلك ، لأنها اشتملت على مقاصد القرآن الكريم كله ، ولذا سميت بأم القرآن .

قال الحسن البصري : « إن الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن ، ثم أودع علومه في الفاتحة ، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسيره » .

والفاتحة قد اشتملت على أمور منها :

الثناء على الله عزوجل بأسمائه وصفاته ، وتقرير أنواع التوحيد الثلاثة ، والترغيب والترهيب ، وفيها حصر العبادة لله وحده فلا يعبد إلا إياه ، وقصر الاستعانة عليه فلا يستعان إلا به ، وفيها إثبات القيامة والمعاد ، وفيها توجيه للعباد أن يلجأوا إلى الله على الدوام ، وأن يسألوه الهداية والاستقامة ، وأن يسلك بهم سبيل من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وأن يباعد بينهم وبين سبيل المغضوب عليهم اليهود ، والضالين النصارى . فما أعظمها من سورة .

٢ - سورتي البقرة وآل عمران :

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « . . . اقرءوا الزهراوين ، البقرة وسورة آل عمران ، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان ، أو كأنهما فرقان من طير صواف ، تحاجان عن أصحابهما ، اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها

بركة ، وتركها حسرة ، ولاتستطيعها البطلة » قال معاوية بن سلام ، بلغني أن البطلة السحرة .(١)

وعنه أن النبي ﷺ قال : « اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب ، في ثلاث سور من القرآن ، في البقرة ، وآل عمران ، وطه » (٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «لاتجعلوا بيوتكم مقابر ، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة » (٣) .

٣ - خواتيم سورة البقرة :

عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه » (٤) .

قيل : كفتاه عن المكروه تلك الليلة ، وقيل : كفتاه عن قيام الليل ، وقيل : كفتاه عما ورد من الأدعية الكثيرة ، لأن الدعاء بما فيهما متكفل لخيري الدنيا والآخرة . وقيل غير ذلك .

---

(١) رواه مسلم [٨٠٤] .

وقوله : « الزهراوين » قال الإمام النووي رحمه الله : سميتا بذلك لنورهما وهدايتهما ، وعظيم أجرهما » أ. هـ .

وقوله : « لاتستطيعها البطلة » قيل : لاتستطيع قراءتها . ، وقيل لاتستطيع النفاذ إلى قارئها و « الغيايتان » مثنى غياية وهي كل شئ أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة والغاشية ونحوهما . و « فرقان » أي قطعتان .

والمعنى : أن ثوابهما يظله يوم القيامة كأنه غمامتان أو كقطيع الطير وجماعته .

(٢) رواه ابن ماجه والطبراني في الكبير والحاكم . وصححه الألباني . انظر « صحيح الجامع » [٩٧٩] ، والصحيحة [٧٤٦] .

(٣) رواه مسلم [٩٧٩] والترمذي [٢٨٨٠] .

(٤) رواه البخاري [٥٠٠٨ ، ٥٠٠٩] ومسلم [٨٠٨] وأبو داود [١٣٩٧] والترمذي [٢٨٨٤] .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : « ماكنت أرى أحداً يعقل -دخل الإسلام - ينام حتى يقرأ آية الكرسي والثلاث الأواخر من سورة البقرة » (١).

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال : « بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه ، فرفع رأسه فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم ولم يفتح قط إلا اليوم ، فنزل منه ملك . فقال : هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال : أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك ، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته » (٢).

والنقيض : هو الصوت . والباء في قوله : « لن تقرأ بحرف » للاستعانة . والمعنى : لن تقرأ مستعيناً بحرف منهما على قضاء حاجة لك أو غرض معين إلا أعطيته .

٤- آية الكرسي :

عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة ، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت » (٣).

---

(١) قال الإمام النووي رحمه الله : رواه ابن أبي داود بإسناده عن علي -رضي الله عنه - وانظر : « التبيان في آداب حملة القرآن » ص [١٨١] . ط مكتبة المؤيد .

(٢) رواه مسلم [٨٠٦] والنسائي [٢/ ١٣٨] .

(٣) قال المنذري في الترغيب : رواه النسائي والطبراني بأسانيد أحدها صحيح ، وقال شيخنا أبو الحسن : هو على شرط البخاري . ورواه ابن حبان في كتاب الصلاة وصححه . أ.هـ . ورواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » [١٢٤] وصححه الألباني في « الصحيحة » [٩٧٢] وانظر : « صحيح الجامع » [٦٤٦٤] و« المشكاة » [٩٧٤]

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه لما كان عاملاً على الصدقة وجاء الشيطان يحثو منها وأمسك به في الثالثة ليرده إلى النبي ﷺ قال له الشيطان : « إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي : ﴿ **الله لا إله إلا هو الحي القيوم** ﴾ حتى تختمها ، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح » فلما أخبر النبي ﷺ بذلك قال : «صدقك وهو كذوب » (١) .

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أبا المنذر ، أتدري أي آية في كتاب الله معك أعظم ؟ قلت : ﴿ **الله لا إله إلا هو الحي القيوم** ﴾ ، فضرب في صدري وقال : ليهنك العلم أبا المنذر » (٢) .

قال الإمام النووي في «شرح مسلم» : « وفيه منفعة عظيمة ، ودليل على كثرة علمه ، وفيه تبجيل العالم لفضلاء أصحابه ، وجواز مدح الإنسان في وجهه إذا كان في مصلحة ، ولم يخف عليه الإعجاب ونحوه لكمال نفسه ورسوخه في التقوى » (٣) .

---

(١) رواه البخاري [٥٠١٠] كتاب فضائل القرآن ، باب فضل سورة البقرة وهو هنا مختصر بمعناه .

(٢) رواه مسلم [٨١٠] . ما أروع أخلاق النبي ﷺ وما أجمل شمائله ، وما أحوجنا إلى التمثل بها ، والسير على منوالها ، ومشابهته فيها ، ما أحوجنا إلى أن نتحلى – على الأقل – بروح الإنصاف ، وأن لا نتعالى على غيرنا ، وأن نعترف لأهل الفضل بالفضل ، وأن لا نبخس الناس حقوقهم وأن لا نتهم غيرنا في قصده ونيته ؛ لأجل كلمة قالها أو عبارة تلفظ بها لها في الخير ألف محمل ، ثم لا نحملها إلا على السوء والشر فالله المستعان .

(٣) شرح مسلم للنووي [٦/ ٩٥] .

٥- سورة الكهف :

عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ، « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال » وفي رواية «من آخر سورة الكهف » (١) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً « من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق » وفي رواية «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة ، أضاء له من النور ما بين الجمعتين » (٢) .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : « كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين ، فتغشته سحابة ، فجعلت تدنو وتدنو ، وجعل فرسه ينفر ، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر له ذلك فقال : « تلك السكينة تنزلت بالقرآن » (٣).

٦- سورة الفتح :

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لقد أنزلت علي سورة ، لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس . ثم قرأ ﴿ **إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً** ﴾» (٤) .

---

(١) رواه مسلم [٨٠٩] وأبو داود [٤٣٢٣] والترمذي [٢٨٨٨] .

(٢) رواه الدارمي [٣٤١٠] في فضائل القرآن . ورواه البيهقي والحاكم وصححه الألباني في «الإرواء » [٦٢٦] وانظر : « صحيح الجامع » [٦٤٧٠ - ٦٤٧١]
وقال الشافعي في الأم : « ويستحب أن يقرأ سورة الكهف ليلة الجمعة » واستدل بحديث أبي سعيد المذكور .

(٣) رواه البخاري [٥٠١١] كتاب فضائل القرآن . باب فضل سورة الكهف .

(٤) رواه البخاري [٥٠١٢] . باب فضل سورة الفتح .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « لقد أنزلت على آية هي أحب إلي من الدنيا جميعاً ﴿ **إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً** ﴾ »(١).

٧ – سورة تبارك :

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من القرآن سورة ثلاثون آية ، شفعت في صاحبها حتى غفر له ، وهي : ﴿ **تبارك الذي بيده الملك** ﴾ »(٢).

وعن جابر رضي الله عنه قال : « كان النبي ﷺ لاينام حتى يقرأ ألم ﴿**السجدة**﴾ و ﴿ **تبارك الذي بيده الملك** ﴾ »(٣).

٨ – سور : « التكوير ، الانفطار ، الانشقاق » :

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين ، فليقرأ : ﴿ **إذا الشمس كورت** ﴾ ، و ﴿ **إذا السماء انفطرت** ﴾ ، و ﴿ **إذا السماء انشقت** ﴾ »(٤).

٩ – سورة الكافرون :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من قرأ ﴿ **قل يأيها الكافرون** ﴾ عدلت له بربع القرآن »(٥).

---

(١) رواه مسلم [١٧٨٦] .
(٢) رواه أبو داود [١٤٠٠] والترمذي [٢٨٩٣] وقال : حديث حسن . وصححه ابن حبان [١٧٦٦] والحاكم [٢/ ٤٩٧ – ٤٩٨] ووافقه الذهبي .
(٣) رواه أحمد والترمذي والنسائي والحاكم وصححه الألباني في « صحيح الجامع » [٤٨٧٣] .
(٤) رواه أحمد والترمذي والحاكم وصححه الألباني . وانظر : « الصحيحة » [١٠٨١] ، «وصحيح الجامع » [٦٢٩٣] .
(٥) رواه الترمذي . وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » [٦٤٦٦] .

١٠ - المعوذات الثلاث :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في سورة الإخلاص : « والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن » .

وفي رواية « أيعجز أحدكم أن يقرأ بثلث القرآن في ليلة ؟ فشق عليهم ذلك . وقالوا : أينا يطيق ذلك يارسول الله ؟ فقال : ﴿ **قل هو الله أحد الله الصمد** ﴾ . . ثلث القرآن » (١) .

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط ' ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾ ، و ﴿**قل أعوذ برب الناس** ﴾ » (٣).

وعن أنس بن مالك رضي اله عنه أن رجلاً قال يارسول الله إني أحب هذه السورة ﴿**قل هو الله أحد** ﴾ . فقال ﷺ : « إن حبها أدخلك الجنة » وفي رواية « إن حبك إياها » (٣) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان ، حتى نزلت المعوذتان ، فلما نزلت أخذ بهما وترك ماسواهما » (٤) .

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : « أمرني رسول الله ﷺ أن

---

(١) رواه البخاري [٥٠١٣ ، ٥٠١٤ ، ٥٠١٥] ، وأبو داود [١٤٥٨] ، والنسائي [٢/ ١٣٩] ومثله عند مسلم من حديث أبي الدرداء مرفوعاً .

(٢) رواه مسلم [٨١٤] وأبو داود [١٤٦٢] والترمذي [٢٩٠٤] والنسائي [٢/ ١٥٨] .

(٣) رواه الترمذي [٢٩٠٣] وقال : حديث حسن . وهو عند البخاري تعليقاً .

(٤) رواه الترمذي [٢٠٥٩] وقال : حديث حسن ، وابن ماجه [٣٥١١] .

أقرأ المعوذتين ، دبر كل صلاة »(١) .

وعن معاذ مرفوعاً : « من قرأ ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ عشر مرات بنى الله له بيتاً في الجنة »(٢) .

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقرأ كل ليلة « قل هو الله أحد والمعوذتين » يجمع كفيه وينفث فيهما ويقرأ ثم يمسح بهما وجهه وما استطاع من جسده ، ويفعل ذلك ثلاث مرات »(٣) .

وعن إبراهيم النخعي رحمه الله قال : « كانوا يستحبون أن يقرؤا هؤلاء السور في كل ليلة ثلاث مرات « قل هو الله أحد ، والمعوذتين » قال الإمام النووي في « التبيان » : إسناده صحيح على شرط مسلم .

---

(١) رواه أبو داود [١٥٢٣] والترمذي [٢٩٠٥] والنسائي [٣/ ٦٨] وأحمد [٤/ ٢٠١] وهو حديث صحيح .

(٢) رواه أحمد وصححه الألباني في «صحيح الجامع » [٦٤٧٢] .

(٣) رواه البخاري [٥٠١٦ - ٥٠١٧] ومسلم [٢١٩٢] والترمذي [٣٣٩٩] وابن ماجه [٣٥٢٩] وهو هنا بمعناه . وفي «صحيح الجامع » [٤٨٧٤] و« الصحيحة » [٦٤١] من حديث عائشة رضي الله عنها [أن النبي ﷺ كان لاينام حتى يقرأ « الزمر » و« بني إسرائيل »] أي الإسراء .

الفصل الثاني

في بيان فضل الحفظ وأهميته ومايبدأ به منه

وفيه مباحث ثلاثة :

المبحث الأول : في فضل الحفظ وأهميته وشيء من فوائده .

المبحث الثاني : في بيان معنى الحفظ وسهولته .

المبحث الثالث : في مايبدأ به في الحفظ .

المبحث الأول :

فضل الحفظ وأهميته وشئ من فوائده

إن حفظ القرآن من أجل القربات ، وأفضل الطاعات ، وبه ينال العبد رضا رب الأرض والسموات ، وكذلك حفظ علوم الشرع من سنة النبي ﷺ ، وأقوال أهل العلم الموضحة لمعاني نصوص الوحيين الكريمين ، وهأنذا : أسرد لك بعض فوائد الحفظ وفضائله ، ليكون ذلك باعثاً للهمم ، ومقوياً للعزائم ، فتقبل على كلام الله ، وسنة رسوله ﷺ ، بجد واجتهاد ، وصبر وثبات ، حفظاً ودراسة ، وفهماً وعملا :

١) الحافظ من الذين أوتوا العلم :

قال سبحانه : ﴿ **وماكنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون ، بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ، ومايجحد بآياتنا إلا الظالمون** ﴾[العنكبوت : ٤٨ - ٤٩] .

ويكفي الحافظ لكتاب الله تعالى عزاً وشرفاً ، أن يوصف بهذا الوصف ، وأن ينال تلك المنزلة والمكانة .

قال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي في تفسيره : «﴿ **بل هو**﴾أي : هذا القرآن ﴿ **آيات بينات** ﴾ لاخفيات . ﴿ **في صدور الذين أوتوا العلم**﴾ هم : سادة الخلق وعقلاؤهم ، وألو الألباب منهم ، والكمل منهم . فإذا كان آيات بينات في صدور أمثال هؤلاء ، كانوا حجة على غيرهم » . أ . هـ[١] .

---

(١) « تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان »[٦/ ٩٦] . ط . الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء .

وقال الحافظ ابن كثير : « أي : هذا القرآن آيات بينة واضحة في الدلالة على الحق أمراً ونهياً وخبراً يحفظه العلماء ، يسره الله عليهم حفظاً وتلاوة وتفسيراً »[1] أ . هـ .

وآيات الله عزوجل محفوظة كما قال سبحانه : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ [الحجر : ٩].

ومن أسباب حفظها ، صدور الذين أوتوا العلم ، وكفى بهذا شرفاً وفضلاً لمن حفظ القرآن والسنة ، فإنه من أسباب حفظ الدين ، ووسائل حفظ الشريعة .

٢) الحفظ سبب للنجاة :

عن أبي الدرداء مرفوعاً « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف [وفي رواية « من آخر سورة الكهف »] عصم من الدجال »[2] .

فإذا كان هذا الفضل والثواب ، وهذا العطاء والجزاء ، وهو العصمة من أكبر فتنة على ظهر الأرض منذ خلق آدم وإلى قيام الساعة ، ألا وهي فتنة الدجال ، فإذا كان المسلم ناجياً من فتنة الدجال بحفظه عشر آيات من سورة الكهف ، أولها أو آخرها ، فكيف بمن حفظ كتاب الله كله ، لاشك أن ثوابه عند الله أعظم ، وأجره عند ربه أوسع وأعم .

قال الشافعي رحمه الله : « من حفظ القرآن عظمت قيمته ، ومن طلب الفقه نبل قدره ، ومن كتب الحديث قويت حجته ، ومن نظر في

(١) تفسير ابن كثير [٣/ ٤٠٣] ط مكتبة العلوم والحكم .

(٢) تقدم تخريجه . وأخرج ابن أبي داود بإسناد صحيح عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : «اقرؤا القرآن ولاتغرنكم هذه المصاحف المعلقة ، فإن الله لايعذب قلباً وعى القرآن » « فتح الباري » [٨/ ٦٩٧] .

النحو رق طبعه ، ومن لم يصن نفسه لم يصنه العلم » (١) .

٣) حافظ القرآن مقدم في دنياه وأخراه :

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ، ويضع به آخرين » (٢) .

وممن رفعهم الله بالقرآن كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : عبد الرحمن بن أبزى الخزاعي - رضي الله عنه - وهو من أواخر صغار الصحابة وكان مولى لنافع بن عبد الحارث ، وكان نافع مولاه استنابه على مكة حين تلقى عمر بن الخطاب إلى عسفان ، فقال له : من استخلفت على أهل الوادي ؟ - يعني مكة - قال : ابن أبزى . قال : ومن ابن أبزى ؟ قال : إنه عالم بالفرائض قارئ لكتاب الله . قال عمر : أما إن نبيكم ﷺ قال : « إن هذا القرآن يرفع الله به أقواماً ويضع به آخرين » . (٣)

وهذا أبو العالية رفيع بن مهران - رحمه الله - وهو إمام مقرئ حافظ مسند - وكان مولى لامرأة - يقول : « كان ابن عباس يرفعني على السرير وقريش أسفل السرير ، فتغامزت بي قريش ، فقال ابن عباس : « هكذا العلم يزيد الشريف شرفاً ، ويجلس المملوك على الأسرة » .

قال الإمام الذهبي : هذا كان سرير دار الإمرة لما كان ابن عباس متوليها لعلي رضي الله عنهما . (٤)

---

(١) « جامع بيان العلم وفضله » . ص [٤٦٤ ، ٤٦٥] .
(٢) رواه مسلم [٨١٧] والدارمي [٣٣١٨] وابن ماجه [٢١٨] .
(٣) انظر : « نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء » [١ / ٢٥٣] ط دار الأندلس . وانظر : «صحيح مسلم » [٨١٧] باب [فضل من يقوم بالقرآن . . .]
(٤) « نزهة الفضلاء » [١ / ٣٦٦ ، ٣٦٧] .

ومن المواطن التي يقدم فيها حافظ القرآن على غيره مايلي :

أ - في إمامة الصلاة :

عن أبي مسعود البدري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله تعالى . . . الحديث » (١) .

فالأقرأ لكتاب الله تعالى هو المقدم في إمامة الصلاة ، وإن كان صبياً مميزاً ، فعن عمرو بن سلمة رضي الله عنه قال : « لما كانت وقعة الفتح ، بادر كل قوم بإسلامهم ، وبادر أبي قومي بإسلامهم ، فلما قدم قال : جئتكم من عند النبي ﷺ حقاً . فقال : صلوا صلاة كذا في حين كذا ، وصلاة كذا في حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة ، فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآناً ، فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنا مني ، فقدموني بين أيديهم ، وأنا ابن ست أو سبع سنين . . . . الحديث » (٢)

ب - في المشورة والرأي :

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته ، كهولاً كانوا أو شباناً » (٣) .

جـ - في الدفن بعد الموت :

عن جابر رضي الله عنه « أن النبي ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد ، ثم يقول : أيهما أكثر أخذاً للقرآن ، فإن أشير إلى

---

(١) رواه مسلم [٦٧٣] والترمذي [٢٣٥] ، [٧٧٣] وأبو داود [٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤] والنسائي [٧٦/٢ - ٧٧] وأحمد [١١٨/٤ ، ١٢١] .

(٢) رواه البخاري [٤٣٠٢] وأبو داود [٥٨٥] ، والنسائي [٢/ ٨٠ -٨١] وانظر « الفتح » [٦١٦/٧ ، ٦١٨] ، و « شرح السنة » [٤٠١/٣ ، ٤٠٢] .

(٣) رواه البخاري [٤٦٤٢] ، [٧٢٨٦] .

أحدهما قدمه في اللحد »(١) .

د - في الإمارة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بعث رسول الله ﷺ بعثاً - وهم ذوو عدد - فاستقرأهم ، فاستقرأ كل واحد منهم - يعني مامعه من القرآن - فأتى على رجل من أحدثهم سناً ، فقال : ما معك يافلان ؟ قال : معي كذا وكذا ، وسورة البقرة . فقا ل : أمعك سورة البقرة ؟ قال : نعم .

قال : اذهب فأنت أميرهم . . . الحديث »(٢) .

٤) علو درجة الحافظ في الجنة :

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها »(٣) .

قال الإمام الخطابي - رحمه الله - : « وجاء في الأثر أن عدد آي القرآن، على قدر درج الجنة ، فيقال للقارئ ارق في الدرج على قدر ماكنت تقرأ من آي القرآن فمن استوفى قراءة جميع القرآن ، استولى على أقصى درج الجنة في الآخرة ، ومن قرأ جزءاً منه ، كان رقيه في

(١) رواه أحمد [٥/ ٤٣١] والبخاري [١٣٤٧] وأبو داود [٣١٣٨] والنسائي [٤/ ٨٣-٨٤] وغيرهم .

(٢) قال الإمام المنذري في الترغيب : « رواه الترمذي وقال : حديث حسن ، وابن ماجه مختصراً وابن حبان في صحيحه » أ. هـ. وانظر : الترمذي [٢٨٧٦] والنسائي في « الكبرى» [٨٧٤٩] باب : من أولى بالإمامة .

(٣) رواه أبو داود [١٤٦٤] والترمذي [٢٩١٥] وقال : حسن صحيح ، وابن حبان [١٧٨٩] «موارد» وصححه الحاكم [١/ ٥٥٢ - ٥٥٣] ووافقه الذهبي وصححه الألباني في « صحيح الجامع » [٧٩٧٨] .

الدرج على قدر ذلك ، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة » أ. هـ

٥) تزويج الحافظ بغير صداق إكراماً له :

قال البخاري في صحيحه « باب : التزويج على القرآن بغير صداق » وترجم الإمام النووي في شرحه لمسلم « باب الصداق وجواز كونه تعليم قرآن وخاتم حديد » وترجم النسائي « باب التزويج على سورة من القرآن» .

ثم أوردوا حديث سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه - قال : جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت يارسول الله جئتُ أهبُ لك نفسي . فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعد النظر فيها وصوبه ثم طأطأ رسول الله ﷺ رأسه فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً جلست . فقام رجل من أصحابه فقال يارسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها . قال : فهل عندك من شئ ؟ فقال : لا والله يارسول الله . فقال اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئاً ؟ فذهب ثم رجع فقال لا والله ما وجدت شيئاً . فقال رسول الله ﷺ : انظر ولو خاتماً من حديد . فذهب ثم رجع فقال : لا والله يارسول الله ولاخاتماً من حديد ، ولكن هذا إزاري [قال سهل : ماله رداء] فلها نصفه . فقال رسول الله ﷺ : وماتصنع بإزارك إن لبسته لم يكن عليها منه شئ وإن لبسته لم يكن عليك منه شئ فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام ؟ فرآه النبي ﷺ مولياً فأمر به فدُعِيَ فلما جاء قال : ماذا معك من القرآن ؟ قال : معي سورة كذا وسورة كذا وعدّدها . فقال : تقرؤهن عن ظهر قلب . قال : نعم . قال اذهب فقد ملكتكها بما معك من

القرآن » وفي رواية « اذهب فقد زوجتكها فعلمها من القرآن »(١)

وقوله ﷺ « أتقرؤهن عن ظهر قلب » دليل على الحفظ .

فحفظه لبعض سور من القرآن كان سبباً في زواجه رغم شدة فقره وحاجته حتى أنه لايجد خاتماً من حديد يدفعه مهراً لزوجته وهذا دليل ظاهر على فضيلة الحفظ .

وقال الإمام النووي رحمه الله : « وفيه دليل لجواز النظر لمن أراد أن يتزوج امرأة وتأمله إياها ، وفيه استحباب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح ليتزوجها ، وفيه أنه يستحب لمن طلبت منه حاجة

---

(١) رواه البخاري [٥١٤٩] ومسلم [١٤٢٥] والنسائي [٦/ ١١٣] وانظر « فتح الباري » [٩ / ١١٢ - ١٢٤] فإنه هام .

قلت : إذا كانت سماحة الإسلام بلغت هذا المبلغ حتى جاز للرجل أن يتزوج المرأة على خاتم من حديد ، وعلى أن يعلمها بعض سور القرآن . . . ألا فليتق الله أناس جعلوا من الزواج تجارة ، ووسيلة لابتزاز الأموال فغالوا في أخذهم للمهور وطلبهم لها

حتى أعجزوا الشباب عن الزواج ، وصدوهم عن الحلال الذي أباحه الله لهم . مما تسبب في انتشار الرذيلة وفساد المجتمع وكثرة العوانس في بيوتنا .

ألا فليتقوا الله في أنفسهم وبناتهم وليحذروا أن يدخلوا ضمن من قال الله فيهم :

﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لاتعلمون ﴾ [النور : ١٩] .

فإنهم بفعلهم هذا ساعدوا على نشر الرذيلة وإشاعة الفاحشة في مجتمعات المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ولا أدري وأيم الله ! أي فضيلة في رفعهم للمهور ، ومغالاتهم فيها ! وهل المرأة سلعة تباع وتشترى ؟ ! وهل المرأة بهيمة تعطى لمن يدفع أكثر ؟!

وكيف يستقيم هذا المنطق السقيم مع قول نبينا عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض » .

وكيف يستقيم مع قوله في الحديث الآخر « إن أكثر النكاح بركة أقله مؤونة » أي : أقله تكلفة . . وصدق وأيم الله ، فما نزعت البركة من بيوتنا ، وما كثرت المشكلات الزوجية في مجتماعتنا ، وما تفككت الروابط الأسرية فيما بيننا إلا يوم أن تركنا هذه الأحاديث وهجرنا العمل بها فالله المستعان .

لايمكنه قضاؤها أن يسكت سكوتاً يفهم منه ذلك ولا يخجله بالمنع إلا إذا لم يحصل الفهم إلا بصريح المنع فيصرح ، وفيه جواز لبس الرجل ثوب امرأته إذا رضيت أو غلب على ظنه رضاها » .أ.هـ. وذكر فوائد أخرى فراجعها (١) .

٦) لايكون الرجل عالماً إلا بالحفظ :

قال تعالى : ﴿ ... **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾[المجادلة : ١١] . وقال سبحانه : ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون** ﴾ [الزمر : ٩] .

وقال سبحانه : ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ [فاطر : ٢٨] .

وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «من يرد الله به خيراً يفقه في الدين » (٢).

وعن صفوان بن عسال رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم ، رضى بما يطلب » (٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة » (٤)

فهذه النصوص - وغيرها كثير - تبين قيمة العلم وشرف أهله ، وعلو منزلتهم عند ربهم ، وفي دنياهم ومعادهم .

---

(١) شرح مسلم للإمام النووي [٩/ ٢١٢ ، ٢١٤] ط الريان .

(٢) رواه البخاري [٧١] ومسلم [١٠٣٧] .

(٣) رواه الترمذي [٣٥٣٥] وابن ماجه [٢٢٦] وأحمد [٤/ ٢٣٩- ٢٤٠] وابن حبان [٧٩] وابن خزيمة [١٩٣] وهو حديث صحيح .

(٤) رواه مسلم [٢٦٩٩] وأبو داود [٣٦٤٣] والترمذي [٢٦٤٨] .

والرجل لايكون عالماً حتى يحفظ من القرآن والسنة وأقوال أهل العلم الموضحة لمعانيهما مايرفعه إلى تلك المكانة ، ويسمو به إلى تلك المنزلة .

ولهذا قيل : « احفظ فكل حافظ إمام » ، و« آفة العلم النسيان » فالعلم هو الحفظ ، ومن لم يكن حافظاً لم يكن عالماً .

والمحمود في طلب العلم هو الحفظ والفهم والاستيعاب ، ولايُحمد جمع الكتب ، وتكديس المكتبات بها - للزينة والديكور - مع عدم الاستفادة منها ، والقراءة فيها .

فالعلم ليس بكثرة الكتب ، ولا بسعة المكتبات - ولو كان الأمر كذلك لكان أعلم الناس هم الأثرياء ، وأصحاب رؤوس الأموال والثروات ؛ لأنهم يستطيعون بأموالهم ، تحصيل مالا يحصله غيرهم من الكتب والمراجع - وإنما العلم الحفظ والفهم والاستيعاب ، وقد يكون الرجل عالماً ولا يملك من الكتب إلا أقل القليل (١)، وهناك من عنده من الكتب القيمة ، والمراجع النفيسة ، والمخطوطات النادرة ، عشرات المجلدات ، وهو - مع ذلك - مهمل لها ، تارك القراءة فيها ، والاستفادة منها ، وفي هذا خطر عظيم .

ولله دره من قائل :

رُبّ إنسان ملاً أسفاطَه(٢) ... كُتُبَ العلم يَعُدُّ ويخُط
وإذا فَتّشتَه عن عِلْمه ... قال : عِلمي ياخليلي في السَفْط

---

(١) وانظر ترجمة الإمام الجليل « العز بن عبدالسلام » وغيره من علماء السلف - رحمهم الله تعالى أجمعين - ليتضح لك ذلك

(٢) الأسفاط : جمع سفط وهو مستودع الكتب .

في كراريس جياد أُحرزت وبخطٍ أيّ خط أي خط
وإذا قلت له هاتِ إذاً حكَّ لحييه جميعاً وامتخط

وقال الشافعي رحمه الله : (١)

علمي معي حيثما كنت يتبعني صدري وعاء له لا بطن صندوق
إن كنت في البيت كان العلم فيه معي أو كنت في السوق كان العلم في السوق

وقال عبيد الله الصيرفي :

وليس بعلم ما حوى القِمطْر(٢) ما العلم إلا ما حواه الصدر
فذاك فيه شرف وفخر وزينة جليلة وقدر

وقال ابن بشير الأزدي :

أأشهد بالجهل في مجلسٍ وعلمي في البيت مُستودع
إذا لم تكن حافظاً واعياً فجمْعك للكتْبِ لاينفع

والإكثار من شراء الكتب ، مع إهمالها وعدم الدراسة فيها ، والاستفادة منها ؛ قد يكون سبباً في شقاء العبد وهلاكه يوم القيامة ، لأن الله سائله عن ذلك ، والعلم إما حجة لك أو عليك ، والعلم إن لم ينفعك ضرك . والله المستعان .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « قيمة كل امرئ مايُحْسِنه » ولم يقل : ما يجمعه ! ! .

وقال أبو هلال العسكري - رحمه الله - : « وإذا كان ماجمعته من

(١) وينسب هذان البيتان إلى هبة الله البغدادي وكذا إلى منصور الفقيه .
(٢) القمطر : صندوق الكتب .

العلم قليلاً وكان حفظاً ، كثرت المنفعة به ، وإذا كان كثيراً غير محفوظ قلت منفعته » .

وقال عبيد الله بن الحسن : « وجدت أحضَرَ العلم منفعة ما وعيتُه بقلبي ، ولُكْتُهُ بلساني » .

وقال عبد الرزاق : « كل علم لايدخل مع صاحبه الحمام فلا تعدّه علماً »

وقال الأصمعي : « كل علم لايدخل مع صاحبه الحمام فهو زور »

وقال الأعمش : « احفظوا ماجمعتم فإن الذي يجمع ولايحفظ كالرجل كان جالساً على خِوانٍ ، يأخذ لقمة لقمة ، فينبذها وراء ظهره، فمتى تراه يشبع ؟ ! » .

٧) النبيُّ ﷺ يأمر بالحفظ :

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال : « إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي ﷺ قال : من القوم ؟ قالوا : ربيعة . قال : مرحباً بالقوم غير خزايا ولاندامى . فقالوا : يارسول الله ، إنا لانستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام ، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر ؛ فمرنا بأمر نخبر به من وراءنا ، وندخل به الجنة ، وسألوه عن الأشربة . فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع :

أمرهم بالإيمان بالله وحده ، قال : أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال « شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وأن تعطوا من المغنم الخمس .

ونهاهم عن أربع : عن ٱلحنْتَمِ ، والدُبَّاءِ ، والنَّقِيرِ ، وٱلمزَفَّتِ وقال :

احفظوهن ، وأخبروا بهن من وراءكم » (١).

فإذا أمرهم النبي ﷺ بحفظ كلامه وتبليغه ، وندبهم إلى ذلك ؛ فلأن يُحفظ كلام الله عزوجل ، ويُعتنى بتلاوته وفهمه ، من باب أولى .

ومن فوائد الحفظ إضافة إلى ماسبق :

٨) أن حفظ القرآن ، وكثرة مدارسته وتكراره ، يُقوّي ذاكرة حافظيه ، ويشحذ أذهانهم ، فتراهم : أسرع الناس بديهة ، وأكثرهم حفظاً ، وأشدهم فهماً واستيعاباً ، وهذا لايحتاج إلى برهان أو دليل وإنما يكفي أن تنظر في أحوال طلاب المدارس والمعاهد والجامعات ؛ لتجد أن الحافظين للقرآن منهم ، أتقن لدروسهم ، وأحفظ من غيرهم ، وهم على الدوام في طليعة المتفوقين ، مع أن الجميع في سِنّ متقاربة ، وظروف بيئية واجتماعية واحدة . وصدق الله تعالى : ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله** ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

٩) أن الحافظ لكلام الله عزوجل وسنة النبي ﷺ ؛ متميز بين الناس بأخلاقه الحسنة ، وسلوكه القويم ، وتواضعه الجم ، وعلاقاته الطيبة مع الناس جميعهم ، أهله وأقاربه ، وأساتذته ومعلميه ، وأصدقائه وزملائه(٢) وصدق الله تعالى إذ يقول : ﴿ **إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم** ﴾ [الإسراء : ٩] .

١٠) أن الحافظ لكلام الله عزوجل ، والمكثر من تلاوته وتكراره ؛ عنده

---

(١) رواه البخاري [٥٣] كتاب الإيمان باب أداء الخمس من الإيمان .
وهذه الأربع المنهي عنها : هي أوعية نهاهم عن الإنتباذ فيها لأنه يسرع فيها الإسكار فربما شرب منها وهو لا يشعر بذلك وانظر « فتح الباري » [١/ ١٥٧-١٦٣] .

(٢) هذا هو الواجب علي حملة القرآن ودارسي علوم الشرع ، أما مانراه في هذه الأيام من كثير من حملة القرآن وطلبة العلم ، من تحلل وفسق ومجون ، وحسد وكبر وغرور ، واتخاذ الدين وسيلة للكسب والمعاش ؛ فهذا شذوذ عن الأصل الواجب أن يكونوا عليه . وانظر هنا : فصل « آداب حامل القرآن » .

من الفصاحة والبيان ، والبلاغة وحسن الصياغة ، وقوة التعبير وسلامته ، ماليس عند غيره من الناس ، فهو أفصح الناس عبارة ، وأطلقهم لساناً ، وأسلمهم نطقاً .

وصدق الله حيث قال : ﴿ **نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين** ﴾ [الشعراء : ١٩٣ - ١٩٥] .

وبعد : فهذا الذي ذكرت لك ، هو بعض فوائد الحفظ وفضائله بالنسبة للقرآن خاصة ، ولغيره من علوم الشريعة عامة ، وماتركته أكثر مما ذكرته ، واللبيب تكفيه الإشارة .

ولعل فيما ذكرته ما يشحذ همم الصادقين للإقبال على كتاب الله عزوجل ، ثم على كتب السنة وأقوال أهل العلم بالحفظ والدراسة والتحصيل والاستيعاب .

والله أسأل ؛ أن يوفق كل طالب علم لما يحبه سبحانه ويرضاه . آمين .

المبحث الثاني :

بيان معنى الحفظ وسهولته

أولاً : معنى الحفظ :

الحفظ لغة : ضد النسيان ، وهو التعاهد وقلة الغفلة .

قال ابن منظور : المحافظة : المواظبة على الأمر ، وفي محكم التنزيل ﴿**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى**﴾ [البقرة : ٢٣٨] .

أي : صلوها في أوقاتها ، وحفظت الشيء ، أي : استظهرته شيئاً بعد شيء . أ . هـ[١]

ومادة «حفظ» جاءت في القرآن بمعان متعددة ، منها : الصيانة والرعاية ومنه قوله تعالى : ﴿**ونحفظ أخانا**﴾ [يوسف : ٦٥] .

أي نصونه ونرعاه .

ومنها : الإمساك عن المحرم ومنه قوله تعالى : ﴿**والذين هم لفروجهم حافظون**﴾ [المؤمنون : ٥] أي أمسكوا فروجهم عن الحرام .

وقال في « مختار الصحاح » : « حفظ » الشيء بالكسر حفظاً : حرسه ، وحفظه أيضاً : استظهره . . . و« التحفظ » التيقظ ، وقلة الغفلة ، و« تحفظ » الكتاب : استظهره شيئاً بعد شيء[٢] . أ. هـ .

وقيل للإمام أحمد - رحمه الله - : ما الحفظ ؟

قال : الإتقان هو الحفظ .

وقال عبد الرحمن بن مهدي : الحفظ : الإتقان .

---

(١) لسان العرب [٧/ ٤٤١] مادة « حفظ » .

(٢) مختار الصحاح مادة « حفظ » ص [١٨٩] . ط . دار الفكر .

والحفظ لا يكون إلا بأمور ثلاثة :

١ - شدة العناية .

٢ - وكثرة الدرس ، فإذا لم يكن درس لم يكن حفظ .

٣ - طول المذاكرة ، فإذا لم تكن مذاكرة قلت منفعة الدرس .(١)

وقيل للبخاري - رحمه الله - : هل تتناول دواء للحفظ ؟ فقال : « لا أعلم من ذلك شيئاً إلا : نهمة الرجل ، ومداومة النظر » .

وحفظ القرآن يفيد أموراً ثلاثة :

الأول : ضبط الصورة المدركة في الذهن ، بحيث يمكن أداؤها من غير كتاب .

الثاني : المواظبة والمعاهدة للمحفوظ .

الثالث : عدم النسيان .

ثانياً : سهولة حفظ القرآن :

القرآن هو كلام الله عزوجل ، خالق هذا الكون ، ومدبّر شئونه ، ومُحكم نظامه ، تحدى به سبحانه الثقلين ، الإنس والجان أن يأتوا بعشر سور من مثله بل بسورة من مثله فعجزوا .

قال سبحانه : ﴿ **أم يقولون افتراه قل : فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾ [هود : ١٣] .

وقال تعالى : ﴿ **أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾ [يونس : ٣٨] .

---

(١) انظر : « الجامع في الحث على حفظ العلم » ص [٣٥] .

والقرآن كتاب عظيم جليل لو نزل على الجبال الصماء لاندكت من إجلال الله تعالى والخوف منه والخشية له .

قال سبحانه ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله . . .** ﴾ [الحشر : ٢٢] .

وقال سبحانه : ﴿ **ولو أن قرآناً سُيّرت به الجبال ، أو قُطّعت به الأرض أو كُلّم به الموتى بل لله الأمر جميعاً** ﴾ [الرعد : ٣١] .

والمعنى : أي لكان هذا القرآن .

والقرآن وصفه الله تعالى : بقوله : ﴿ **إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً** ﴾ [المزمل : ٥] ، ووصفه بالعظمة فقال سبحانه ﴿ **ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم**﴾ [الحجر ٧٨]

وعلى الرغم من ذلك كله ، فإن الله سبحانه رحمة منه بعباده ، وتفضلاً عليهم وإكراماً لهم ؛ يسر حفظ هذا القرآن وتلاوته وفهمه ، وتدبره واستيعاب معانيه ، ولولا أن الله سبحانه يسره لما استطاع إنسان قراءته فضلاً عن حفظه ودراسته .

قال الحافظ ابن كثير في تأويل قوله تعالى : ﴿ **بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم** ﴾ [العنكبوت : ٤٩] : « أي : هذا القرآن آيات بينة واضحة في الدلالة على الحق أمراً ونهياً وخبراً ، يحفظه العلماء ، يسره الله عليهم حفظاً وتلاوة وتفسيراً كما قال تعالى : ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾ » . أ . هـ[١]

وقال - رحمه الله - : « ولأنه محفوظ في الصدور ، ميسر على

(١) « تفسير ابن كثير » [٣ / ٤٠٣] .

الألسنة ، مهيمن على القلوب ، معجز لفظاً ومعنى ؛ ولهذا جاء في الكتب المقدسة في صفة هذه الأمة ، أن أناجيلهم في صدورهم . . . »(١) أ . هـ .

وقال في تأويل قوله تعالى : ﴿ **ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾ [القمر : ١٧ - ٢٢ - ٣٢ - ٤٠] : « أي : سهلنا لفظه ويسرنا معناه لمن أراده ؛ ليتذكر الناس كما قال سبحانه ﴿ **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لُدًّا** ﴾ . قال مجاهد : ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر** ﴾ يعني هونا قراءته ، وقال السدي : لولا أن الله يسره على الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله عزوجل . . . . وقوله : ﴿ **فهل من مدكر** ﴾ أي : فهل من متذكر بهذا القرآن الذي يسر الله حفظه ومعناه ؟ »(٢) . أ . هـ

وقال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى : ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾ : [أي : ولقد يسرنا وسهلنا هذا القرآن الكريم ، ألفاظه للحفظ والأداء ، ومعانيه للفهم والعلم ، لأنه أحسن الكلام لفظاً ، وأصدقه معنى ، وأبينه تفسيراً .

فكل من أقبل عليه ، يسر الله عليه مطلوبه غاية التيسير ، وسهله عليه .

والذكر شامل لكل مايتذكر به العاملون ، من الحلال والحرام ، وأحكام الأمر والنهي ، وأحكام الجزاء والمواعظ والعبر ، والعقائد

---

(١) «تفسير ابن كثير» [٣/ ٤٠٣] .

(٢) «المصدر السابق» [٤/ ٢٦٦] .

النافعة ، والأخبار الصادقة .

ولهذا كان علم القرآن حفظاً وتفسيراً أسهل العلوم ، وأجلها على الإطلاق ، وهو العلم النافع الذي إذا طلبه العبد أعين عليه .

وقال بعض السلف عند هذه الآية : « هل من طالب علم فيعان عليه ؟» ، ولهذا يدعو الله عباده إلى الإقبال عليه والتذكر بقوله : ﴿ **فهل من مدكر** ﴾ . أ . هـ[1] .

وفي تفسير الجلالين : ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر** ﴾ أي : سهلناه للحفظ ، وهيأناه للتذكر . ﴿ **فهل من مدكر** ﴾ ، أي : هل من متعظ به ، حافظ له ؟ والاستفهام هنا بمعنى الأمر ، أي احفظوه واتعظوا به ، وليس يحفظ من كتب الله عن ظهر قلب غيره » أ . هـ .

وقال القاضي عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي [ت : ٥٤٦ هـ]: [قال سبحانه : ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً** ﴾ . أي : علم معانيه ، والعمل به ، والقيام بحقوقه ثقيل : فمال الناس إلى الميسر [يعني الحفظ والتلاوة] وتركوا الثقيل وهو المطلوب منهم] أ . هـ .[2]

وقال الإمام القرطبي - رحمه الله - : ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾ « أي : سهلناه للحفظ ، وأعنا عليه من أراد حفظه فهل من

---

(١) « تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان » [٧ / ٢٣٢] ط الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء .

(٢) انظر مقدمة تفسيره « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز » ط دار الكتب العلمية .

طالب لحفظه فيعان عليه » (١).

المبحث الثالث : فيما يبدأ به في الحفظ (٢)

مما لاشك فيه أن أول ما ينبغي تقديمه في الحفظ والدراسة ، إنما هو كلام الله عزوجل ؛ فهو أصل الأصول ، والمعول عليه في جميع الأمور ، وهو مرجع أساس لسائر المناهج والعلوم ؛ ولهذا كان السلف الصالح - رضوان الله عليهم - لايبدؤن إلا به ، فإذا أتقنوه حفظاً وفهماً ودراسة ، انتقلوا إلى سائر العلوم الشرعية من الحديث والفقه والتفسير وغيرها .

قال الإمام ابن الجوزي - رحمه الله - : « وأول ما ينبغي تقديمه ، مقدمة في الاعتقاد ، تشتمل على الدليل على معرفة الله عزوجل ، ويذكر فيها مالابد منه ، ثم يعرف الواجبات ، ثم حفظ القرآن ، ثم سماع الحديث ، ولابد من حفظ مقدمة في النحو يقوم بها اللسان ، والفقه عمدة العلوم ، وجمع العلوم محمود ، إلا أن أقواماً أذهبوا الأعمار في حفظ النحو واللغة ، وإنما يعرف بها غريب القرآن والحديث ، ومايفضل عن ذلك ليس بمذموم غير أن غيره أهم منه .

وإن قوماً أذهبوا أزمانهم في علوم القرآن ، فاشتغلوا بما غيره أصلح منه من الشواذ المهجورة ، والعمر أنفس من تضييعه في هذا .

---

(١) « الجامع لأحكام القرآن » [١٧/ ١٣٤] .
(٢) انظر في هذا المبحث :
١ - « الحث على حفظ العلم » للإمام ابن الجوزي .
٢ - « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » للخطيب البغدادي .
٣ - الجامع في « الحث على حفظ العلم » ط مكتبة ابن تيمية .
٤ - « جامع بيان العلم وفضله » لأبي عمربن عبد البر .

وإن قوماً أذهبوا أعمارهم في حفظ طرق الحديث ، ولعمري إن ذلك حسن ، إلا أن تقديم غير ذلك أهم . . . . إلخ »(١).

وقال الإمام أبو عمر بن عبد البر : « طلب العلم درجات ومناقل ورتب ، لاينبغي تعديها ، فمن تعداها جملة فقد تعدى سبيل السلف رحمهم الله ، ومن تعدى سبيلهم عامداً ضل ، ومن تعداه مجتهداً زل .

فأول العلم : حفظ كتاب الله عزوجل ، وتفهمه ، وكل مايعين على فهمه فواجب طلبه معه ، ولا أقول إن حفظه كله فرض ، ولكن أقول : إن ذلك واجب لازم على من أحب أن يكون عالماً . . .

ثم ينظر في السنن المأثورة الثابتة عن رسول الله ﷺ فبها يصل الطالب إلى مراد الله عزوجل في كتابه ، وهي تفتح له أحكام القرآن فتحاً .

ومن طلب السنن فليكن معوله على حديث الثقات الحفاظ ، الذين جعلهم الله خزائن لعلم دينه وأمناء على سنن رسوله » أ . هـ(٢) .

وكان كثير من السلف - رحمهم الله - يرفضون تدريس الحديث - وغيره من العلوم - للحدث ؛ حتى يحفظ القرآن أولاً .

فعن الوليد بن مسلم قال : « كنا إذا جالسنا الأوزاعي فرأى فينا حدثاً، قال : ياغلام ، قرأت القرآن ؟ فإن قال : نعم .

قال : اقرأ : ﴿ **يوصيكم الله في أولادكم . . . الآية** ﴾ وإن قال : لا .

---

(١) قاله في « الحث على حفظ العلم » وانظر « الجامع في الحث على حفظ العلم » ص [٢٥٦] .
(٢) « جامع بيان العلم وفضله » ص [٤٦٢ - ٤٦٣] .

قال : اذهب تعلم القرآن قبل أن تطلب العلم »[١].

وكان يحيى بن يمان إذا جاءه غلام أمرد استقرأه رأس سبعين من الأعراف ، ورأس سبعين من يوسف ، وأول الحديد ؛ فإن قرأها حدثه وإلا لم يحدثه .

وقال الإمام ابن خزيمة محمد بن إسحاق : « استأذنت أبي في الخروج إلى قتيبة [لطلب العلم وسماع الحديث] . فقال : اقرأ القرآن أولاً حتى آذن لك . قال : فاستظهرت القرآن ، فقال لي : امكث حتى تصلي بالختمة ، ففعلت فلما عيّدنا أذن لي . . . »

وهكذا كان شأن السلف الصالح جميعهم ، رحمهم الله تعالى .

فهذا أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري رحمه الله - إمام الدنيا في الحفظ - ، حفظ القرآن وعمره أقل من عشر سنين ، ثم طلب الحديث ورحل لأجله في الأمصار .

وهذا خاتمة الحفاظ الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني حفظ القرآن كله وهو ابن تسع سنين ، وبدأ يبحث في التجويد والتفسير وهو ابن اثنتى عشرة سنة .

وهذا شيخ الحنفية تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندي البغدادي حفظ القرآن وهو صغير مميز ، وقرأه بالقراءات العشر ، وله عشر ة أعوام .

---

(١) انظر : « الجامع في الحث على حفظ العلم » ص : [٧١] . وأمره بقراءة هذه الآيات دون غيرها ، لأنها من السور الطوال ، وعادة الأحداث حفظ السور القصار دون الطوال ، ولأنها من الآيات التي لايتقنها إلا لبيب . أ.هـ .

واقرأ تراجم القوم ، تجد من ذلك الشيء الكثير .

فالله أسأل أن يمن علينا بسلوك طريقهم ، والسير على منوالهم ، وأن يجمعنا وإياهم في جنات النعيم فإنه سبحانه بكل جميل كفيل وهو حسبي ونعم الوكيل .

الفصل الثالث

«ذكر بعض ما يعين على الحفظ»

في هذا الفصل أذكر لك أخي القارئ الحبيب بعض الأمور التي تساعد من أراد الحفظ على الحفظ ، سواء أراد حفظ القرآن أو السنة ، أو مايعين على فهمهما من أقوال أهل العلم رحمهم الله .

وهذه الأمور بمثابة القواعد التي ينبغي على من أراد الحفظ أن يراعيها ويلتزمها .

وقد اطلعت على بعض ماكتبه القدامى والمحدثون في موضوع الحفظ ، واستقرأت أحوال بعض الحفاظ ؛ فخلصت من ذلك إلى ثلاث وعشرين قاعدة معينة على الحفظ لمن أراده .

« وها أنا ذا »(١) أسردها عليك واحدة تلو الأخرى مع إجمال الكلام على كل ، وأسأل الله أن يجعلني وإياك من ﴿ **الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه** ﴾ فـ ﴿ **أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب** ﴾ .

---

(١) وتكتب أيضا : « هأنذا » بحذف الألف بعد هاء التنبيه كـ« هذا ، وهذه ، وهؤلاء . . . » كما هو مقرر في قواعد الخط والإملاء الحديثة ، وهل يقال : « ها أنا » أو : « ها أنا ذا » فيه بحث انظره في : « التحرير والتنوير »[١/ ٥٨٦-٥٨٨] .

القاعدة الأولى: الإخلاص لله تعالى [1]

قال سبحانه : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة** ﴾ [البينة : ٥] .

وقال جل شأنه : ﴿ **لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم** ﴾ [الحج : ٣٧] [2]

وقال تعالى : ﴿ **فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولايشرك بعبادة ربه أحداً** ﴾ [الكهف : ١١٠]

وهذان شرطان لقبول العمل ؛ فلا يقبل العمل إلا بتوفرهما فيه :

الأول : صلاح العمل ، ولايكون العمل صالحاً إلا باتباع سنة النبي ﷺ وعدم الإبتداع في الدين ﴿ **فليعمل عملاً صالحاً** ﴾ .

والثاني : إرادة الله وحده بالعمل ؛ وهذا هو الإخلاص ﴿ **ولايشرك بعبادة ربه أحداً** ﴾ .

---

(١) انظر في هذه القاعدة :
١ - رسالة « الإخلاص » لحسين العوايشة . وهي نافعة جداً .
٢ - « صحيح الترغيب والترهيب » للألباني .
٣ - « رياض الصالحين » و « التبيان في آداب حملة القرآن » كلاهما للإمام النووي .
٤ - « مختصر منهاج القاصدين » لابن قدامه المقدسي .
٥ - « جامع العلوم والحكم » لابن رجب الحنبلي في شرحه لحديث « إنما الأعمال بالنيات» .

(٢) روى ابن أبي حاتم بسنده عن ابن جريج قال : كان أهل الجاهلية ينضحون البيت بلحوم الإبل ودمائها فقال أصحاب النبي ﷺ فنحن أحق أن ننضح فنزلت هذه الآية . أ . هـ « تفسير ابن كثير » [٣ / ٢١٧] .

ومعنى الآية : لن يصل إلى الله سبحانه إلا ما أريد به وجهه فيقبله ويثيب عليه بخلاف العمل الذي تعرى عن النية الصحيحة فلا يقبل من صاحبه ولايثاب عليه .

فالإخلاص والمتابعة شرطان أساسان في قبول الأعمال جميعها .[1] وقال سبحانه : ﴿ **فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون** ﴾ [غافر : ١٤].

١ - وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ مانوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ماهاجر إليه »[2] .

والنية هي القصد والإرادة ، فليراقب كل نفسه ، هل أراد بحفظه للقرآن ، أوطلبه للعلم ، أوقيامه الليل ، أو أي عمل كان ، هل أراد به وجه الله تعالى ؟ أو أراد مدح الناس وثناءهم ، والنجاة من ذمهم ؟!

هل أراد بعمله دخول الجنان ، والنظر إلى وجه ربه الرحمن ، والتنعم بالحور العين ، ومجاورة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ؟ أم أراد بعمله مالاً أو منصباً أوجاهاً أو أي مقصد آخر من المقاصد الدنيوية الدنيئة ؟!

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « جماع الدين أمران : عبادة الله وحده لاشريك له ، وعبادته بما شرع » . أ.هـ .

قلت : وهذا معنى هذه الآية الكريمة وهو كذلك معنى شهادة التوحيد التي يلوكها جل المسلمين في هذا الزمان بألسنتهم ، ولايفهمون معناها ومدلولها فـ « لا إله إلا الله » إفراد لله وحده بالقصد والعبادة ، و« محمد رسول الله » إفراد للنبي ﷺ بالإتباع . وانظر قول الفضيل - رحمه الله - في تأويل قوله تعالى : ﴿ **ليبلوكم أيكم أحسن عملاً** ﴾ .

(٢) رواه البخاري [رقم ١] في بدأ الوحي . وذكره في ستة مواضع أخرى ، ومسلم [١٩٠٧] وأبو داود [٢٢٠١] والترمذي [١٦٤٧] والنسائي [١/ ٥٩ ، ٦٠] وابن ماجه [٤٢٢٧] وأحمد [١/ ٢٥ ، ٤٣] .

فليصحح كل عمله قبل الشروع فيه ، ولينظر ماذا أراد به ، ولتكن نيته لله خالصة .

قال عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - : « إنما يحفظ المرء على قدر نيته » وقال غيره « إنما يعطى الناس على قدر نياتهم » .

وقد يرزق غير المخلص [من المرائين والمنافقين] العلم والحفظ إلا أن ذلك من الله استدراج له ، وليس له عند الله في الآخرة نصيب إلا النار ، وبئس المصير والقرار .

قال تعالى : ﴿ **من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون ، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ماصنعوا فيها ، وباطل ماكانوا يعملون** ﴾ [هود : ١٥ - ١٦].

وقال جل وعز : ﴿ **من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً ، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً** ﴾ [الإسراء : ١٨ - ١٩] .

وقال سبحانه : ﴿ **من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ، وماله في الآخرة من نصيب** ﴾

[الشورى : ٢٠] .

٢ - وفي الحديث : « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : وما الشرك الأصغر يارسول الله . قال : الرياء ، يقول الله عزوجل يوم القيامة - إذا جزى العباد بأعمالهم - اذهبوا إلى الذين كنتم

تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً »(١).

فمن أراد الدنيا ونعيمها وملذاتها [وآثرها على نعيم الآخرة] فإنه قد ينالها ، ولكنه حينئذ مطالب بأن يعد نفسه للنار – والعياذ بالله – أياً كان عمله !

فلو كان مجاهداً للكفار ، وأزهقت روحه في القتال ، ولم يكن لله مخلصاً ؛ فلينتظر النار !

ولو كان حافظاً للقرآن ، ومتفقهاً في شريعة رب الأنام ، وداعية إلى الله وإلى الإسلام ، ولم يكن لله مخلصاً ؛ فلينتظر النار !

ولو كان من الأثرياء ، وأنفق كل ماله على المساكين والفقراء ، وتعليم المسلمين شريعة الله السمحاء ، ولم يكن لله مخلصاً ؛ فلينتظر النار ! .

٣ – فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن أول الناس يقضى يوم القيامة ، رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت . قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال : فلان جرئ ، فقد قيل ، ثم أمربه فسحب على وجهه حتى ألقي في النار .

ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن ، فأتي به فعرفه نعمه ، فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت فيك العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن . قال : كذبت ، ولكنك تعلمت ليقال : عالم ، وقرأت القرآن ليقال : قارئ ، فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار .

---

(١) رواه أحمد [٥/ ٤٢٨] وصححه الألباني في صحيح الترغيب [١/ ١٧] .

ورجل وسع الله عليه ، وأعطاه من أصناف المال ، فأتي به ، فعرفه نعمه ، فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : ماتركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال : هو جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار »(١) وفي لفظ الترمذي وابن حبان : « يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة »

فانظر إلى أعمالهم ما أجملها ! وانظر إلى مصيرهم ما أقبحه ! وماذاك إلا بفساد قلوبهم ، وخبث ضمائرهم ، وعدم إخلاصهم لله في أعمالهم .

٤ - وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سمع النا س بعمله ، سمع الله به مسامع خلقه ، وصغره وحقره » . (٢)

فمن عمل عملاً في الخفاء ، وكان فيه لله مخلصاً ، ثم تحدث به رياءً وسمعة ، فهذا مصيره وجزاؤه ! فكيف بمن قصد الرياء بعمله ابتداءً ؟! .

ولهذا كان السلف الصالح - رحمهم الله - يكتمون حسناتهم كما يكتم أحدنا سيئاته بل وأشد .

فهذا أيوب السختياني - رحمه الله - ربما حدث بالحديث فيرق لذلك قلبه ، وتفيض عينه ، فيلتفت ، فيمتخط . ويقول : ما أشد الزكام !

---

(١) رواه مسلم [١٩٠٥] ورواه النسائي والترمذي وابن حبان . وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» رقم [٢٠] .

(٢) قال المنذري في الترغيب : « رواه الطبراني في الكبير بأسانيد أحدها صحيح ، والبيهقي » أ . هـ ورواه أحمد كذلك وانظر « صحيح الترغيب » رقم [٢٣] .

[يظهر أنه مزكوم لإخفاء البكاء] .

وقال ابن أبي عدي : « صام داود بن هند أربعين سنة ، لايعلم به أهله، وكان خرازاً يحمل معه غذاءه من عندهم ، فيتصدق به في الطريق ويرجع عشياً فيفطر معهم » .

وقال محمد بن واسع - رحمه الله - : « لقد أدركت رجالاً ، كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة ، قد بل ماتحت خده من دموعه ؛ لاتشعر به امرأته ، ولقد أدركت رجالاً يقوم أحدهم في الصف فتسيل دموعه على خده ولايشعر به الذي إلى جانبه » .

وقال سفيان الثوري : « بلغني أن العبد يعمل العمل سراً ، فلايزال به الشيطان حتى يغلبه ، فيكتب في العلانية ، ثم لايزال به الشيطان حتى يحب أن لو حمد عليه ، فينسخ من العلانية فيثبت في الرياء » .

وقال الحسن البصري : « إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به الناس ، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس ، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار وما يشعرون به ، وقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض من عمل يقدرون أن يعملوه في السر فيكون علانية أبداً » (١).

٥ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله تعالى ، لايتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من أعراض الدنيا ، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » (٢).

---

(١) انظر : « تفسير ابن كثير »[٢/ ٢١٢] .

(٢) رواه أبو داود [٣٦٦٤] وابن ماجه [٢٥٢] وأحمد [٢/ ٣٣٨] وصححه ابن حبان [٨٩] والحاكم [١/ ٨٥] ووافقه الذهبي ، وقال النووي في « التبيان » : إسناده صحيح .

٦ - وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن الله لايقبل من العمل إلا ماكان خالصاً ، وابتغى به وجهه »(١).

٧ - وعن ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال : « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ فقلنا : بلى يارسول الله ! فقال : « الشرك الخفي ؛ أن يقوم الرجل فيصلي ، فيزين صلاته لما يرى من نظر الناس إليه »(٢).

٨ - وعن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال : « يا أيها الناس ! اتقوا هذا الشرك ، فإنه أخفى من دبيب النمل قالوا : وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يارسول الله ! قال : قولوا : اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ، ونستغفرك لما لانعلمه »(٣).

٩ - وعن كعب بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من طلب العلم ليماري به السفهاء أو يكاثر به العلماء ، أو يصرف به وجوه الناس إليه ؛ أدخله الله النار »(٤).

١٠ - وعن أبي سعيد بن أبي فضالة أن النبي ﷺ قال : « إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة ، نادى مناد : من كان أشرك في عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عنده ، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك »(٥).

---

(١) قال المنذري في « الترغيب » : رواه أبو داود والنسائي بإسناد جيد . أ.هـ وانظر « صحيح الترغيب » رقم [٦] .

(٢) رواه ابن ماجه والبيهقي ، وحسنه الألباني . «صحيح الترغيب »[٢٧ ، ٢٨] .

(٣) رواه أحمد والطبراني ، وحسنه الألباني . «صحيح الترغيب »[٣٣] .

(٤) رواه الترمذي [٢٦٥٦] وهو عند ابن ماجه من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما وانظر : « صحيح الجامع »[٦٣٨٢] ، و[٦٣٨٣] .

(٥) رواه الترمذي وقال : حديث حسن ، وابن ماجه ، وابن حبان وصححه والبيهقي ، وحسنه الألباني وانظر : « صحيح الترغيب »[٣٠] .

ومما أثر عن السلف الصالح - رحمهم الله تعالى- في موضوع الإخلاص مايلي :

قال الفضيل بن عياض - رحمه الله - : « ترك العمل لأجل الناس رياء ، والعمل لأجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما »(١).

فأنت إنما تتعامل مع الله عزوجل ؛ فليكن نظرك في كل أحوالك إليه لا إلى غيره ، واعبده كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وحينئذ : لايضيرك إذا مدحك الناس أو ذموك ، لايضيرك إذا سخط عليك أهل الأرض جميعهم ، في سبيل إرضاء ربك ومولاك ؛ ولهذا قيل في تعريف الإخلاص : هو نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق .

ولما قيل لسهل بن عبدالله التستري : أي شئ أشد على النفس ؟ قال : الإخلاص ، إذ ليس لها فيه نصيب .

وقال ذو النون : ثلاث من علامات الإخلاص : استواء المدح والذم من العامة ونسيان رؤية الأعمال في الأعمال ، واقتضاء(٢) ثواب الأعمال في الأخرة .

وقال القشيري : أقل الصدق إستواء السر والعلانية .

وقال الحارث بن أسد المحاسبي : « الصادق هو الذي لايبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه ، ولايحب اطلاع

---

(١) وصدق رحمه الله : فلو فتح الإنسان على نفسه باب ملاحظة الناس ، والاحتراز من طرق ظنونهم لانسد عليه أكثر أبواب الخير ، وضيع على نفسه شئياً عظيماً من مهمات الدين ، وليس هذا ديدن الصالحين ، ولم تكن هذه طريقتهم .

(٢) الاقتضاء : الطلب .

الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله ، ولايكره اطلاع الناس على السيئ من عمله ، فإن كراهته لذلك دليل على أنه يحب الزيادة عندهم ، وليس ذلك من أخلاق الصدّيقين » . (١)

وقال أبو حامد الغَزَالي في « الإحياء » : « . . . فقد ظهر بالأدلة والعيان ، أنه لاوصول إلى السعادة إلا بالعلم والعبادة ، فالعمل بغير نية عناء ، والنية بغير إخلاص رياء ، وهو للنفاق كفاء ، ومع العصيان سواء ، والإخلاص من غير صدق وتحقيق هباء ؛ وقد قال الله تعالى في كل عمل كان بإرادة غير الله مشوباً مغموراً : ﴿**وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً**﴾ [الفرقان : ٢٣] » . ا.هـ.

وقال ابن جماعة - رحمه الله - : « حسن النية في طلب العلم ، بأن يقصد به وجه الله تعالى ، والعمل به ، وإحياء الشريعة ، وتنوير قلبه ، وتحلية باطنه ، والقرب من الله تعالى يوم القيامة ، والتعرض لما أعده لأهله من رضوانه وعظيم فضله . ولايقصد به الأغراض الدنيوية من تحصيل الرياسة والجاه والمال ، ومباهاة الأقران ، وتعظيم الناس له وتصديره في المجالس ، ونحو ذلك . قال أبو يوسف رحمه الله : ياقوم أريدوا بعلمكم الله تعالى فإني لم أجلس مجلساً قط أنوي فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلوهم ، ولم أجلس مجلساً قط أنوي فيه أن أعلوهم إلا لم أقم حتى أفتضح .

والعلم عبادة من العبادات ، وقربة من القرب ، فإن خلصت فيه النية ؛ قُبل وزَكى ، ونَمتْ بركتُه ، وإن قصد به غير وجه الله تعالى ؛ حبط

(١) أورد الإمام النووي ، بعض هذه الآثار في كتابه « التبيان » وانظر المراجع المشار إليها أول هذه القاعدة .

وضاع ، وخسرت صفقته وربما تفوته تلك المقاصد ولاينالها ، فيخيب قصده ، ويضيع سعيه »[١] ا.هـ .

فاحرص على الإخلاص في جميع أفعالك وأقوالك ، ولايوسوس عليك الشيطان بترك العمل ، ويوهمك أنك مرائي وأنك غير مخلص لله فيه . ولكن : جاهد نفسك في تحقيق الإخلاص لله مع المداومة منك على العمل .

قال حبيب بن أبي ثابت : « طلبنا هذا العلم ومالنا فيه نية ، ثم جاءت النية والعمل بعد » .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه « أفضل الأعمال أداء ما افترض الله تعالى ، والورع عماحرم الله ، وصدق النية فيما عند الله » .

(١) « تذكرة السامع والمتكلم » [٦٩ - ٧٠] بتصرف .

القاعدة الثانية : تصحيح النطق والقراءة

وفيها : أربعة مباحث

المبحث الأول : تصحيح النطق والقراءة

أول خطوة في طريق الحفظ بعد الإخلاص لله عزوجل هي تصحيح النطق والقراءة لما يريد حفظه ، ولايحفظ قبل أن يصحح . لأنه إن حفظ خطأ صعب عليه فيما بعد تصحيح ذلك الخطأ .

فلابد قبل البدأ في الحفظ من السماع لقارئ جيد أو حافظ متقن ، ثم العرض عليه بعد ذلك ، لأن القرآن لايؤخذ إلا بالتلقي ، فقد أخذه النبي ﷺ وهو أفصح الخلق من جبريل مشافهة .

« وكان ﷺ يَعْرِضُ القرآن على جبريل كل سنة مرة واحدة في رمضان، فلما كان العام الذي توفي فيه عرضه عرضتين » رواه البخاري .

قال ابن حجر : « يَعْرِضُ بكسر الراء ، من العرض بفتح العين وسكون الراء ، أي : يقرأ ، والمراد : يستعرضه ما أقرأه إياه ، والمعارضة مفاعلة من الجانبين ، كأن كلاهما كان يقرأ تارة والآخر يستمع » أ . هـ .(1) .

- وقال ابن كثير في تأويل قوله تعالى ﴿ **إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه** ﴾ [القيامة : ١٧ - ١٨] .

أي : إذا تلاه عليك الملك عن الله تعالى فاستمع له ، ثم اقرأه كما أقرأك » . أ . هـ . (2) .

وبالطريقة نفسها [العرض والسماع] علم النبي ﷺ أصحابه ، بل وأمرهم بذلك ، ففي الصحيحين وغيرهما « خذوا القرآن من أربعة :

---

(1) أنظر : « فتح الباري » [٨/ ٦٦٠] .
(2) أنظر « تفسير ابن كثير » [٤/ ٤٤٩] .

مكتبة المحتسب لأبي الحسن - المدينة المنورة ١٤٣٠هـ - وقف على طلبة العلم والعامة

عبدالله بن مسعود ، وسالم ، ومعاذ ، وأبي بن كعب »(١) .

وهكذا تعلم الصحابة ومن بعدهم إلى وقتنا هذا ، أخذ كل خلف عن سلفه هذا القرآن مشافهة ، بالعرض والسماع(٢) .

وهذا هو الواجب الآن أن نأخذ القرآن مشافهة من القراء المتقنين ، والحفاظ المجيدين ، وأن نصحح القراءة أولاً بأول ، وأن لايعتمد القارئ على نفسه في قراءة القرآن ، حتى ولو كان ملماً باللغة العربية ، عليماً بقواعدها ؛ وذلك لأن في القرآن آيات كثيرة قد تأتي على خلاف المشهور من قواعد العربية .

ولأجل ما تقدم ذكره قال سلفنا الصالح : « لاتأخذ العلم من صُحُفِيّ ، ولا القرآن من مُصْحَفِيّ » (٣) .

المبحث الثاني : من فوائد الدراسة على الشيوخ

ومعنى قولهم : « لاتأخذ العلم من صُحُفِيّ ، ولا القرآن من مُصْحَفِيّ» أي : لاتتعلم ممن أخذ علمه من الصحف والكتب وحدها ، دون أن يكون له شيوخ تعلم على أيديهم ، وتلقى عنهم .

---

(١) رواه البخاري [٣٧٥٨] ، [٣٧٦٠] ومسلم [٢٤٦٤] .

(٢) قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : « والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة وأخذت بقية القرآن عن أصحابه »الفتح [٩/ ٤٦ ، ٤٨] .
وعن معد يكرب قال : « أتينا عبدالله فسألناه أن يقرأ علينا : طسم المائتين فقال : ماهي معي ولكن عليكم من أخذها من رسول الله ﷺ خباب بن الأرت ، قال : فأتينا خباب بن الأرت فقرأها علينا » [المسند ٦/ ٣٤] وقال الشيخ أحمد شاكر : اسناده صحيح .

(٣) الصحفي : هو الذي تعلم من الصحف والكتب وحدها دون الرجوع إلى العلماء والتلقي عنهم .
وهكذا مصحفي : أي أخذ القرآن من المصحف بنفسه دون المراجعة على قارىء متقن .

وذلك لأن في الدراسة على المشايخ ، والتلقي عنهم ، والجلوس بين أيديهم ، فوائد عظيمة ، ومنافع جليلة . ومن ذلك :

١ - أنها تسدد الفهم للمتعلم ، وتشحذ ذهنه ، وتوسع مداركه ، فإن طالب العلم تعتريه في طلبه مسائل وبحوث ، لايستطيع استيعابها وربما أساء فهمها ، فوجوده مع شيخ متقن ، وعالم متمرّس ، ينجيه من ذلك .

٢ - وتوفر له الوقت والجهد ، فكم من مسألة أعيت طالب العلم وأجهدته ، وبحث عنها أياماً وربما شهوراً ، ومازداد بعد بحثه في بطون كتبه عنها إلا حيرة واضطراباً ؛ فلو أنه سأل عنها عالماً متمرساً ، وشيخاً حاذقاً ، لأجابه عنها في دقائق معدودة ، وأزال من رأسه كل إشكال أو شبهة أو إيراد .

٣ - وتجمع له بين العلم والأدب ، فالذي يتلقى على أيدي المشايخ ، ويجلس بين أيديهم ، يتعلم التواضع ولين الجانب واحترام آراء المخالفين وحسن الخلق معهم . . وغير ذلك من الآداب الرفيعة والأخلاق الفاضلة .

والمتلقي عن المشايخ والعلماء ، يتعلم من سمتهم وأخلاقهم كما يتعلم من مسائلهم وأقوالهم ، فيتخرج الطالب وقد جمع بين العلم النافع والخلق الفاضل .

المبحث الثالث : أضرار الإقتصار على الكتب وحدها في الطلب

وأما التلقي من الكتب مباشرة ، والاقتصار على ذلك ، دون الرجوع إلى أهل العلم ، والتلقي عنهم ؛ فإن ذلك وإن جاز فعله [لبعض من كملت أهليته ممن درس علوم الآلة وتحصن بالعقيدة الصحيحة وتعلم

أصول كل فن على من أجاده من أهل العلم فإنه بالرغم من ذلك كله] فيه من الآفات والمضار ، مالايخفى على العاقل اللبيب .

فمن آفات الدراسة من الكتب وحدها :

١ - أنها من أعظم أسباب الكبر والغرور ، والعجب والمفاخرة والرياء ، والتعالي على الغير ، لأن القارئ بمجرد قراءته لكتاب أو كتب ، يرى أنه أعلم الناس ، وأنه صار شيخ الإسلام ، وعلامة الزمان ، فيتطاول على الآخرين ، ولايسلم من لسانه حيّ ولاميت من علماء المسلمين ، ولو أنه جالس أهل العلم ، وعرض عليهم بضاعته ، وناقشهم فيما درسه وفهمه ؛ لتبين له ضآلة علمه ، وسوء فهمه ! ولظهر له قيمة نفسه ، وعرف عجزها وجهلها !! .

٢ - وهي سبب في كثرة الخطأ والتحريف ، وسوء الفهم والتصحيف ، وخاصة في القرآن لمن تلقاه من المصحف مباشرة ولم يتلقاه عن شيخ ، ومن أمثلة ذلك مايلي :

قال ابن الجوزي : سمعت ابن الرومي يقول : خرج رجل إلى قرية فأضافه خطيبها ، فأقام عنده أياماً ، فقال له الخطيب : أنا منذ مدة . . أصلي بهؤلاء القوم وقد أشكل عليّ في القرآن بعض مواضع .

قال : سلني عنها. قال : منها في « الحمد لله » [أي : الفاتحة] .

قال : « إياك نعبد وإياك » أي شيء : تسعين أو سبعين ؟ .

أشكلت على هذه ، فأنا أقولها تسعين آخذ بالاحتياط . أ. هـ(١) .

ونقل عن ابن كامل أنه قال : وحدثنا أبو الشيخ الأصبهاني محمد بن الحسين قال : قرأ عثمان بن أبي شيبة في التفسير « وإذا بطشتم بطشتم

(١) انظر : « أخبار الحمقى والمغفلين » ص [٧١] ط دار الكتب العلمية .

خبازين ». أ. هـ وصواب الآية ﴿ **وإذا بطشتم بطشتم جبارين** ﴾.

[الشعراء : ١٣٠] .

وقرأ بعضهم قوله تعالى : ﴿ **فضرب بينهم بسور له باب** ﴾ .

[الحديد : ١٣] قرأها « . . . بسنور له ناب ».

والسنور : هو القط .

وقرأ بعضهم قوله تعالى : ﴿ **جعل السقاية في رحل أخيه** ﴾ .

[يوسف : ٧٠] قرأها : ﴿ **جعل السفينة في رجل أخيه** ﴾.(١)

وقرأ بعضهم قوله تعالى : ﴿ **قيل يانوح اهبط بسلام منا . . . .** ﴾ .

[هود : ٤٨] قرأها : ﴿ **إهبط بسلم منا** ﴾.

وقرأ بعضهم قوله تعالى ﴿ **ألهاكم التكاثر** ﴾قرأها : ﴿ **إلاهكم التكاثر**﴾ .

وغير ذلك كثير جداً من أخطاء فاحشة ومنكرة غير متصورة وسبب ذلك التحريف والخطأ هو عدم تعلم القرآن من أفواه حفاظه ومتقنيه وأخذه مباشرة من المصحف .

ولك أن تجلس بجوار عامي يقرأ ، أو بجوار مصحفي ، واستمع إليه ، فسترى من ذلك الشيء الكثير .

---

(١)قرأها هكذا عثمان بن أبي شيبة . وقرأ قوله تعالى ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل** ﴾ قرأها : ﴿ **ألم . تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل** ﴾ وكان حمزة الزيات يتلو القرآن من المصحف، فقرأ يوماً وأبوه يسمع : ﴿ **ألم . ذلك الكتاب لا زيت فيه** ﴾ . فقال أبوه : دع المصحف وتلقن من أفواه الرجال ! . وقرأ بعضهم : قال الله عز وجل . قرأها : قال الله عن رجل . وانظر : «تحقيق النصوص ونشرها » لعبد السلام هارون . ص[٦٩] ط [٥] مكتبة السنة .

ومن أمثلة الخطأ والتحريف في الحديث النبوي [١] كذلك :

قول النبي ﷺ : « يحمل هذا العلم من كل خلف عُدُولُه ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين » [٢]

قرأه بعضهم : « يحمل هذا العلم من كل خلف عَدُوٌّ لهُ . . . »

ولا أدرى وأيم الله كيف يستقيم الحديث بهذا التحريف ! وكيف يكون عدواً للعلم ثم هو ينفي عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين ؟!! .

وثبت في حديث آخر أن النبي ﷺ احتجم وأعطى الحجام أجْرَهُ »[٣] أي : أجرة الحجامة ، لأنها عملٌ يُتقاضَى عليه أجر .

فقرأه بعضهم : « احتجم وأعطى الحجّام آجُرّه » [٤].

والآجرة : الحجر . فيكون المعنى : أعطاه بعد الحجامة حجراً !

وليت شعري : أيُّ شيء يستفيده الحجّامُ من حجر ؟ !!

وقرأ وكيع حديث معاوية بن أبي سفيان : « لعن النبي ﷺ الذين يُشَقّقُون الخُطب تشقيق الشعر » . قرأه « يشققون الحطب »

وكان في الناس حَطّابٌ [يجمع الحطب ويبيعه] فقال : ياقوم ! ماذا

---

(١) انظر :

١ - « التصحيف في الحديث الشريف » للإمام السيوطي .

٢ - « تصحيفات المحدثين » لأبي محمد العسكري

(٢) رواه البيهقي من حديث إبراهيم بن عبدالرحمن العذري مرفوعاً . وهو مرسل وانظر : «المشكاة» [٢٤٨] .

(٣) رواه البخاري [٥٦٩١] في الطب ، ومسلم [١٢٠٢] في السلام باب : لكل داء دواء .

(٤) قال في « مختار الصحاح » : (الآجر) الذي يبنى به ، فارسي معرب . أ . هـ

وقال الحافظ ابن حجر : (الآجر) بالمد وضم الجيم ، هو الطوب المشوي ، ويقال بمد وزيادة واو ، وهو فارسي معرب أ، هـ . « فتح الباري » [٢٩٢/١٣] .

نفعل والحاجة ماسة ؟!

وكان أبو موسى محمد بن المثنى العنزي [من رواة الستة] يقول : «نحن قوم لنا شرف ، صلى إلينا النبي ﷺ » .

يشير إلى ماثبت في الحديث أن النبي ﷺ « صلّى إلى عنزة »[(١)]. وهو من قبيلة تسمى « عنزة » ففهم من الحديث أن النبي ﷺ استقبل قبيلتهم ، وصلّى إليها !! بينما المراد بـ« عنزة » في الحديث : الرمح أو الحربة تغرس في الأرض ، وتكون سترةً بين يدي المصلّي .

وهناك أمثلة أخرى للتحريف والتصحيف وسوء الفهم ، سواء كان ذلك في القرآن أو السنة ، أو غيرهما من العلوم المتفرعة عنهما وهي كثيرة جداً . ولهذا قالوا في التحذير من دراسة الكتب وحدها :

يَظُنّ الغَمْرُ أن الكُتْبَ تهدي ... أخَا فَهْمٍ لإدراكِ العلوم
ومايدري الجهولُ بأنّ فيها ... غوامض حيّرت فهمَ الفهيم
إذا رُمتَ العلومَ بغيرِ شيخٍ ... ضللْتَ عن الطريقِ المستقيم
وتلتَبسُ الأمورُ عليكَ حتى ... تكون أضلّ مِنْ تُوما الحكيم

وقالوا : « من طبّب من بطون الكتب قتل الأنام ، ومن تفقه من بطون الكتب عطل الأحكام » .

وقالوا : « من أعظم البلية تَشيّخ الصحيفة »[(٢)].

(١) انظر «صحيح البخاري» : [٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١] .
(٢) « تذكرة السامع والمتكلم » للكناني ص [٨٧] .

وصدقوا ولله درهم . وإنك لتجد في بعض الكتب - بل في كثير منها- سماً ناقعاً ، وداءً عضالاً !! فالله المستعان .

ولأجل ماتقدم ذكره ؛ فلابد من الدراسة والتحصيل على أيدي المشايخ وأهل العلم ، وخاصة في القرآن ؛ لابد من تصحيح النطق على شيخ متقن ومن السماع له والعرض عليه ثم بعد ذلك يبدأ في الحفظ .

المبحث الرابع : اختيار الشيخ

ولابد أن يختار شيخه وأستاذه ، ومن يقرأ عليه ، فيختاره حافظاً متقناً ، تقياً ورعاً ، عالماً عاملاً ، ذا خلق ودين .

قال الإمام النووي - رحمه الله - : « ولا يتعلم إلا ممن كملت أهليته ، وظهرت ديانته ، وتحققت معرفته ، واشتهرت صيانته ، فقد قال محمد ابن سيرين ، ومالك بن أنس ، وغيرهما من السلف : إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم »(١) أ. هـ

وقد اختار الإمام أبو حنيفة - رحمه الله - شيخه حماد بن سليمان بعد طول تأمل وتفكير ، وكان يقول : « وجدته شيخا وقوراً حليماً »(٢) .

وقال ابن جماعة - رحمه الله - : « وإذا سبرت أحوال السلف والخلف لم تجد النفع يحصل غالباً ، والفلاح يدرك طالباً ، إلا إذا كان للشيخ من التقوى نصيب وافر ، وعلى شفقته ونصحه للطلبة دليل ظاهر .

وكذلك إذا اعتبرت المصنفات ، وجدت الانتفاع بتصنيف الأتقى

---

(١) « التبيان في آداب حملة القرآن » ص [٤٣] . وانظر « مقدمة صحيح مسلم » بشرح النووي .
(٢) انظر : « تعليم المتعلم » ص [١٢] .

الأزهد أوفر ، والفلاح بالاشتغال به أكثر .

وليجتهد أن يكون الشيخ ممن له على العلوم الشرعية تمام الاطلاع ، وله مع من يثق به من مشايخ عصره بحث وطول اجتماع ، لا ممن أخذ من بطون الأوراق ، ولم يعرف بصحبة المشايخ الحذاق » أ . هـ .[1].

فإن شق عليه ذلك ، ولم يتيسر له من اجتمعت فيه كل هذه الصفات ، - خاصة في زماننا هذا - فعليه بالأمثل فالأمثل ، وليسدد وليقارب ، وليكثر من اللجوء إلى الله تعالى [أن يوفقه للعلم والعمل وأن يرزقه بشيخ صالح تقي يطلب على يديه علوم الشرع] وليلهج لسانه ليل نهار بهذا ، فمن أدام قرع الباب أوشك أن يفتح له .

---

(١) انظر : « تذكرة السامع والمتكلم » ص [٨٦ ، ٨٧] .

القاعدة الثالثة : الاقتصاد والتدرج (١)

وعلى من أراد الحفظ أن يترفق بنفسه ، وأن يراعي سنة التدرج ، وأن يقتصد في الحفظ على قدر يتمكن من إتقانه ، وفهمه واستيعابه .

ولايحاول أن يحفظ فوق طاقته وقدرته فذلك ضرره أكثر من نفعه وربما تسبب ذلك في تركه للحفظ جملة .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : « إن للقلوب شهوة وإدباراً ، فاغتنموها عند شهوتها ، ودعوها عند فترتها وإدبارها » .

وكان يقول : « لاتُكرِه قلبك إنّ القلب إذا أُكْرِهَ عَمي » .

وقالوا : « روّحوا عن القلوبِ تِعي الذكر » .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان ، فابتغوا لها طرائف الحكم » .

وقال ابن شهاب الزهري ليونس بن زيد : « يايونس لاتكابر العلم فإن العلم أودية ، فأيها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه ، ولكن خذه مع الأيام والليالي ، ولاتأخذ العلم جملة ، فإن من أخذه جملة نسيه جملة ، ولكن الشيء بعد الشيء مع الأيام والليالي » (٢) أ. هـ .

وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً** ﴾ [الفرقان : ٣٢] .

قال الزرقاني - رحمه الله - في معرض حديثه عن الحكمة من نزول القرآن مفرقاً : « . . . إن في التنجيم تيسيراً من الله في حفظه وفهمه ، ومعرفة أحكامه وحكمه ، وذلك مطمئن للنبي ﷺ على وعي مايوحى

---

(١) انظر في هذه القاعدة :
١ - « فتح الباري » [١١ / ٣٠٠] باب : القصد والمداومة على العمل .
٢ - « رياض الصالحين » : باب الاقتصاد في الطاعة .
(٢) « جامع بيان العلم وفضله » [ص ١٣٨] .

إليه حفظاً وفهماً ، وأحكاماً وحكماً ، كما أن فيه تقوية لنفسه الشريفة على ضبط ذلك كله » . (١)

وقال في الحكمة الثانية من نزول القرآن مفرقاً : « . . . التدرج في تربية هذه الأمة الناشئة ، علماً وعملاً ، وهذا يشتمل على أمور منها : تيسير حفظ القرآن على هذه الأمة الأمية ، ولو نزل القرآن جملة واحدة لعجزوا عن حفظه ، فاقتضت حكمة الله أن ينزله إليهم مفرقاً ليسهل عليهم حفظه ويتهيأ لهم استظهاره ، ومنها : تسهيل فهمه عليهم . . . » أ.هـ . (٢)

وقال الخطيب البغدادي رحمه الله : « واعلم أن القلب جارحة من الجوارح تحتمل أشياء وتعجز عن أشياء كالجسم .

فبعض الناس يستطيع حمل مائتي رطل ، ومنهم من يعجز عن عشرين رطلاً ، ومن الناس من يمشي فراسخ في يوم ولايعجزه ، ومنهم من يمشي بعض ميل فيضره ذلك ، ومنهم من يأكل من الطعام أرطالاً ، ومنهم من يتخمه الرطل فما دونه .

فكذلك القلب : من الناس من يحفظ عشر ورقات في ساعة ، ومنهم من لايحفظ نصف صفحة في أيام ، فإذا ذهب الذي مقدار حفظه نصف صفحة يروم أن يحفظ عشر ورقات تشبهاً بغيره : لحقه الملل ، وأدركه الضجر ، ونسي ماحفظ ، ولم ينتفع بما سمع .

فليقتصر كل امرئ من نفسه على مقدار يبقى فيه مالايستفرغ كل نشاطه ، فإن ذلك أعون له على التعليم مع الذهن الجيد ، والمعلم الحاذق .

---

(١) مناهل العرفان [١ / ٥٣] . بتصرف ومعنى التنجيم : أي التفريق والمراد نزول القرآن مفرقاً على الحوادث والأزمنة المختلفة .

(٢) المرجع نفسه [١ / ٥٥ - ٥٦] بتصرف .

وينبغي أن يجعل لنفسه مقداراً كلما بلغه وقف عنده ، ولا يزيد عليه ؛ فإن ذلك بمنزلة البنيان . ألا ترى أن من أراد أن يستجيد البناء بنى أذرعاً يسيرةً ، ثم ترك حتى يستقر ، ثم يبني فوقه ، ولو بنى البناء كله في يوم واحد لم يكن بالذي يستجاد ، وربما انهدم بسرعة ، وإن بقي كان غيرمحكم ؛ فكذلك المتعلم ينبغي أن يجعل لنفسه حداً ، كلما انتهى إليه وقف عنده ؛ حتى يستقر مافي قلبه ، ويريح بتلك الوقفة نفسه» أ. هـ . (١)

وكان السلف الصالح يأخذون أنفسهم بالاقتصاد والتدرج وينصحون غيرهم بذلك ، وسار على منوالهم من جاء بعدهم ممن سلك سبيلهم إلى أيامنا هذه .

فهذا سفيان الثوري يقول : « كنت آتي الأعمش ومنصوراً فأسمع أربعة أحاديث خمسة ، ثم أنصرف كراهة أن تكثر وتفلت » .

وهذا شعبة يقول : « كنت آتي قتادة فأسأله عن حديثين فيحدثني ثم يقول : أزيدك . فأقول : لا ، حتى أحفظهما وأتقنهما » .

وقال أبو هلال العسكري : « رأي معلم محمد بن داود بن الجراح ، على دفتر له دماً فسأله عنه فقال : إني كنت على السراج أدرس في الليالي الحارة فأرعف ، فقال له : إنما تطلب العلم لنفسك ، فإذا أتلفت نفسك ، فما ينفعك علمك . وقد قال عمر بن عبدالعزيز : « إن نفسي مطيتي فإذا حملت عليها خسرتها » . فقال محمد بن داود : قال بعض الأوائل : « إن لم تصبر على تعب العلم صبرت على شقاء الجهل » .

(١) انظر : « الفقيه والمتفقه » ص [١٠٠ ، ١٠٨] بتصرف .

فقال له المعلم : « صدق هذا القائل ، ولكن تجاوز الاعتدال في طلب العلم ربما أدى إلى تضييعه . . »(١) أ . هـ .

وفي الحديث : « ألا إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى »(٢) .

وعند البخاري وغيره « . . . إن لربك عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، فأعط كل ذي حق حقه »(٣) .

وقال أبو العالية : « تعلموا القرآن خمس آيات ، خمس آيات ، فإن النبي ﷺ كان يأخذه من جبريل خمساً خمساً »(٤) .

و عند البيهقي في « الشعب » عن علي بن بكار الزاهد قال : « قال بعض أهل العلم : من تعلم خمساً خمساً لم ينسه » .(٥)

وعنده أن مالكاً رحمه الله يوم عاب العجلة في الأمور قال : « قرأ عبدالله بن عمر البقرة في ثمان سنين »(٦) .

فعلي من أراد الحفظ أو الدراسة والتحصيل [أو أي عمل من أعمال الخير] أن يراعي سنة التدرج ، وأن يترفق بنفسه ، وأن يقتصر على مايمكنه فهمه واستيعابه ، فإنه بذلك يحصل علوماً كثيرة جداً مع راحة نفسه وعدم إملالها .

---

(١) انظر : « الجامع في الحث على حفظ العلم »ص [٤٨] .
(٢) رواه البزار والبيهقي وغيرهما وضعفه الألباني . وانظر « الضعيفة » [٢٤٨٠] .
(٣) رواه البخاري [١٩٦٨] كتاب الصوم ، والترمذي [٢٤١٣] كتاب الزهد : من قول سلمان الفارسي لأبي الدرداء - رضي الله عنهما - ينصحه بالترفق بنفسه في العبادة وأقره النبي ﷺ .
(٤) رواه ابن أبي شيبة [١٠/ ٤٦١] وأبو نعيم [٢/ ٢١٩] والبيهقي في « شعب الإيمان » [٤/ ٥١٢ ، ٥١٣] وهو مرسل . وأبو العالية تابعي ثقة .
(٥) انظر : « الجامع لشعب الإيمان » [٤ / ٥١١ ، ٥١٣] .
(٦) « المصدر نفسه » [٤/ ٥١١ ، ٥١٣]

القاعدة الرابعة : التكرار أساس الحفظ [(١)]

وعلى طالب الحفظ ومريده ، أن يكثر من التكرار ، وأنْ يُمَرّنَ نفسه على سرعة الحفظ والاستحضار فإن الحفظ في أوله صعب وشاق ، فإذا اعتاده الإنسان سَهُل عليه .

قال ابن شهاب الزهري : « إن الرجل ليطلب العلم وقلبه شِعبٌ من الشِعاب [(٢)] ، ثم لايلبث أن يصير وادياً ، لايُوضَعُ فيه شئٌ إلا التهمه »

وقال غيره : « كلُّ وعاءٍ أفرغتَ فيه شيئاً فإنه يضيق ، إلا القلب فإنه كلما أُفرغ فيه اتسع » .

وكان الكيّا الهرّاسي [(٣)] يُراجع درسه أكثر من سبعين مرة .

وكان أبو اسحاق الشيرازي يعيد الدرس مائة مرة إذا أراد أن يحفظه .

وقال الحسن بن أبي بكر النيسابوري : « لايحصل الحفظ لي حتى يُعادَ خمسين مرة » .

وذكروا أن فقيهاً أعاد الدرس في بيته مراراً كثيرة ، فقالت له عجوز في بيته : قد والله حفظته أنا . فقال : أعيديه ؟ فأعادته فلما كان بعد أيام قال : ياعجوز أعيدي علي ذلك الدرس . فقالت : ما أحفظه . قال : أنا أكرر عدَّ الحفظ ، لئلا يصيبني ما أصابك .

---

(١) انظر في هذه القاعدة :
١ - « الحث على حفظ العلم » لابن الجوزي
٢ - « الفقيه والمتفقه » للخطيب البغدادي .
٣ - « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » للخطيب البغدادي .
(٢) أي : صغير لايتسع لكثير من مسائل العلم.
(٣) من مشاهير علماء الشافعية وانظر ترجمته في « السير » [١٨/ ٤٥٢] .

ومقدار الإعادة والتكراز يختلف من شخص لآخر ، فمن عرف من نفسه جودة الحفظ ، وإتقانه من مرة أو مرتين أو ثلاث فليقتصر على ذلك ، وإلا زاد في التكرار حتى يتقن محفوظه ويثبته .

وعن معاذ بن معاذ قال : « كنا بباب ابن عون ، فخرج عليناشعبة ، وقد عقد بيديه جميعاً ، فكلمه بعضنا ، فقال : لاتكلمني ، فإني قد حفظت عن ابن عون عشرة أحاديث ، أخاف أن أنساها » (١)

وقال أبو السمح الطائي : « كنت أسمع عمومتي في المجلس ينشدون الشعر ، فإذا استعدتهم ، زجروني وسبُّوني ، وقالوا : تسمع شيئاً ولاتحفظه ؟ قال : وكان الحفظ يتعذر علي حين ابتدأت أرُومُه ، ثم عودته نفسي ، إلى أن حفظت قصيدة رُؤبة : « وقاتِمُ الأعماقِ خاوي المخترق » في ليلة ، وهي قريب من مائتي بيت » .

فالحفظ إنما يأتي بالتكرار والمِرَان ، وكلما كان التكرار أكثر ، كلما كانت قاعدة الحفظ أقوى وأمتن .

---

(١) فيه فائدة : أن التكرار كلما كان بعد السماع مباشرة ، كان أفضل وأثبت ، وأن خلط ما يريد حفظه بكلام الناس ليس بجيد ، وقد قال تعالى : ﴿ **وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين** ﴾ [الأنعام : ٦٨] .

وانظر : « الجامع في الحث على حفظ العلم » ص [١٩٣] .

القاعدة الخامسة : رفع الصوت والتغني بالتلاوة

وفيها ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الجهر بالقراءة

وينبغي على من أراد الحفظ أن يرفع صوته بما يريد حفظه مع تكراره له ، لاسيما إذا كان المحفوظ قرآنا . (١)

وذلك أنه كلما اشتركت حواس أكثر في الحفظ ، كلما كان الحفظ أقوى ، ومنفذ السمع إلى القلب أقوى من منفذ البصر إليه ولهذا كان حفظ العميان أثبت وأقوى وأفضل من حفظ غيرهم .

١ - وفي « الصحيح » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن ، يجهر به » (٢) .

---

(١) ولايتعارض رفع الصوت بالقرآن مع مارواه أبو داود [١٣٣٣] والترمذي [٢٩٢٠] والنسائي [٥/ ٨٠] وغيرهم من حديث عقبة بن عامر مرفوعاً : « فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية » . فإنه قد ثبت في أحاديث صحيحة : استحباب رفع الصوت بالتلاوة . . وطريق الجمع بين النصوص ماقاله الإمام الغزالي في « الإحياء » [١/ ٢٧٨ ، ٢٧٩] : « وطريق الجمع بين الأخبار والآثار المختلفة في هذا : إن كان الإسرار أبعد من الرياء فهو أفضل في حق من يخاف ذلك ، فإن لم يخف الرياء بالجهر ورفع الصوت ، فالجهر ورفع الصوت أفضل ، لأن العمل فيه أكثر ، ولأن فائدته تتعدى إلى غيره ، والنفع المتعدي أفضل من اللازم ، ولأنه يوقظ قلب القارئ ، ويجمع همه إلى الفكر فيه ، ويصرف سمعه إليه ، ويطرد النوم ويزيد النشاط ، ويوقظ غيره من نائم أو غافل وينشطه . قالوا : ومهما حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل ، فإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر » أ.هـ وانظر : « التبيان » ص[١٠٣ - ١٠٩] .

(٢) رواه البخاري [٥٠٢٣] ومسلم [٧٩٢] وأبو داود [١٤٧٣] والنسائي [٢/ ١٨٠] وغيرهم .

ومعنى أذن : أي : استمع وهو إشارة إلى الرضا والقبول .

٢ – وعن أبي موسى رضي الله عنه مرفوعاً « إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالليل حين يدخلون ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ، وإن لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار »(١).

وعن ابن أبي داود عن علي رضي الله عنه : أنه سمع ضجة ناس في المسجد يقرؤون القرآن . فقال : طوبى لهؤلاء ؛ كانوا أحب الناس إلى رسول الله ﷺ .

قال أبو هلال العسكري : وينبغي للدارس أن يرفع صوته في درسه حتى يسمع نفسه ، فإن ماسمعته الأذن رسخ في القلب ، ولهذا كان الإنسان أوعى لما يسمعه منه لما يقرأه ، وإذا كان المدروس مما يفسح طريق الفصاحة ، ورفع به الدارس صوته زادت فصاحته . . . وحكى لي عن أبي حامد أنه كان يقول لأصحابه : إذا درستم فارفعوا أصواتكم ، فإنه أثبت للحفظ وأذهب للنوم . وكان يقول : « القراءة الخفيفة للفهم ، والرفيعة للحفظ » أ . هـ . (٢) .

وقال الزبير بن بكار : « دخل أبي ؛ وأنا أروي في دفتر ولا أجهر ، أروي فيما بيني وبين نفسي . فقال لي : إنما لك من روايتك هذه ما أدى بصرك إلى قلبك ، فإذا أردت الرواية فانظر إليها واجهر بها ، فإنه

---

(١) رواه البخاري [٤٢٣٢] ومسلم [٢٤٩٩] .

(٢) وانظر : « الجامع في الحث على حفظ العلم » ص[٣٧] . وقوله : الخفيفة : أي الصوت المنخفض . . والرفيعة : الصوت المرتفع .

يكـــون لك مـــا أدى بصـــرك إلى قلبـــك ومـــا أدى ســـمـــعـــك إلى قلبـــك»أ. هـ. (١).

المبحث الثاني : التغني وتحسين الصوت بالتلاوة (٢)

وينبغي عند رفع ا لصوت بالقرآن ، أن يحسن صوته ما استطاع وأن يتغنى بتلاوته وفي ذلك فوائد :

منها : اتباع لسنة النبي ﷺ ، واقتفاء لأثره .

ومنها : تثبيت الحفظ لأن التغني محبب إلى النفس وذلك يساعد على الحفظ ، ويعود اللسان على صوت معين ، ونغمة معينة ، فيتعرف على الخطأ رأساً عندما يختل وزن القراءة التي اعتادها للآية ، فيشعر القارئ أن لسانه لايطاوعه بالنطق عند الخطأ .

وقد رغب النبي ﷺ في تحسين الصوت بالقرآن والتغني به :

١ – ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً « ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن ، يجهر به » (٣)

---

(١) وينبغي في رفعه للصوت عند حفظه وتكراره أن يراعي الحالة التي هو عليها والمكان الذي هو فيه ، فإن كان في مسجد أو حلقة علم أو مكان يوجد معه فيه غيره من ذاكر لله تعالى ، أو مصل أو قارئ للقرآن أو نحو ذلك فإنه يسر بالتلاوة حينئذ ولا يؤذي إخوانه .

(٢) انظر في هذا المبحث :

١ – «رياض الصالحين »، « التبيان » كلاهما للإمام النووي .

٢ – « الترغيب والترهيب» للإمام المنذري .

(٣) تقدم تخريجه .

٢ – وعن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه قال : « رأيت النبي ﷺ يقرأ وهو على ناقته [أوجمله] وهي تسير به وهو يقرأ سورة الفتح [أو من سورة الفتح] قراءة لينة يقرأ وهويرجع »(١).

٣ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من لم يتغن بالقرآن فليس منا »(٢) أي : من لم يحسن صوته في تلاوة القرآن .

٤ – وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له : «لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود » وفي رواية « لو رأيتني وأنا استمع لقراءتك البارحة »(٣).

والمراد بالمزمار هنا : الإشارة إلى حسن صوته – رضي الله عنه – .

قال في « النهاية » : شبه حسن صوته وحلاوة نغمته بصوت المزمار . أ.هـ .

ولحسن صوته – رضي الله عنه – كان الصحابة يطلبون منه القراءة ويستمعون إليه . فعن أبي سلمة قال : كان عمر إذا جلس عنده أبو موسى قال له ، ذكرنا يا أبا موسى . فيقرأ عنده (٤).

---

(١) رواه البخاري [٥٠٤٧] باب الترجيع ، كتاب فضائل القرآن .
وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة : معنى الترجيع تحسين التلاوة لاترجيع الغناء ، لأن القراءة بترجيع الغناء تنافي الخشوع الذي هو مقصود التلاوة » أ.هـ وانظر : « الفتح » [٨/ ٧١٠] فإنه هام .

(٢) رواه البخاري [٧٥٢٧] وهو عند أبي داود [١٤٧٠] وأحمد [١/ ١٧٢] وابن ماجه [١٣٣٧] والدارمي [١٤٩٨] من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري [٥٠٤٨] ، ومسلم [٧٩٣] والترمذي [٣٨٥٤] .

(٤) انظر : سنن الدارمي [٣٤٩٦] في فضائل القرآن .

وقال أبو عثمان النهدي : ماسمعت مزماراً ولاطنبوراً أحسن من صوت أبي موسى الأشعري ، إن كان ليصلي بنا فنود أنه قرأ البقرة من حسن صوته (١) .

٥ - وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ « قرأ في العشاء بالتين والزيتون ، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه» (٢) .

٦ - وعنه رضي الله عنه مرفوعاً « حسنوا القرآن بأصواتكم ، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً » (٣) .

٧ - وعنه مرفوعاً « زينوا القرآن بأصواتكم » (٤) .

فتحسين الصوت بتلاوة القرآن يزيده حلاوة وطلاوة ، وحسناً وتأثيراً، ونفوذاً إلى القلب بإذن الله تعالى .

ولهذا يستحب للقارئ أن يحسن صوته ما استطاع ، وليس ذلك من الرياء في شئ كما يظنه بعض الموسوسين ، وقد وصف كثير من السلف الصالح بحسن أصواتهم ولو كان ذلك من الرياء لتركوه .

وقد قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه لما علم أن النبي ﷺ كان يستمع إليه في قراءته : « لو علمت لحبرته لك تحبيراً » (٥) .

(١) « نزهة الفضلاء » [١/ ١٦٩] .

(٢) رواه البخاري [٧٦٧] ومسلم [٤٦٤] .

(٣) رواه الحاكم في المستدرك والدارمي في السنن وابن نصر في « الصلاة » وصححه الألباني وانظر : « صحيح الجامع » [٣١٤٥] .

(٤) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم . وانظر « صحيح الجامع » [٣٥٨٠] .

(٥) وانظر : « نزهة الفضلاء » [١/ ١٦٨] .

وعن علقمة قال : كنت رجلاً قد أعطاني الله حسن الصوت بالقرآن ، وكان ابن مسعود يرسل إلي ، فأقرأ عليه ، فإذا فرغت من قراءتي قال : «زدنا فداك أبي وأمي » [١]

وعن الأعمش قال : كان يحيى بن ثابت من أحسن الناس قراءة ، وربما اشتهيت أن أقبل رأسه من حسن قراءته . وكان إذا قرأ لانسمع في المسجد حركة ، كأن ليس في المسجد أحد [٢] .

وقال أبو بكر بن عياش : لما هلك أبو عبدالرحمن ، جلس عاصم [٣] يقرئ الناس ، وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن حتى كأن في حنجرته جلاجل .

واقرأ تراجم القوم تجد من ذلك شيئاً كثيراً .

المبحث الثالث : الوسطية والاعتدال

ويجب على من يتغنى بالتلاوة ، ويحسن صوته فيها ، ويرفع صوته بها ، أن يراعي أحكام التلاوة والتجويد ، وأن لايكون تجميل صوته وتحسينه على حساب هذه الأحكام فيطيل في الغنن والمدود ولا يراعي أماكن الوقف والابتداء والتي وضعها القراء مراعاة للمعاني ، ولايهتم بالتفخيم والترقيق أو الإخفاء والإقلاب والإدغام وغير ذلك من أحكام التلاوة المعروفة .

ومع ذلك : لاينبغي أن يدفعه الحرص على القراءة بالتجويد إلى أن

---

(١) « المصدر نفسه » [١/ ٣٣٢] .

(٢) « المصدر نفسه » [١/ ٤٠٢] .

(٣) هو عاصم بن أبي النجود . وانظر : « المصدر نفسه »[١/ ٤٨٧] .

يكون موسوساً فيقرأ الآية مرات كثيرة ، ويدقق في اخراج الحروف من مخارجها ، ويشق على نفسه ، ويجهدها فوق طاقتها ، والشيطان من وراءه بالمرصاد ، يوهمه مع كل هذا التعب أنه أخطأ وما أخرج هذا الحرف أو ذاك من مخرجه ، فلابد من التوسط والاعتدال . .

ولله در القائل (١) :

يامَنْ يرُومُ تلاوةَ القُرآن ويَرودُ شأوَ أئمة الإتقَان
لاتحسبِ التجويدَ مداً مُفرطاً أو مدّ مالامد فيه لوانَي
أو أن تُشدّد بعدَ مدٍّ همزة أو أنَ تلوكَ الحرفَ كالسكران
أو أن تفُوَه بهمزة مُتَهوِّعاً فَيَفِرّ سامعُها مِنَ الغَثيان
للحرفِ ميزان فلاتكُ طاغياً فيه ولَاتكَ مُخسِرَ الميزانِ
فإذا همزتَ فجِئْ به مُتلطفاً من غير ما بُهر وغيرِ توان
وامدُد حروفَ المدّ عندَ مُسَكّن أو همزةٍ حَسناً أخَا إحسان

قال الإمام النووي رحمه الله : « قال العلماء رحمهم الله تعالى : فيستحب تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها ؛ مالم يخرج عن حدّ القراءة بالتمطيط فإن أفرط حتى زاد حرفاً أو أخفاه فهو حرام » . أ. هـ .

وقال الإمام الماوردي في كتابه « الحاوي » : « القراءة بالألحان الموضوعة إن أخرجت لفظ القرآن عن صيغته بإدخال حركات فيه أو إخراج حركات منه ، أو قصر ممدود ، أو مد مقصور ، أو تمطيط يخل به

(١) قاله الإمام أبو الحسن ، علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي [ت ٦٤٣هـ] رحمه الله تعالى ، في مطلع قصيدته المسماة « عمدة المفيد وعدة المجيد في معرفة التجويد » .

اللفظ ، ويلتبس به المعنى ، فهو حرام ، يفسق به القارئ ، ويأثم به المستمع ، لأنه عدل به عن نهجه القويم إلى الاعوجاج ، والله تعالى يقول : ﴿ **قرآناً عربياً غير ذي عوج** ﴾ [الزمر : ٢٨] قال : فإن لم يخرجه اللحن عن لفظه وقراءته على ترتيله ، كان مباحاً ، لأنه زاد بألحانه في تحسينه » أ. هـ .

وقال الإمام النووي عقب هذا الكلام مباشرة : « وهذا القسم الأول [١] من القراءة بالألحان معصية ابتلي بها بعض العوام الجهلة ، والطغام الغشمة ، والذين يقرؤون على الجنائز ، وفي بعض المحافل ، وهذه بدعة « محرمة » ظاهرة يأثم كل مستمع لها [كما قاله « الماوردي »] ويأثم كل قادر على إزالتها ، أو على النهي عنها إذا لم يفعل ذلك » . أ. هـ [٢]

---

(١) يعني : ماخرج به القارئ عن حد الإعتدال فأخل باللفظ أو المعنى .

(٢) انظر : « التبيان » للإمام النووي : ص [١١١ ، ١١٢] .

القاعدة السادسة : العمل بما يحفظه ويتعلمه (١)

أخرج أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه « فضائل القرآن » عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة في تأويل قوله تعالى :

﴿ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ، ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون ﴾ [البقرة : ١٢١] . قالوا : « يتبعونه حق اتباعه » .

وعن مجاهد في تأويل قوله تعالى : **﴿ ولاتنس نصيبك من الدنيا ﴾** [القصص : ٧٧] قال : « عمرك أن تعمل فيه لآخرتك » . أ. هـ .

وأهل القرآن هم العالمون بمعانيه ، العاملون بما فيه ، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب ، وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل بما فيه ، فليس من أهله ، وإن أقام حروفه إقامة السهم .

فمن أراد أن يثبت له حفظه ، وأن ينال في الآخرة أجره وحظه ، فليعمل بكل حرف يتعلمه من كتاب الله تعالى ومن حديث النبي ﷺ ، وأن لايجعل حظه من القرآن مجرد التلاوة والسماع ، وإلا كان هذا القرآن سبباً في شقائه وهلاكه والعياذ بالله .

فكم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنه ! والقرآن إما حجة لك أو حجة عليك ، فإن أحسنت تلاوته وفهمه والعمل به مع الإخلاص لله فيه ،

---

(١) انظر في هذه القاعدة :

١ – « اقتضاء العلم العمل » للخطيب البغدادي .

٢ – « تفسير القرطبي » [١ / ٣٦٤ – ٣٧١] الطبعة الثالثة – دار الكاتب العربي .

فاعلم أنك من الناجين المقربين ، وأنك في جنان الخلد ، وفي جوار الرب - تبارك وتعالى- ، وأما إن تلوته وحفظته فلم تخلص لله في تلاوته وحفظه ، ولم تعمل بما حفظته منه وتعلمته ، فالنار النار .

فاجعل حفظك للقرآن ، حفظ عمل ورعاية ، لاحفظ قراءة وتلاوة . فإن حفاظ القرآن كثير ، والعاملين به أقل من القليل ، ورب حاضر كالغائب وعالم كالجاهل ، ورب حافظ للقران وليس معه منه شيء ، إذ كان في تركه للعمل به بمنزلة الذاهب عن معرفته وعلمه .

١ - صح عن النبي ﷺ أنه قال : « تعلموا القرآن ، وسلوا الله به الجنة قبل أن يتعلمه قوم ، يسألون به الدنيا ، فإن القرآن يتعلمه ثلاثة : رجل يباهي ورجل يستأكل به ، ورجل يقرأه لله »(١).

٢ - وصح عنه أنه قال : « اقرؤا القرآن ، ولاتأكلوا به ، ولاتستكثروا به ، ولاتجفوا عنه ، ولاتغلوا فيه »(٢).

٣ - وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله ، الذين كانوا يعملون به في الدنيا ، تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما »(٣) .

فتأمل قوله : « . . . الذين كانوا يعملون به في الدنيا » .

ولقد كان أصحاب النبي ﷺ ، ومن جاء بعدهم من التابعين ومن سلك سبيلهم يعملون بما يتعلمون ، وما أكثروا من العلم إلا وأكثروا معه

---

(١) انظر : « سلسلة الأحاديث الصحيحة » [٢٥٨] .

(٢) « المصدر نفسه » [٢٦٠] .

(٣) رواه مسلم [٨٠٥] ، والترمذي [٢٨٨٦] .

من العمل .

قال أبو عبد الرحمن السلمي – رحمه الله – : « حدثنا الذين كانوا يقرؤوننا القرآن ، عثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود وغيرهما : أنهم كانوا إذا تعلموا عن النبي ﷺ عشر آيات ، لم يتجاوزوها حتى يتعلموها ومافيها من العلم والعمل . قالوا : فتعلمنا العلم والعمل جميعاً » (١) .

وقال الحسن البصري رحمه الله : « إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل، وجعلتم الليل جملاً تركبونه ، فتقطعون به المراحل . وإن من كان قبلكم ، رأوه رسائل من ربهم ، فكانوا يتدبرونها بالليل ، وينفذونها في النهار » .

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول : « أنزل عليهم القرآن ليعملوا به ، فاتخذوا درسه عملاً ، وإن أحدهم ليتلو القرآن من فاتحته إلى خاتمته مايسقط منه حرف ، وقد أسقط العمل به » .

وقد ذم الله أقواماً في كتابه الكريم ، لأنهم تركوا العمل بما علموه من العلم والخير ، فقال سبحانه : ﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**﴾ [البقرة : ٤٤] .

أين عقولكم يامن تعلمون الخير الكثير ولاتعملون به ؟! .

أين عقولكم يامن توجهون الناس إلى الخير وتدعونهم إليه ؛ ثم تخالف أعمالكم مالاكته ألسنتكم ! وأمرتم به غيركم ؟!!

---

(١) انظر « نزهة الفضلاء » [١/ ٣٨٣] .

إن قـــومـــاً يأمـُــرُونا بالـذي لايفـــــعلـونـا
لمجـــــــانـين وإن هُـمْ لم يكونُوا يَضْـرَعُـونا [١]

وقال سبحانه فيهم ﴿ **مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها ، كمثل الحمار يحمل أسفاراً ، بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ، والله لايهدي القوم الظالمين** ﴾ [الجمعة : ٥] [٢] .

وهذا مثل كل من أوتي علماً وفقهاً في الدين ، وحفظاً لنصوص الوحي الكريم ثم لايعمل بذلك ، مثله في الدنيا « كالحمار يحمل أسفاراً » وياقبحه من مثل . . ومثله كذلك في الآخرة .

٤ - ففي مسند الإمام أحمد [والحديث في الصحيحين] عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : «يُؤْتَى بالرجل يوم القيامة

---

(١) وقال أبو الأسود الدؤلي :

يا أيهـــا الرجل المعلّمُ غـــيـــره هلاّ لنفـــسِكَ كـــان ذا التـــعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى كـــيـــمـــا يصح به وأنت ســقـيم
وأراك تصلح بالرشـــاد عـــقــولنا نصـــحـــاً وأنت من الرشـــاد عـــديم
ابدأ بنفـسك فـانهـهـا عن غـيـهـا فـــإذا انتـــهـت عنه فـــأنت حكيم
فـهناك يقـبل مـاتقـول ويُقـتـدى بالقـــول منك وينفع التـــعليم
لاتنـهَ عن خُلقٍ وتأتيَ مـــثـلـه عـــار عليك إذا فـــعلت عظيم

(٢) وانظر : تأويل قوله تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** ﴾ الصف [٢ ، ٣] .

فيلقى في النار ، فتندلق أقتابه [١] ، فيدور بها ، كما يدور الحمار بالرحى، فيقال : أليس كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ قال : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه » .

٥ – وعن جندب بن عبدالله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه » [٢] .

وقال الشافعي رحمه الله : « ليس العلم ماحفظ ، إنما العلم مانفع » .

وقال إسماعيل بن إبراهيم بن مجمع بن جارية رحمه الله : « كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به » .

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله : « أجهل الناس من ترك مايعلم ، وأعلم الناس من عمل بما يعلم ، وأفضل الناس أخشعهم لله » .

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : « لايزال العالم جاهلاً بما علم حتى يعمل به فإذا عمل به كان عالماً »

ولما قيل للشعبي – رحمه الله – ياعالم . قال : لست بعالم ، إنما العالم من يخشى الله ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ [فاطر : ٢٨] .

٦ – وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لاتزول قدما عبدٍ يوم القيامة ، حتى يسأل عن أربع ، عن عمره فيما

---

(١) أقتابه : أي أمعاؤه . وانظر : « اقتضاء العلم العمل » ص [٥٢] . بتحقيق الألباني والحديث رواه أحمد [٥/ ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩] ، والبخاري [٣٢٦٧] ومسلم [٢٩٨٩] وانظر : «فتح الباري » [٦/ ٣٧٩ ، ٣٨٥] .

(٢) رواه الطبراني في الكبير وصححه الألباني وانظر : « اقتضاء العلم العمل » ص [٤٩] .

أفناه ، وعن علمه ماذا عمل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه » (١)

وقال الخطيب البغدادي - رحمه الله - : « ثم إني موصيك ياطالب العلم بإخلاص النية في طلبه ، وإجهاد النفس على العمل بموجبه ، فإن العلم شجرة ، والعمل ثمرة وليس يعد عالماً ، من لم يكن بعلمه عاملاً ، فلا تأنس بالعمل ماكنت مستوحشاً من العلم ، ولاتأنس بالعلم ما كنت مقصراً في العمل ، لكن اجمع بينهما وإن قل نصيبك منهما » (٢) .

وقال بعض الحكماء : « العلم خادم العمل ، والعمل غاية العلم ، فلولا العمل لم يطلب علم ، ولولا العلم لم يطلب عمل ، ولأن أدع الحق جهلاً به ، أحب إلي من أن أدعه زهداً فيه » .

وقال مالك بن دينار رحمه الله : « إن العبد إذا طلب العلم للعمل كسره علمه ، وإذا طلبه لغير ذلك ازداد به فجوراً أو فخراً » .

وقال رحمه الله « تلقى الرجل ومايلحن حرفاً وعمله لحن كله »

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « لايغرركم من قرأ القرآن، إنما هو كلام نتكلم به ، ولكن انظروا من يعمل به » .

وعن الفضيل بن عياض - رحمه الله - قال : « إنما نزل القرآن ليعمل به فاتخذ الناس قراءته عملاً . قيل : وكيف العمل به ؟ قال : يحلوا

---

(١) رواه الدارمي والترمذي [٢٤١٧] وقال : حسن صحيح وصححه الألباني . وانظر : إقتضاء العلم العمل » ص [١٦] ، وانظر : « صحيح الترمذي » للألباني [١٩٧٠/ ٢٥٤٥] .

(٢) « اقتضاء العلم العمل» ص [١٤ ، ١٥] بتصرف .

حلاله ويحرموا حرامه ، ويأتمروا بأوامره وينزجروا عن زواجره ، ويقفوا عند عجائبه » .

فعلى من أراد العلم والحفظ في الدنيا ، والنجاة والسعادة في الآخرة ؛ أن يعمل بكل حرف درسه وتعلمه وحفظه .

وإن من فوائد العمل بالمحفوظ من العلم :

١ - تثبيت الحفظ . ولهذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : «هتف العلم بالعمل ، فإن أجابه وإلا ارتحل » .

٢ - أن يكون في المحفوظ [من العلم وإن كان قليلاً] بركة ونفعاً وقد قيل : « من عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم » .

وقال سبحانه ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله** ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

وإن لكل شئ زكاة ، وزكاة العلم العمل به ، فما أديت زكاته بورك فيه ، وحصل به النفع ، وإلا محقت بركته .

القاعدة السابعة : الفهم طريق الحفظ

قال تعالى : ﴿ **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب** ﴾ [ص : ٢٩] .

وقال تعالى : ﴿ **ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون** ﴾ [الأعراف : ١٧٦] .

وقال سبحانه : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** ﴾ [محمد : ٢٤] .

« دلت هذه الآية - وما في معناها من آيات - على وجوب التدبر في القرآن ليعرف معناه »(١) .

وذلك لأن التدبر هو الطريق إلى إدراك معاني القرآن ، وفهم مراميه ، ومعرفة أحكامه وتكاليفه ، وهذا من آكد الواجبات .

وإن الفهم والتدبر للآيات المحفوظة ، ومعرفة أوجه ارتباط بعضها ببعض ؛ لمن أعظم مايعين على حفظ القرآن ، ولذا ينبغي على الحافظ للقرآن أن يقرأ تفسيراً للآيات التي حفظها ، وأن يعلم أوجه ارتباط بعضها ببعض ، وأن يكون حاضر الذهن عند القراءة ، وذلك ليسهل عليه استذكار الآيات واستحضارها .

[ومع ذلك ينبغي أن لايجعل الاعتماد في حفظه على الفهم وحده

---

(١) وانظر في تفسير هذه الآية : « تفسير القرطبي » [١٦/ ٢٤٦] ، و « فتح القدير » ط . دار الخير [٥/ ٤٥] ، و « تيسير الكريم الرحمن » [٧/ ٨٠] وانظر لزاماً « أضواء البيان » [٧/ ٤٢٨ ، ٥٢٩] ط مكتبة ابن تيمية ، فقد توسع في الكلام عليها ، وأتى بمسائل يحسن بطالب العلم معرفتها والوقوف عليها .

للآيات ، بل يجب أن يكون الترديد للآيات هو الأساس ، وذلك حتى ينطلق اللسان بالقراءة وإن شت الذهن أحياناً عن المعنى .

وأما من اعتمد على الفهم وحده فإنه ينسى كثيراً وينقطع عن القراءة بمجرد شتات ذهنه ، وهذايحدث كثيراً ، وخاصة عند القراءة الطويلة] (١) .

وقد ذم النبي ﷺ أقواماً ، لكونهم يقرؤون القرآن ولا يتدبرونه ولا يفهمونه ، فهم يتلونه ولا يجاوز تراقيهم وحناجرهم ففي الحديث «يخرج قوم في آخر الزمان يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، إذا لقيتموهم فاقتلوهم » (٢) .

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن ناساً من أمتي سيما هم التحليق ، يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، هم شرار الخلق والخليقة » (٣) .

وقد كانت قراءة النبي ﷺ متأنية ، كلها تدبر وخشوع ووصفت أم سلمة رضي الله عنها قراءته بأنها : « قراءة مفسرة حرفاً حرفاً » (٤) .

وأخرج الآجرى في « أخلاق حملة القرآن » عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال [في القرآن] : « لاتنثروه نثر الدقل (٥) ولاتهذوه هذ الشعر ، قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ، ولايكن هم أحدكم

---

(١) وانظر « القواعد الذهبية » لعبد الرحمن عبدالخالق .

(٢) رواه ابن ماجه [١/ ٦٢] من حديث أنس بن مالك مرفوعاً .

(٣) انظر « صحيح مسلم »[١٠٦٦] .

(٤) رواه أبو داود [١٤٦٦] والترمذي [٢٩٢٤] والنسائي [٣/ ٢١٤] .

(٥) الدقل : رديء التمر .

آخر السورة » .

وينبغي على القارئ في قراءته أن يكون حاضر القلب ، منتبه الذهن ، متفاعلاً مع الآيات التي يقرأها ، فعند الترمذي والحاكم من حديث جابر قال : [خرج رسول الله ﷺ على أصحابه ، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها ، فسكتوا . فقال : « لقد قرأتها على الجن ، فكانوا أحسن مردوداً منكم ، كنت كلما أتيت على قوله تعالى : « فبأي آلاء ربكما تكذبان » قالوا : ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب ، فلك الحمد](١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من قرأ ﴿**والتين والزيتون**﴾ ، فانتهى إلى آخرها ، فليقل : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين . ومن قرأ ، ﴿ **لا أقسم بيوم القيامة** ﴾ فانتهى إلى قوله : ﴿**أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى** ﴾ ، فليقل : بلى . ومن قرأ ﴿**والمرسلات**﴾ فبلغ ﴿ **فبأي حديث بعده يؤمنون**﴾ ، فليقل : آمنا بالله»(٢) .

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان إذا قرأ : ﴿**سبح اسم ربك الأعلى** ﴾قال : « سبحان ربي الأعلى » (٣)

وقال ابن القيم رحمه الله : « إذا أردت الانتفاع بالقرآن ، فاجمع

---

(١) قال الترمذي : « هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد ، قال ابن حنبل : كأن زهير بن محمد الذي وقع بالشام ليس هو الذي يروى عنه بالعراق ، كأنه رجل آخر قلبوا اسمه . يعني : لما يروونه عنه من المناكير ، وسمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول : أهل الشام يروون عن زهير بن محمد مناكير وأهل العراق يروون عنه أحاديث متقاربة » أ . هـ وانظر : « سنن الترمذي » [٣٢٩١] في التفسير .

(٢) روه أبو داود [٨٨٧] باب : مقدار الركوع والسجود ورواه الترمذي [٣٣٤٧] في « التفسير »

(٣) رواه أبو داود [٨٨٣] .

قلبك عند تلاوته وسماعه ، وألق سمعك ، واحضر حضور من يخاطبه من يتكلم به منه إليه ، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ .

قال تعالى : ﴿ **إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد** ﴾ [ق : ٣٧] »(١).

وكذلك فإن التأمل والتدبر للآية ، والوقوف مع ألفاظها ، وإعادة النظر فيها ، والتفكر في معانيها ، ممايستشعر به المرء حلاوة القرآن .

قال بشر بن السري : « إنما الآية مثل التمرة ، كلما مضغتها ، استخرجت حلاوتها » فحدث بذلك أبو سليمان ، فقال : صدق ! إنما يؤتى أحدكم من أنه إذا ابتدأ السورة أراد آخرها » أ . هـ .(٢)

---

(١) « الفوائد » : ص [٧] .

(٢) وانظر : « البرهان في علوم القرآن » [١/ ٤٧١] .

القاعدة الثامنة : المراجعة المستمرة

وفيها مبحثان :

المبحث الأول : أهمية المراجعة

إن القرآن كلام الله تعالى ، ويختلف اختلافاً كلياً عن سائر الكلام ويختلف عن سائر المحفوظات شعراً كانت أو نثراً .

فالقرآن سريع الهروب من الذهن لمن أغفل مراجعته وتكراره .

وقد سئل بعض أهل العلم : لماذا يتفلت القرآن من صدر حافظه إذا أهمل مراجعته ؟ فقال : « إن هذا القرآن عزيز ، لايبقى في صدر من يهمله » أ. هـ

فأنت إذا تركته تركك ، وهذا من عزته .

١ - عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «تعاهدوا[١] هذا القرآن ، فو الذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل في عقلها »[٢] .

قال ابن بطال رحمه الله : هذا الحديث يوافق الآيتين ؛ قوله تعالى : ﴿**إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً**﴾ وقوله تعالى : ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**﴾ ، فمن أقبل عليه بالمحافظة والتعاهد يسر له ، ومن أعرض عنه تفلت منه . أ. هـ.

٢ - وعند عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « إنما مثل صاحب القرآن ، كمثل الإبل المعقلة ، إن عاهد عليها أمسكها ،

---

(١) تعاهدوا : أي حافظوا على تلاوته وقراءته . والتفلت : التخلص .

(٢) رواه البخاري [٥٠٣٣] ومسلم [٧٩١] وأحمد [٤/ ٣٩٧، ٤١١] .

وإن أطلقها ، ذهبت »(٢) .

٣ - وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً « بئس ما لأحدهم أن يقول : نسيت آية كيت وكيت ، بل هو نُسِّي ، واستذكروا القرآن ، فإنه أشدّ تَفَصِّياً من صدور الرجال من النّعم »(٣) .

والمراجعة للمحفوظ مطلوبة ، سواء كان قرآناً أو حديثاً أو غيرهما .

قال الخطيب البغدادي رحمه الله : « وينبغي أن يراعي مايحفظه ، ويستعرض جميعه كلما مضت له مدة ولايغفل ذلك ، فقد كان بعض العلماء إذاعلم إنساناً مسألة من العلم سأله عنها بعد مدة ، فإن كان قد حفظها زاده ، وإلا أعرض عنه »(٤) .

وعن محمد بن القاسم بن خلّاد قال : « الاحتفاظ بما في صدر الرجل أولى من درس دفتره ، وحرف تحفظه بقلبك أنفع من ألف حديث في دفاترك » .

وقيل للأصمعي : كيف حفظت ونسي أصحابك ؟ قال : درستُ وتركوا .

وقال ابن وهب : قيل لأخت مالك بن أنس : ماكان شغل مالك في بيته ؟ قالت : المصحف والتلاوة .

---

(١) صاحب القرآن أي : حافظه . « المعقلة » أي : المربوطة بالعقال .

(٢) رواه البخاري [٥٠٣١] ، ومسلم [٧٨٩] ومالك في « الموطأ »[١/ ٢٠٢] والنسائي [٢/ ١٥٤] وأحمد[٢/ ١٧، ٦٤ ، ١١٢] وابن ماجه [٣٧٨٣] .

(٣) رواه البخاري [٥٠٣١] ، [٥٠٣٢] .

(٤) انظر : « الفقيه والمتفقه »[٢/ ١٠١ ، ١٠٢] .

وقال أبو عبد الله جعفر بن محمد : « القلوب ترب ، والعلم غرسها ، والمذاكرة ماؤها فإذا انقطع عن الترب ماؤها ، جف غرسها » .

وكان الخليل بن أحمد يقول : « الاحتفاظ بما في صدرك أولى من درس مافي كتابك ، واجعل كتابك رأس مالك ، ومافي صدرك للنفقة » (١) .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « تزاوروا وتدارسوا الحديث ، ولا تتركوه يدرس » .

فالمراجعة المستمرة للمحفوظ من أهم مايثبت الحفظ ، لاسيما في القرآن ، لذا كان من الواجب على حافظ القرآن خاصة ، وعلى كل مسلم عامة . أن يكون له ورد دائم مع كتاب الله عزوجل ، وأن لايمر عليه يوم إلا ويقرأ جزءاً منه أو أكثر ، وذلك فيه تثبيت للحفظ أولاً وفيه ثواب عظيم جداً ثانياً ، فكل حرف بعشر حسنات والله يضاعف لمن يشاء إضافة إلى رفعة درجاته في الجنان .

وإن كانت المرأة حائضاً فلها أن تكثر من سماع القرآن لئلا تنساه ، ويجوز لها إمرار الآيات على القلب ، وكذلك النظر في المصحف دون أن تتلفظ به أو تمسه ، وبعض أهل العلم يرى أن الحائض يجوز لها أن تقرأ من المصحف وأن تمسه (٢) . والله تعالى أعلم .

---

(١) وانظر : « الجامع في الحث على حفظ العلم » ص [٣٥] .

(٢) وهذا هو قول الظاهرية وقال جمهور أهل العلم ومنهم الأئمة الأربعة [أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد] : لا يجوز للحائض [وكذا الجنب والنفساء] أن تمس المصحف ، وهو مروي عن ابن عمر والحسن وعطاء والشعبي والقاسم بن محمد وطاووس . وأما قراءة الحائض [والنفساء] للقرآن فمذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد أنه لا يجوز لها ذلك ، ويرى مالك - رحمه الله - أنه يجوز لها قراءة شيء يسير لأجل التعوذ أو الرقية ونحو ذلك .

المبحث الثاني : مقدار مايقرأ في اليوم والليلة من القرآن

١ - ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ لما بلغه أن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - يقرأ القرآن كل ليلة ، قال له : « اقرأ القرآن في كل شهر . قال : قلت : يانبي الله إني أطيق أفضل من ذلك . قال : فاقرأه في كل عشرين . قال : قلت : يانبي الله إني أطيق أفضل من ذلك . قال : فاقرأه في كل عشر . قال : قلت ، يانبي الله إني أطيق أفضل من ذلك . قال : فاقرأه في كل سبع ولا تزد على ذلك . فإن لزوجك عليك حقاً ولزورك عليك حقاً ولجسدك عليك حقاً » (١) .

٢ - وعن سعد بن المنذر أن النبي ﷺ قال : « اقرأ القرآن في ثلاث إن استطعت » (٢) .

وكان للسلف الصالح رضوان الله عليهم عادات مختلفة في مقدار مايختمون فيه .

فمنهم من كان يختم كل شهر ختمة ، وبعضهم في كل عشر ليال ختمة .

ويعضهم في كل ثمان ليال ختمة .

قال أبي بن كعب : « إنا لنقرؤه في ثمان ليال » يعني القرآن . (٣)

وعن الأكثرين في كل سبع .

---

(١) رواه البخاري [٥٠٥٢ ، ٥٠٥٣ ، ٥٠٥٤] ومسلم [١١٥٩] ، [١٨٤] .

(٢) رواه أحمد في المسند والطبراني في الكبير وصححه الألباني . وانظر : «الصحيحة» . [١٥١٢] و« صحيح الجامع » [١١٥٥] .

(٣) « نزهة الفضلاء » [١/ ٦٩] .

ومنهم عثمان بن عفان ، وعبدالله بن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وأبي بن كعب ، وتميم الداري ، ومن التابعين علقمة بن قيس .

قال أبو خلدة خالد بن دينار : سمعت أبا العالية يقول : كنا عبيداً مملوكين ، منا من يؤدي الضرائب ، ومنا من يخدم أهله ، فكنا نختم كل ليلة ، فشق علينا ، حتى شكا بعضنا إلى بعض ، فلقينا أصحاب رسول الله ﷺ فعلمونا أن نختم كل جمعة ، فصلينا ونمنا ولم يشق علينا . (١)

وقال عبدالله بن الإمام أحمد : كان أبي يقرأ كل يوم سبعاً من القرآن نظراً ولا يتركه .

وعن بعضهم في كل ست ليال ختمة .

ومنهم الأسود بن يزيد بن قيس ، كان يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين ، وكان ينام بين المغرب والعشاء ، وكان يختم القرآن في غير رمضان في كل ست ليال . (٢)

وعن بعضهم في كل خمس ليال .

منهم علقمة بن قيس فقيه الكوفة ومقرئها ، كان يقرأ القرآن في خمس . (٣)

وعن كثير منهم في كل ثلاث ليال .

منهم : بشر بن منصور [ت ١٨٠ هـ] محدث زاهد قال فيه ابن

---

(١) « المصدر نفسه » [١ / ٣٦٧] .

(٢) « المصدر نفسه » [١ / ٣٢٩] .

(٣) « المصدر نفسه » [١ / ٣٣١] .

المديني : حفر قبره وختم فيه القرآن . وكان ورده ثلث القرآن [١] .

ومنهم قتادة بن دعامة السدوسي كان يختم القرآن في سبع وإذا جاءرمضان ختم في كل ثلاث فإذا جاء العشر ختم كل ليلة [٢] .

ومنهم أبو إسحاق السبيعي من أجلة التابعين كان يقرأ القرآن في كل ثلاث [٣] .

وكان البخاري - محمد بن اسماعيل - رحمه الله تعالى يختم في رمضان في النهار كل يوم ختمة ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليال بختمة [٤] .

وبعضهم ختمه في أقل من ثلاث وهم كثير .

ومنهم . . . عثمان بن عفان ، وتميم الداري وسعيد بن جبير ، ومجاهد بن جبر ، والشافعي وآخرون .

وسئل الإمام مالك - رحمه الله - عن الرجل يختم القرآن في كل ليلة . فقال : « ما أحسن ذلك ! القرآن إمام كل خير » .

قال الإمام الزركشي : « ويستحب ختم القرآن في كل أسبوع للحديث « اقرأ القرآن في كل سبع ولاتزد » [٥] وروى الطبراني بسند جيد أن أصحاب النبي ﷺ سئلوا : كيف كان رسو الله ﷺ يجزئ القرآن ؟

---

(١) « المصدر نفسه » [٢/ ٦٥٢] .

(٢) « المصدر نفسه » [١/ ٤٩٠] .

(٣) « المصدر نفسه » [١/ ٥٠٣] .

(٤) « المصدر نفسه » [٢/ ٩٠٣] .

(٥) رواه أبو داود [١٣٨٨] .

قالـوا : « كان يجزئه ثلاثاً وخمساً » . وكره قوم قراءته في أقل من ثلاث ، وحملوا عليه حديث « لايفقه القرآن من قرأه في أقل من ثلاث »(١) . والمختار الذي عليه أكثر المحققين ، أن ذلك يختلف باختلاف حال الشخص في النشاط والضعف والتدبر والغفلة » . أ. هـ .(٢).

وقد روى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة أنه قال : «من قرأ القرآن في كل سنة مرتين ، فقد أدى للقرآن حقه ، لأن النبي ﷺ عرضه على جبريل في السنة التي قبض فيها مرتين » . وقال غيره : « يكره تأخير ختمه أكثر من أربعين يوماً بلا عذر » . ونص عليه الإمام أحمد . واستدلوا بما ثبت عند أبي داود أن عبدالله بن عمر سأل النبي ﷺ فقال له : في كم تختم القرآن ؟ فأجابه : في أربعين يوماً » .

وقال الإمام النووي : « والاختيار : أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص ، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف ، فليقتصر على قدر يحصل له به كمال فهم مايقرؤه ، وكذا من كان مشغولاً بنشر العلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة ، فليقتصر على قدر لايحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له ، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين ، فليستكثر ما أمكنه ، من غير خروج إلى حد الملل والهذرمة »(٣)

وأما ماورد عن كثير من السلف ، من ختمهم للقرآن في أقل من ثلاث

---

(١) سيأتي تخريجه .

(٢) البرهان في علوم القرآن [١/ ٤٧٠ - ٤٧١] .

(٣) « التبيان » ص [٥٨] وانظر : « رهبان الليل » [١/ ٩٠ ـ ٩٣] فإنه هام .

حتى ورد عن بعضهم أنه يختم القرآن في اليوم الواحد مرتين أو ثلاث ، مع ماثبت في الحديث : « لايفقه القرآن من قرأه في أقل من ثلاث » (١) .

فقد أجاب عن ذلك الحافظ الإمام ابن رجب الحنبلي فقال رحمه الله : « إنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك ، فأما في الأوقات الفاضلة كشهر رمضان ، خصوصاً الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر ، أو في الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها ، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتناماً لفضيلة الزمان والمكان ، وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة ، وعليه يدل عمل غيرهم » أ.هـ . (٢) .

وأكثر أهل العلم على أن إحسان التلاوة مع فهمها والتدبر فيها أفضل من كثرة القراءة بغير فهم ولاتدبر . قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما : « لأن أقرأ البقرة وآل عمران ، وأرتلهما وأتدبرهما ، أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله هذرمة » .

وأخرج محمد بن أبي داود عن مسلم بن مخراق قال : قلت لعائشة رضي الله عنها - : إن رجالاً يقرأ أحدهم القرآن في ليلة مرتين أو ثلاثاً ، فقالت : « قرؤا ولم يقرؤا ، كنت أقوم مع رسول الله ﷺ فيقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء فلا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا ورغب ، ولا بآية فيها تخويف إلا دعا واستعاذ » (٣).

---

(١) رواه أبو داود [١٣٩٤] والترمذي [٢٩٤٩] وابن ماجه [١٣٤٧] وأحمد [٢/ ١٦٤ ، ١٦٥] والدارمي [١/ ٣٥٠] من حديث عبدالله بن عمرو مرفوعاً .

(٢) انظر : « لطائف المعارف » ص [٣١٩] ط دار ابن كثير .

(٣) وانظر هنا « فصل آداب تلاوة القرآن » عند الكلام على الترتيل والتدبر .

القاعدة التاسعة : قيام الليل بالمحفوظ من القرآن (١)

١ - ثبت في صحيح مسلم من حديث عبدالله بن عمر مرفوعاً « إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره ، وإن لم يقم به نسيه » (٢).

وقال أبو عبدالله بن بشر القطان : مارأيت أحسن انتزاعاً لما أراد من آي القرآن من أبي سهل بن زياد (٣) ، وكان جارنا ، وكان يديم صلاة الليل والتلاوة ، فلكثرة درسه وصلاته ؛ صار القرآن كأنه بين عينيه .

وقد رود في فضل قيام الليل وعظيم ثوابة الشئ الكثير فمن ذلك مايلي :

قال تعالى في وصفه لعباده المؤمنين ، وما أعد لهم من الأجر والثواب لأجل قيامهم الليل : ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** ﴾ [السجدة : ١٦ ، ١٧] .

وقال سبحانه في وصف المحسنين : ﴿ **كانوا قليلاً من الليل مايهجعون وبالأسحار هم يستغفرون** ﴾ [الذاريات : ١٧ ، ١٨]

---

(١) انظر في هذه القاعدة :

١ - « رهبان الليل » لمؤلفه سيد حسين العفاني وهو من أجمع ماكتب في قيام الليل . وهو نافع جداً .

٢ - « صحيح الترغيب والترهيب » للألباني .

٣ - « رياض الصالحين » للإمام النووي

(٢) رواه مسلم [٧٨٨] [٢٢٧] .

(٣) هو أحمد بن محمد بن عبدالله القطان مسند العراق [ت ٣٥٠ هـ] .

وقال سبحانه : ﴿ **أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه ، قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون** ﴾ .

[الزمر : ٩] وهل يستوي من علم عظمة ربه فخافه واتقاه ، وسعى إلى تنفيذ أوامره ونيل رضاه ، فكان بين يديه بالليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، هل يستوي هذا مع ذلك الغافل الساهي ، الذي ضيع ليله في غفلة ولهو أو في معصية أو في نوم عميق كأنه جيفة من الجيف ؟ ! كلا والله . . لايستويان أبداً ![1].

وقال سبحانه في وصف عباده الأبرار الأخيار : ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ، والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً** ﴾ [الفرقان : ٦٤] .

فهذا وصفهم ، وتلك حالهم ، فاحرص أن تكون مثلهم ، تلحق بركبهم وتكن معهم برحمة الله تعالى وكرمه .

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أفضل الصيام

---

(١) وقد قال سبحانه ﴿ **أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً** ﴾ [السجدة : ١٨]
قال القشيري ـ رحمه الله ـ : « أفمن كان في حال الوصال يجر أذياله ، كمن هو في مذلة الفراق يقاس وباله ؟ !
أفمن كان في روح القربة ونسم الزلفة ، كمن هو في هول العقوبة يعاني مشقة الكلفة ؟ !
أفمن هو في روح إقبالنا عليه ، كمن هو في محنة إعراضنا عنه ؟ ! أفمن بقى معنا ، كمن بقى عنا ؟ !
أفمن هو في نهار العرفان وضياء الإحسان ، كمن هو في ليالي الكفران ووحشة العصيان ؟ !
أفمن أيد بنور البرهان ، وطلعت عليه شموس العرفان ، كمن ربط بالخذلان ، ورسم بالحرمان ؟ !
لا يستويان ولا يلتقيان . . هذا في أعلى الفضائل وهذا في سوء الرذائل أ . هـ » لطائف الإشارات » [١٤٤ ، ١٧١] ط . دار الكاتب العربي . وانظر : « رهبان الليل » [١/ ٧١] . الطبعة الثانية . (مكتبة ابن تيمية)

بعد رمضان شهر الله المحرم ، وأفضل الصلاة بعد المكتوبة صلاة الليل »(١).

٣ - وعن عبدالله بن سلام رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أيها الناس : أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ؛ تدخلوا الجنة بسلام » (٢).

٤ - وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « في الجنة غرفة يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، فقال أبو مالك الأشعري : لمن هي يارسول الله ؟ قال : لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام وبات قائماً والناس نيام » (٣).

وقد كان النبي ﷺ وهو الذي غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، يقوم من الليل حتى تتورم وتتشقق قدماه ، فأولى بنا وقد حملنا أوزاراً لاقبل لنا بحملها ، وارتكبنا من الذنوب والمعاصي ماقد يكون سبباً في شقائنا وهلاكنا - فأولى بنا وحالنا ماذكرت - أن يكون لنا حظ من قيام الليل عسى أن يغفر الله لنا ذنوبنا ويعظم لنا الأجر والمثوبة .

٥ - عن عائشة رضي الله عنها« أن رسول الله ﷺ كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه ، فقالت له : لم تصنع هذا وقد غفر الله لك ماتقدم من

---

(١) رواه مسلم [١١٦٣] وأبو داود [٢٤١٢] والترمذي [٢/ ٢٢٧] والنسائي [٣/ ٢٠٧] .

(٢) رواه الترمذي [٢٤٨٧] وقال: حسن صحيح وأحمد [٥/ ٤٥١] وابن ماجه [١٣٣٥ ، ٣٢٥١] والدارمي [١/ ٣٤٠] والحاكم [٣/ ١٣] وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

(٣) قال المنذري : رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن والحاكم وقال صحيح على شرطهما . أ.هـ وانظر « صحيح الترغيب » [٦١١] .

ذنبك وماتأخر ؟ قال : أفلا أكون عبداً شكوراً »(١).

٦ – وعن عبدالله بن أبي قيس قال : قالت عائشة رضي الله عنها : «لاتدع قيام الليل ، فإن النبي ﷺ كان لايدعه وكان إذا مرض أو كسل صلى جالساً »(٢).

٧ – وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة : يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثاً . . . »(٣).

٨ – وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « عليكم بقيام الليل ، فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وقربة إلى ربكم ، ومكفرة للسيئات ، ومنهاة عن الإثم »(٤).

٩ – وعن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا ركعتين جميعاً كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات »(٥).

---

(١) انظر : البخاري [١١٣٠] ومسلم [٢٨١٩ ، ٢٨٢٠] ومعنى تفطر : أي تتشقق .

(٢) رواه أبو داود وابن خزيمة في صحيحة وصححه الألباني في « صحيح الترغيب »رقم [٦٢٦].

(٣) رواه البخاري [٣/ ٢٢٧] ومسلم [٧٣٨] .

(٤) حديث حسن : وانظر « صحيح الترغيب والترهيب » [٦١٨] .

(٥) رواه أبو داود [١٣٠٩] وابن ماجه [١٣٣٥] وصححه ابن حبان [٦٤٥] وانظر : « صحيح الترغيب » [٦٢٠] . ويروى عن لقمان أنه قال لابنه : « يابني لا يكون الديك أكيس منك ينادي بالأسحار وأنت نائم » « رهبان الليل » [١/ ١٣٢] .

١٠ – وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : «أقرب مايكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن » (١).

١١ – وعن جابر رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « إن في الليل لساعة ، لايوافقها عبد مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة » (٢).

١٢ – وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « من قرأ بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين » (٣).

والذي يقوم الليل تجده : من أطيب الناس نفساً ، وأكثرهم نشاطاً ، وأقواهم عزيمة . والذي لايقوم الليل تجده من أخبث الناس نفساً ، وأكثرهم كسلاً ، وأضعفهم عزيمة .

١٣ – فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب على كل عقدة عليك ليل طويل فارقد . فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقده كلها ، فأصبح نشيطاً طيب

---

(١) رواه الترمذي وابن خزيمة وانظر « صحيح الترغيب » [٦٢٢] .

(٢) رواه مسلم [٧٥٧] ، وأحمد [٣/ ٣٣١ ، ٣٤٨] .

(٣) « صحيح الترغيب والترهيب » [٦٣٣] و « القانتين » قال شيخ الإسلام ابن تيمية : القنوت : دوام الطاعة والمصلي إذا أطال قيامه أوركوعه أو سجوده فهو قانت أ. هـ . و « المقنطرين » أي : ممن كتب لهم قنطار من الأجر .

النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان »(١) .

١٤ – وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : « ذكر عند النبي ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح . فقال : ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه »(٢).

واعلم أن قيام الليل على من لم يعتده صعب وشاق ، ولهذا لابد في أول الأمر من صبر ومجاهدة للنفس ، ثم يشعر بعد ذلك بحلاوة ولذة في قيام الليل لاتعدلها لذة (٣) .

وهناك أسباب ظاهرة وأخرى باطنة ينبغي لمن أراد قيام الليل أن يراعيها وأن يلتزمها ، فإنها مما يسهل عليه قيام الليل وييسره له . (٤)

فأما الأسباب الظاهرة فأربعة :

الأول : أن لا يكثر من الأكل والشرب فيغلبه النوم ، ولايستطيع القيام قال بعضهم : « لاتأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً ، فتناموا كثيراً ، فتخسروا كثيراً » (٥) .

الثاني : أن لايتعب نفسه بالنهار في الأعمال الشاقة التي تجهد البدن ،

---

(١) رواه البخاري [١١٤٢] ومسلم [٧٧٦] ومالك [١/ ١٧٦] ، وأبو داود [١٣٠٦] والنسائي [٣/ ٢٠٣] .

(٢) رواه البخاري [١١٤٤] ومسلم [٧٧٤] والنسائي [٣/ ٢٠٤] .

(٣) قال ثابت البناني رحمه الله : « كابدت الصلاة عشرين سنة ، واستمتعت بها عشرين سنة » أ. هـ فهيا ياأخي : أغلق باب الراحة ، وافتح باب الجهد ، أغلق باب النوم وافتح باب السهر

فخل الهوينا للضعيف ولا تكن ... نؤوماً فإن الحزم ليس بنائم

« رهبان الليل » [١/ ٤٣] .

(٤) انظر : « البحر الرائق في الزهد والرقائق » ص[١٢٩] .

(٥) وانظر هنا : القاعدة الثالثة والعشرون « الطعام والحفظ » في « المبحث الأول » .

وتضعف الأعصاب ، فإن ذلك مجلبة للنوم .

الثالث : أن لايترك القيلولة بالنهار ، فإنها من أهم مايعين على قيام الليل » . قال بعضهم : « القيلولة للقيام كالسحور للصيام » .

الرابع : أن يحذر من الذنوب والمعاصي فإنها تحول بين العبد وبين رحمة الرب تبارك وتعالى ، ولهذا قيل : من عقوبات المعصية المعصية بعدها ، ومن ثواب الحسنة الحسنة بعدها .

وقيل لابن مسعود رضي الله عنه : لانستطيع قيام الليل . فقال : أبعدتكم الذنوب .

وقال رجل للحسن البصري : لا أستطيع قيام الليل فصف لي دواء فقال له : لاتعصه بالنهار ، فيقيمك بين يديه في الليل .

وقال سفيان الثوري رحمه الله : حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أصبته .

وكان الحسن البصري - رحمه الله - إذا دخل السوق وسمع لغطهم ولغوهم قال : أظن أن ليل هؤلاء ليل سوء .

فالذنوب تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل ، وأخصها بالتأثير أكل الحرام . واللقمة الحلال لها في تصفية القلب وتحريكه إلى الخير ماليس لغيرها من المؤثرات وقد قال بعضهم : كم من أكلة منعت قيام ليلة ، وكم من نظرة منعت قراءة سورة ، وإن العبد ليأكل أكلة أو يفعل فعلة ، فيحرم بها قيام سنة .

وأما الأسباب الباطنة فثلاثة :

الأول : سلامة القلب عن البدع والحقد على المسلمين ، وعن فضول

هموم الدنيا . فالمستغرق في الهمّ بتدبير أمور الدنيا لايتيسر له القيام وإن قام فلا يتفكر في صلاته إلا في مهماته ، ولايجول إلا في وساوسه .

وقد قيل :

يُخَبِّرني البواب أنك نائمُ وأنت إذا استيقظت أيضاً فنائمُ

الثاني : الخوف من عقوبة الله ومن عذابه ، فإن العبد إذا تفكر في دركات جهنم وأهوال الآخرة طار نومه .

قال عبدالله بن رواحة : إن عبدالله إذا ذُكِرَت الجنةُ طالَ شوقُه ، وإذا ذُكِرَت النارُ طارَ نومه .

وقال عبدالله بن المبارك :

إذا ما الليل أظلمَ كابَدُوه فيُسفِرُ عنهُم وهمُ ركوع

أطارَ الخوفُ نومهمُ فقاموا وأهلُ الأمنِ في الدُنيا هجوع

الثالث : أن يعرف فضل قيام الليل ، وعظيم أجرهِ وثوابه ، وأحوال السلف فيه ، فيستحكم بذلك رجاؤه ، ويهيجه الشوق لطلب المزيد ، والارتفاع في درجات الجنان ، قال ابن المنكدر : مابقى من لذات الدنيا إلا ثلاث : « قيام الليل ، ولقاء الإخوان ، وصلاة الجماعة »

وقال أبو سليمان : « أهل الليل في ليلهم ألذّ من أهلِ اللهو في لهوهم ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا »

ومن تأمل حياة السلف الصالح في قيامهم الليل رأى منهم عجباً ، في مداومتهم عليه ، وأمرهم غيرهم به [ولا غرو أن يكونوا كذلك ، وقد كان إمامهم وقدوتهم - صلوات ربي وسلامه عليه - يقوم الليل حتى تتورم قدماه ، وكان لايدع قيام الليل أبداً فإن مرض أو كسل صلى

جالساً] .

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصلي من الليل ماشاء الله أن يصلي ، حتى إذا كان نصف الليل ، أيقظ أهله للصلاة ، ثم يقول لهم : الصلاة الصلاة . ويتلو قوله تعالى : ﴿ **وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى** ﴾ [طه : ١٣٢] .

وهذا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه كان إذا هدأت العيون قام بين يدي ربه راكعاً ساجداً فيُسمع له دَويٌّ كدوي النحل حتى يصبح .

وهذا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما يقضي ليله مع ربه في ركوع وسجود ونشيج ونحيب ، خوفاً من الله وإجلالاً ، وتعظيماً له ومراقبة .

قال ابن أبي مليكة : صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة ، فكان يصلي ركعتين ، فإذا نزل قام شطر الليل ، ويرتل القرآن حرفاً حرفاً ، ويكثر في ذلك من النشيج والنحيب .

فاجتهد أخي في أن تكون مثلهم ، وأن تتشبه بهم ، وأن تفعل فعلهم عسى أن يجمع الله بينك وبينهم في نعيم الجنان ، وفي جوار ربك الرحمن . قال بعضهم :

مَن يُرِدْ مُلكَ الجِنان ... فليَدَعْ عنه التوان
وليَقُم في ظلمةِ الليل ... إلى نورِ القرآن
وليَصِلْ صوماً بصوم ... إنّ هذا العيشَ فان
إنما العيشُ جوارُ الله ... في دارِ الأمان

القاعدة العاشرة : العناية بالمتشابه (١)

قال تعالى : ﴿ **الله الذي نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكرالله . .** ﴾

[الزمر : ٢٣] . والقرآن متشابه في ألفاظه ومعانيه ، وكلماته وآياته ؛ وإذا كان في القرآن نحواً من ستة آلاف آية ونيف ، فإن هناك نحواً من ألفي آية فيها تشابه بوجه ما ، قد يصل أحياناً إلى حد التطابق ، أو الاختلاف في حرف واحد أو كلمة أو أكثر . ومن أمثلة ذلك : قوله تعالى : ﴿ **تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم** ﴾ .

فهذه الآية تكررت بنصها في أوائل ثلاث سور وهي : سورة « الزمر » وسورة « الجاثية » ، وسورة « الأحقاف » .

وقوله تعالى : ﴿ **يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير** ﴾ [التوبة : ٧٣] تكررت بنصها في [التحريم : ٩]

وقال تعالى : ﴿ **وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة** ﴾ [البقرة : ٥٨]

وفي [الأعراف : ١٦١] : ﴿ **وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً** ﴾ .

وقال سبحانه في [البقرة : ٦٢] ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هادوا [والنصارى والصابئين] من آمن بالله . . .** ﴾ الآية

---

(١) أنظر :

١ - « القواعد الذهبية » لعبد الرحمن عبد الخالق .

٢ -« البرهان في علوم القرآن» لبدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي جـ ١ ص ١١٣ ط دار التراث .

وفي [الحج : ١٧] ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هادوا [والصابئين والنصارى] والمجوس والذين أشركوا . . .** ﴾ الآية .

وقال سبحانه في [البقرة : ١٢٠] و [الأنعام : ٧١] ﴿ **قل إن هدي الله هو الهدى** ﴾ وفي [آل عمران : ٧٣] ﴿ **قل إن الهدى هدى الله** ﴾ .

وقال سبحانه في البقرة [١٧٣] ﴿ **وما أهل به لغير الله** ﴾ وفي باقي سور القرآن [المائدة : ٣] ، و [الأنعام : ١٤٥] و [النحل : ١١٥] ﴿ **وما أهل لغير الله به** ﴾ . وغير ذلك كثير جداً . . وماهذه إلا أمثلة . .

لذلك يجب على قارئ القرآن المجيد ، والحافظ المتقن ، أن يعنى عناية خاصة بالمتشابهات من الآيات [التشابه اللفظي] وعلى مدى العناية بهذا المتشابه تكون إجادة الحفظ وإتقانه .

ويمكن الاستعانة على ذلك بالإطلاع على الكتب التي اهتمت بهذا النوع من التشابه مثل :

١) درة التنزيل وغرة التأويل في بيان المتشابهات في كتاب الله العزيز للخطيب الإسكافي .

٢) « أسرار التكرار في القرآن » لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني [١] .

٣) « عون الرحمن في حفظ القرآن » لأبي ذر القلموني .

---

(١) وهو مطبوع بعنوان آخر : « البرهان في توجيه متشابه القرآن » ط . دار الكتب العلمية .

القاعدة الحادية عشر : المداومة ولو على القليل (١)

فالإنسان قد يحصل له إقبال على الحفظ والدراسة والقراءة والاستيعاب بجدية ونشاط ، وذلك في وقت من الأوقات ثم هو بعد ذلك يصاب بالفتور والكسل ، فيترك الحفظ الذي بدأ فيه فينساه ، وإن ثبت له ماحفظه مع عدم مداومته على حفظ شئ جديد ؛ فإن محفوظاته تكون قليلة جداً بالقياس لغيره ممن داوم على الحفظ والمراجعة .

والذاكرة جارحة من الجوارح فإذا زاد مرانها وتدريبها على الحفظ زادت قابليتها للحفظ والاستيعاب وإذا أهملت وتركت قل حفظها واستيعابها .

والمداومة على الأعمال الصالحة ، أصل قررته الشريعة ودعت إلي التزامه ورغبت في فعله :

قال تعالى : ﴿ . . . **ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها** ﴾ [الحديد : ٢٧] أي : فما قاموا بما ألزموه أنفسهم حق القيام ، وهذا ذم لهم لعدم مداومتهم على ما ألزموا أنفسهم به مما زعموا أنه قربة يقربهم إلى الله تعالى .

وقال سبحانه ﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾ [الحجر : ٩٩] .

أي : داوم على عبادتك لربك ، واستمر على طاعتك له ، ولا تنقطع

---

(١) انظر في هذه القاعدة :

١ - « رياض الصالحين » للنووي .

٢ - « الترغيب والترهيب » للمنذري .

٣ - « صحيح البخاري » مع الفتح جـ ١١ باب القصد والمداومة على العمل .

عنها حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك .

ومثله قوله تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾** [آل عمران : ١٠٢] .

١ - وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول ﷺ : « سددوا وقاربوا ، واعلموا أنه لن يدخل أحدكم عمله الجنة ، وإن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » . وفي رواية : « سئل رسول الله ﷺ أي العمل أحب إلى الله ؟ قال : أدومه وإن قل »(١) وفي لفظ أبي داود : « اكفلوا من العمل ماتطيقون ، فإن الله لايمل حتى تملوا ، وإن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل » وكان إذا عمل عملاً أثبته (٢).

٢ - وعن عائشة رضي الله عنها سئلت : كيف كان عمل رسول ﷺ ؟ وهل كان يخص شيئاً من الأيام ؟ قالت : « لا ، كان عمله ديمة ، وأيكم يستطيع ماكان رسول الله ﷺ يستطيع » (٣) .

٣ - وفي صحيح مسلم عنها رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره ، صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة » (٤) .

٤ - وفيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعاً : « من نام عن

---

(١) رواه البخاري [٦٤٦٤] ، [٦٤٦٥] ومسلم[٢٨١٨] والنسائي [٨/ ١٢٣] وابن ماجه [٤٢٣٨] .

(٢) [أبو داود ١٣٦٨] من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) رواه البخاري [٦٤٦٦]

(٤) رواه مسلم [١٤١ ، ٧٤٦]

حزبه من الليل أو شئ منه فقرأه مابين صلاة الفجر وصلاة الظهر ، كتب له كأنما قرأه من الليل »[١] .

قال الإمام القرطبي رحمه الله : وهذه الفضيلة إنما تحصل لمن غلبه نوم أو عذر منعه من القيام بالليل مع أن نيته القيام به . أ. هـ .

فعلى العاقل اللبيب أن يداوم على عمله وأن لايُسَوِّف ، وأن لايُؤَخِر عمله لغده ، فإن الإنسان بيومه وليس بغذه .

قال الحسن البصري رحمه الله : « إياك والتسويف ، فإنك بيومك ولست بغدك ، فإن يكن غد لك ، فَكِسْ[٢] فيه ، كما كِسْتَ في اليوم ، وإلا يكن الغد لك ، لم تندم على مافرطت في اليوم »[٣]

وكل عمل مهما عظم وجلّ ، فإنه يبدأ صغيراً ، ومع الدوام عليه والصبر والعزيمة ؛ يصبح عملاً جليلاً عظيماً يُبهر من رآه ، أو سمع به .

وانظر إلى أهمية المداومة وفضلها ، وماذا يُحصّل صاحبها من الفوائد، وكم يجني من أطايب الثمرات :

أخرج الخطيب البغدادي بسنده عن حصين قال : « جاءت امرأة إلى حلقة أبي حنيفة ؛ وكان يطيل الكلام ، فسألته عن مسألة ، له ولأصحابه، فلم يحسنوا فيها شيئاً من الجواب . فانصرفت إلى حماد بن أبي سليمان فسألته فأجابها .

فرجعت إلى أبي حنيفة وأصحابه ، فقالت : غررتموني ؛ سمعت

---

(١) رواه مسلم [٧٤٧] وأبو داود [١٣١٣] والترمذي [٥٨١] وغيرهم .
(٢) فكس فيه : من الكياسة : بمعنى العقل والفطانة . أي : اعمل عملاً تكون به كيساً .
(٣) رواه هناد بن السري في « الزهد » [١/ ٢٨٩] .

كلامكم فلم تحسنوا شيئاً . فقام أبو حنيفة ، فأتى حماد . فقال له : ماجاء بك ؟ قال : أطلب الفقه . قال : تعلم كل يوم ثلاث مسائل ولا تزد ، حتى يتفق لك شئ من العلم . فتعلم ولزم الحلقة حتى فقه ، فكان الناس يشيرون إليه بالأصابع . » أ . هـ .(١) .

وهذا أبو حاتم الرازي صنف كتابه « المسند » في ألف جزء .(٢)

وهذا ابن جرير الطبري زاد عدد أوراق مصنفاته على نصف مليون ورقة .

وهذا ابن عقيل الحنبلي صنف كتابه « الفنون » في ثمانمائة مجلدة .

وهذا الحافظ ابن عساكر صنف كتابه « تاريخ دمشق » في ثمانين مجلدة كبيرة .

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية أربت مصنفاته على أربعمائة مصنف من نخب العلم ودقائقه .

وسواهم في سواها كثير ، لايحيطه حصر ولا عدد .

فتدبر أخي وتأمل : أكان لمثل هؤلاء أن يؤلفوا هذا الكم الهائل من المؤلفات ، وأن يكتبوا هذه الأعداد الرهيبة من الصفحات ، لولا العزيمة الماضية ، والهمة العالية ، ومتابعة العمل ، ومداومة العطاء .

---

(١) [الفقيه والمتفقة] [١٠٠ - ١٠١] .

(٢) الجزء عند السلف يعادل « عشرين ورقة » تقريباً .

ولله در القائل حيث قال : (١)

اليوم شيءٌ وغداً مثلــه   مــن نخب العلم تُلتقطْ
يُحَصّل المرْء بها حكمةً   إنما السيلُ إجتماع النقطْ

ولاشك أن الإنسان يَملّ ، ويعتريه شيء من الضجر والسأمة فالواجب عليه حينئذ أن يروّح عن نفسه بشيء من المباح كأن يجالس صديقاً ، أو يداعب زوجةً أوأولاداً ، أو يقرأ في كتب الأدب والشعر ، ثم يعاود الحفظ بعد ذلك مباشرة ؛ ولاينبغي له أن يترك ما اعتاده من العمل ، بل عليه أن يداوم عليه ويصبر على مايعتريه من مشاق في أثناء قيامه به ؛ لاسيما وإن كان عمله خير الأعمال وأفضلها وهو حفظ كلام الله تعالى ، وتعلم علوم الشرع فالمداومة في حقه حينئذ أوجب وآكد .

قال سعيد بن جبير رحمه الله : « لايزال الرجل عالماً ماتعلم ، فإذا ترك كان أجهل مايكون » .

وقال أبو غسّان : « لاتزال عالماً ماكنت متعلماً ، فإذا استغنيت كنت جاهلاً »أ. هـ . (٢)وصدق من قال :

إذا أنت لم تبغِ الزيادةَ في العُلا   فأنتَ على النُقصَانِ منهُنّ حاصلُ

وكان أحمد بن الفرات لايترك كل يوم إذا أصبح أن يحفظ شيئاً ، وإن قَلّ .

فعلى من أراد الحفظ للقرآن ، والفوز من الله بالرضوان ، وملاعبة

---

(١) قاله الشاعر الأديب : بهاء الدين بن النحاس الحلبي . وانظر : « سوانح وتأملات في قيمة الزمن » ص [٦١] . ط . دار الوفاء .

(٢) وانظر : « جامع بيان العلم وفضله » [١/ ٩٦] .

الحور في قصور الجنان ، أن يداوم على عمل الصالحات ، ومنها : مداومته على الحفظ والمراجعة وإن قل نصيبه منهما وقد تقدم « أن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » فقليل دائم خير من كثير منقطع .

فخذ من الآيات قدراً تستمر عليه ، وعود نفسك [كل يوم] على حفظ شيء جديد ، واجعل لنفسك كل يوم وقتين لاتفرط فيهما أبداً .

وقتاً لحفظ شيء جديد ووقتاً لمراجعة الحفظ القديم وبإمكانك أن تحفظ القرآن كله في أقل من أربع سنوات [1] ودون أي جهد وعناء ، إذا داومت على حفظ خمس آيات فقط كل يوم . [خمس آيات فقط] . بشرط المداومة على الحفظ والاستمرار في المراجعة – والله الهادي والموفق إلى سبيل الرشاد .

---

(١) قد يستطيل البعض هذه المدة ـ وهي حقا طويلة ـ ولكن لضعف الهمم وموت العزائم ، صارت هذه المدة ليست بالطويلة . فالله المستعان .

القاعدة الثانية عشر : اجتناب المعاصي [1]

و من أعظم مايعين على الحفظ والاستيعاب ، تقوى الله تبارك وتعالى والخوف منه والمراقبة له ، وفعل أوامره واجتناب معاصيه .

قال تعالى : ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله** ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

وقال سبحانه : ﴿ **إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم** ﴾ [الأنفال : ٢٩] .

وقال سبحانه : ﴿ **فإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين** ﴾ [الأنعام : ٦٨] .

فإذا كانت مجالسة أهل الظلم ، ومخالطة أهل المعاصي ، من أسباب النسيان ، فكيف حال العصاة أنفسهم ، فالله المستعان .

قيل لسفيان بن عيينة رحمه الله : بم وجدت الحفظ ؟ قال : بترك المعاصي . وسئل رحمه الله : هل يسلب العبد العلم بالذنب يصيبه ؟ قال : ألم تسمع قوله تعالى : ﴿ **فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظاً مما ذكروا به** ﴾ [المائدة : ١٣] قال : « وهو كتاب الله ، وهوأعظم العلم ، وهو حظهم الأكبر الذي صار لهم ، واختصوا به ، وصار حجة عليهم » أ . هـ .

وسأل رجل مالك بن أنس ، فقال : « يا أبا عبدالله ، هل يصلح لهذا

---

(١) انظر في هذه القاعدة :

١ - « الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي » لابن القيم .

٢ - « تحذير الداني والقاصي من أضرار الذنوب والمعاصي » لأحمد فريد

الحفظ شيء ؟ فقال : إن كان يصلح له شيء فترك المعاصي » .

وكان مالك رحمه الله يقول : « ليس العلم بكثرة الرواية وإنما العلم الخشية »[١].

وقال بشر بن الحارث رحمه الله : « إن أردت أن تلقن العلم فلا تعصه » .

وقال الضحاك بن مزاحم رحمه الله : « ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه إلا بذنب يحدثه ، وذلك بأن الله تعالى يقول : ﴿ **و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير** ﴾ [الشورى : ٣٠] ونسيان القرآن من أعظم المصائب » . أ . هـ .

وثبت عن العباس عم النبي ﷺ أنه قال في دعاء الاستسقاء : « اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم ينكشف إلا بتوبة ، وقد توجهت بي القوم إليك فهذه أيدينا إليك بالذنوب ، ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث » . وفي الحديث : « إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » .

وكما أن الرزق رزق أقوات وأبدان ، فهو كذلك رزق علوم وأفهام .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « وكما أن لله ملائكة موكلة بالسحاب والمطر ، فله ملائكة موكلة بالهدى والعلم ؛ هذا رزق القلوب وقوتها ، وهذا رزق الأجساد وقوتها »[٢] .

---

(١) انظر ماتقدم هنا في قاعدة « العمل بالمحفوظ » .

(٢) « الفتاوى » [٤ / ٤٢] الطبعة الثانية .

وقال عبدالله بن عباس : « إن للحسنة ضياء في الوجه ، ونوراً في القلب ، وسعة في الرزق ، وقوة في البدن ، ومحبة في قلوب الخلق .

وإن للسيئة سواداً في الوجه ، وظلمة في القلب ، ووهناً في البدن ، ونقصاً في الرزق ، وبغضاً في قلوب الخلق »[(١)]

وقال الزرنوجي رحمه الله : « وأقوى أسباب الحفظ : الجد والمواظبة ، وتقليل الغذاء وصلاة الليل ؛ وقراءة القرآن من أسباب الحفظ . وأما مايورث النسيان : فالمعاصي وكثرة الذنوب ، والهموم والأحزان في أمور الدنيا ، وكثرة الأشغال والعلائق » أ.هـ .[(٢)]

وقال وكيع : « استعينوا على الحفظ بترك المعصية » .

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : « إني لأحسب الرجل ينسى العلم بالخطيئة يعملها » .

وقال ابن القيم رحمه الله : « وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لايعلمه إلا الله .

فمنها : حرمان العلم ، فإن العلم نور يقذفه الله في القلب ، والمعصية تطفئ ذلك النور . ولما جلس الإمام الشافعي بين يدي الإمام مالك وقرأ عليه ، أعجبه مارأى من وفور فطنته ، وتوقد ذكائه ، وكمال فهمه ، فقال : إني أرى أن الله قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية .

وقال الشافعي رحمه الله :

---

(١) « الجواب الكافي » ص [٦٢] ط الريان .

(٢) « تعليم المتعلم » [٥٤ ، ٥٥] .

شكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال اعلم بأن العلم فضلٌ وفضلُ الله لايُؤتاهُ عاصي »أ. هـ(١)

وكلما كان الحافظ لله أتقى ، كلماكان حفظه أنفع وأقوى .

وقد تجد حُفّاظاً للقرآن أو للحديث ، وهم من شرار خلق الله ؛ فتجد منهم من هو صاحب بدعة بل بدع ! وتجده إماماً في الزيغ والضلال !!

ومنهم من بدَتْ عليه أمارات الفسق والفجور !!

ومن هذا حاله فهو :

١ - فتنة في نفسه وفتنة لغيره .

٢ - وحفظه ذلك استدراج من الله تعالى له كما قال سبحانه : ﴿وأملي لهم إنّ كيدي متين﴾ [الأعراف : ١٨٣] و[القلم : ٤٥]

٣ - وحفظه لايكون فيه نفع ولابركه غالباً .

وأما الذي ينسى ماحفظه بسبب المعصية فمحمول على أحد أمرين :

١) إما أن الله أراد به خيراً فعاقبه في الدنيا ليتنبه إلى ذنبه ويسارع بالتوبة والرجوع إلى ربه .

٢) أو أن الله أراد أن يجعله عبرة لغيره من العصاة الغافلين .

ألا فليتق امرؤٌ ربه ، وليحذر معاصيه ، وليتجنب مساخطه ؛ لينجو من عذاب الله في الآخرة أولاً ثم ليثبت له حفظه في الدنيا ثانياً .

فإن أصر على معصيته فليعلم أن علمه ذلك وبال عليه ، وأن حفظه حجة عليه لا له ، لأن العلم بلا عمل لاقيمة له ، والحفظ بلا التزام وطاعة لاعبرة به .

وليت شعري ! أيُّ قيمة لحفظه للقرآن مع عصيانه للكريم الرحمن ، وانغماسه في الفجور والعصيان ؟! وقد قال النبي ﷺ : « لأعلمن أقواماً

---

(١) « الجواب الكافي » ص [٦٠] .

من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء ، فيجعلها الله هباءً منثوراً ، أما إنهم إخوانكم ، ومن جلدتكم ، ويأخذون من الليل كما تأخذون ، ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها »(١).

وأي قيمة لعلمه وحفظه إن كان لايعمل به وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم »(٢).

وفي رواية « إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر »!!

وقال ﷺ « أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها »(٣).

وقال ﷺ « إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان»(٤).

---

(١) رواه ابن ماجه وانظر : « صحيح الجامع »[٧١٧٤] .

(٢) رواه النسائي وابن حبان عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، ورواه أحمد والطبراني في الكبير عن أبي بكرة رضي الله عنه وهو صحيح وانظر : « صحيح الجامع »[١٨٦٦] .

(٣) رواه أحمد في المسند والطبراني في« الكبير » والبيهقي في « الشعب » عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما وهوصحيح . وانظر : « الصحيحة »[٧٥٠] « وصحيح الجامع »[١٢٠٣] والمراد بـ[قراؤها] أي : علماء السوء ، وأصحاب الأهواء ، الذين لا يعملون بما يعلمون ، فترى أحدهم متحللاً في سلوكه ومظهره ، حالقاً للحيته ، مسبلاً لثيابه ، شارباً للدخان ، مداهناً لأصحاب المناصب والسلطان ، متزلفاً إليهم طمعاً في منصب أو جاه ، أو مال من حلال كان أو من حرام محللاً ما حرمه الله ، ومحرماً ما أحله الله ، فالربا عنده حلال ! ولايسميه ربا ؛ بل هو عائد استثماري !! والنقاب عنده حرام ! بل هو بدعة عصرية منكرة !! والالتزام بدين الله عنده تعصب وتطرف ! بل همجية وإرهاب !! ولا حول ولاقوة إلا بالله .

(٤) رواه الطبراني في « الكبير » ، والبيهقي في « الشعب » عن عمران بن حصين رضي الله عنه وهوصحيح وانظر : « صحيح الجامع »[١٥٥٤] ، [١٥٥٦] و « صحيح الترغيب »[١٢٨] و« الصحيحة »[١٠١٣].

القاعدة الثالثة عشر :

المحافظة على رسم واحد للمصحف (١)

ومما يعين على إحكام الحفظ وإتقانه والتثبت فيه ، أن يجعل الحافظ لنفسه مصحفاً خاصاً به لايغيره مطلقاً ، وذلك لأن الحفظ يكون بالنظر كما يكون بالسماع ، فصور الآيات ومواضعها في المصحف تنطبع في ذهن القارئ مع كثرة التلاوة والنظر في المصحف .

فإن غير الحافظ مصحفه الذي يحفظ فيه أو حفظ من مصاحف متعددة - متغيرة مواضع الآيات - فإن حفظه يتشتت ، ويصعب عليه ضبطه وإحكامه وإتقانه إلا بمشقة وعناء .

ولذا ينبغي لمن أراد الحفظ أن يحافظ على رسم واحد لمصحف حفظه لايغيره أبداً ، وهكذا يفعل كثير من القراء المجيدين ، والحفاظ المتقنين ، جعلني الله وإياك منهم مع الإخلاص لله في الحفظ والعلم والعمل . آمين .

---

(١) وانظر : « القواعد الذهبية » لعبدالرحمن عبدالخالق .

القاعدة الرابعة عشر: ذكر الله ودعاؤه (١)

وفيهامبحثان :

المبحث الأول : ذكر الله تعالى وفضله

إن من أهم مايجب مراعاته على كل مسلم ، وعلى طالب العلم والحفظ بوجه خاص ؛ كثرة ذكر الله تعالى ، ودوام دعائه واللجوء إليه في كل وقت وفي كل حال .

فذكر الله تعالى هو باب الفتح الأعظم ، وسبيل الوصول الأقوم ، ومن صدف عنه فقد حرم الخير كله ، وسار على غير سبيل ، ومن وفق إليه فقد هدي إلى الرشد ، وقاده إلى خير دليل .

وذكر الله تعالى يطرد الشيطان ويرضي ربنا الرحمن ، ويزيل الهم والغم ، ويجلب الفرح والسرور ، ويشرح الصدور ، ويذيب قسوة القلوب ، ويحط الخطايا والذنوب ، ويزيل وحشة القلب ، وينجي من عذاب الرب ، وهو أمان من النفاق ، وأمان من الحسرة يوم القيامة ، وهو غراس الجنة ، وسبب لنزول السكينة ، وغشيان الرحمة ، وحفوف الملائكة بالذاكر ، وهو نور للذاكر في الدنيا ، ونور له في قبره ومعاده ،

(١) انظر في هذه القاعدة : ١ - « الأذكار » للإمام النووي
٢ - « الوابل الصيب من الكلم الطيب » للإمام ابن القيم .
٣ - « النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة » لمحمد إسماعيل .
وهذه الثلاثة كتب من أفضل ماكتب في هذا الموضوع .
٤ - « رياض الصالحين » للإمام النووي . . كتاب الأذكار ، وكتاب الدعوات .
٥ - « صحيح البخاري » مع الفتح ، كتاب الدعوات ج [١١] .

يسعى بين يديه على الصراط ،يكسو الوجه نضرة في الدنيا ، ونوراً في الآخرة ؛ ولذلك أمرنا الله تعالى أن نكثر من ذكره فقال سبحانه :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ، وسبحوه بكرة وأصيلاً ﴾

[الأحزاب ٤١ ، ٤٢] وقال في وصف المؤمنين : **﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾** [الرعد : ٢٨] .

وقال سبحانه **﴿ فاذكروني أذكركم ﴾** [البقرة : ١٥٢] .

وقال جل شأنه : **﴿ فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً ﴾** [البقرة : ٢٠٠] . وقال جل وعز : **﴿ فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم ﴾** [النساء : ١٠٣] .

وقال سبحانه : **﴿ واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾** [الجمعة : ١٠]، [الأنفال : ٤٥] . وقال جل وعلا : **﴿ واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا ﴾** [الكهف : ٢٤] .

قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في تأويل قوله تعالى : **﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً ﴾** : « إن الله لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً ، ثم عذر أهلها في حال عذر ، غير الذكر فإن الله لم يجعل له حداً ينتهي إليه ، ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على عقله ، فقال : **﴿ فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم ﴾**بالليل والنهار ، في البر والبحر ، وفي السفر والحضر ، والغنى والفقر ، والصحة والسقم ، والسر والعلانية ، وعلى كل حال ، قال : **﴿ وسبحوه بكرة وأصيلاً ﴾** فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم

هــو وملائكتـــه » أ . هـ .(١) .

وقال تعالى : ﴿ **إن المسلمين والمسلمات** ﴾ إلى قوله ﴿ **والذاكـرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً** ﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

١ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال : « سـبق المفـردون » قـالوا : ومـا المفـردون يارسـول الله ؟ قـال : « الذاكـرون الله كثيراً والذاكرات »(٢).

٢ - وعن أبي سعيد الخدري مرفـوعاً « إذا أيقظ الرجل أهله فصليا ركعتين جميعاً كتبا في الذاكرين الله كثيراً والذاكرات » .(٣)

وقال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿**والذاكرين الله كثيراً والذاكرات**﴾ : [المراد : يذكـــرون الله في أدبار الصلوات ، وغدواً وعشياً ، وفي المضاجع ، وكلما استيقظ من نومه ، وكلما غدا أو راح من منزله ، ذكر الله تعالى] . أ . هـ .(٤)

٣ - وعن عائشة رضي الله عنها « أن النبي ﷺ كان يذكر الله على كل أحيانه »(٥) .

٤ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قـال : « ثلاثة لايرد

---

(١) « تفسير الطبري » [٢٢/ ١٣] .
(٢) رواه مسلم [٢٦٧٦] و الترمذي [٣٥٩٠] .
(٣) تقدم تخريجه .
(٤) « الأذكار للنووي » ص [٧] .
(٥) رواه مسلم [٣٧٣] وأبو داود [١٨] والترمذي [٣٣٨١] .

دعاؤهم : الذاكر الله كثيراً ، ودعوة المظلوم ، والإمام المقسط »[١].

٥ - وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأرفعها في درجاتكم ، وأزكاها عند مليككم وخير لكم من إعطاء الورق والذهب ، وخير لكم من أن تلقوا أعداءكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى قال : ذكر الله »[٢].

٦ - وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «مثل الذي يذكر ربه ، والذي لايذكر ربه ، مثل الحي والميت »[٣].

٧ - وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ماجلس قوم يذكرون الله تعالى ، إلا ناداهم مناد من السماء : قوموا مغفوراً لكم »[٤].

٨ - وفي « صحيح البخاري » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : قال الله تعالى : « أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه[٥] إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن أتاني

---

(١) رواه البيهقي في « الشعب » عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة مرفوعاً به . وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » [٣٠٦٤]

(٢) رواه الترمذي [٣٣٧٤] وأحمد [٦/ ٤٤٧] وابن ماجه [٣٧٩٠] وصححه الحاكم [١/ ٤٩٦] ووافقه الذهبي . وانظر « صحيح الجامع » [٢٦٢٩] .

(٣) رواه البخاري [٢٤٠٧] ومسلم [٧٧٩] .

(٤) رواه أحمد ، والضياء وصححه الألباني في « صحيح الجامع » [٥٦٠٩] .

(٥) معنى قوله : « وأنا معه إذا ذكرني » معية حفظ وكلاءة ، وتوفيق ورعاية ، لا أنه - سبحانه وتعالى - معه بذاته فإنه سبحانه مستو على عرشه بائن من خلقه ﴿ **ليس كمثله شئ وهو السميع البصير** ﴾ .

يمشي أتيته هرولة »(١) .

٩ - وعن طلحة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يعمر في الإسلام ؛ لتكبيره وتحميده وتسبيحه وتهليله »(٢) .

وغير ذلك من نصوص الوحي الكثيرة الدالة على فضيلة الذكر والمرغبة فيه . . ووردت نصوص أخرى كثيرة تحذرنا من ترك الذكر وتأمرنا بالبعد عن الغافلين الساهين وتبين لنا سوء مصيرهم ومن ذلك قوله تعالى : **﴿ ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾** [الكهف : ٢٨] .

وقوله سبحانه ، **﴿ ولاتكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ﴾** [الحشر : ١٩] .

وقوله عزوجل **﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ، قال كذلك أتتك أياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾** [طه : ١٢٦] .

وقوله تعالى : **﴿ يا أيها الذين أمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ﴾** [المنافقون : ٩] .

ووصف المنافقين بأنهم لايذكرونه إلا قليلاً فقال سبحانه **﴿ وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولايذكرون الله إلا قليلاً ﴾**

[النساء : ١٤٢]

---

(١) رواه البخاري [٧٤٠٥] ومسلم [٢٦٧٥] والترمذي [٣٥٩٨] وغيرهم .

(٢) انظر : « الصحيحة » [٦٥٤] ، « صحيح الجامع » [٥٣٧١] .

٨ - وفي حديث أبي هريرة مرفوعاً « من قعد مقعداً لم يذكر الله فيه ، كانت عليه من الله ترة [(١)] ، ومن اضطجع مضجعاً لايذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ، وما مشى أحد ممشى لايذكر الله فيه إلا كانت عليه من الله ترة » [(٢)].

٩ - وفي رواية : « ماجلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم » [(٣)].

١ - وعنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « مامن قوم يقومون من مجلس لايذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار ، وكان عليهم حسرة يوم القيامة » [(٤)].

ومما ينبغي أن يعلم : أن [أفضل الأذكار مطلقاً تلاوة كتاب الله عزوجل ، إلا فيما شرع بغيره ، وذلك في المواطن التي ورد النهي فيها عن قراءة القرآن كحالتي الركوع والسجود ، وهكذا ماوردت به السنة المطهرة من الأذكار الموظفة في الأوقات وعقيب الصلوات لأن إرشاده ﷺ إليها في هذه الأوقات يدل على أفضليتها على غيرها ، ثم أفضل

(١) أصل الترة : النقص ، ومنه قوله تعالى ﴿ ولن يتركم أعمالكم ﴾ أي : لن ينقصكم ، ومعناها ها هنا : التبعة ، يقال : وترت الرجل ترة . على وزن : وعدته عدة . « شرح السنة » [٥/ ٢٨] للبغوي .

(٢) رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه وصححه الألباني « صحيح الجامع » [٦٤٧٧] .

(٣) رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وابن السني وغيرهم وصححه الألباني في « صحيح الجامع » [٥٦٠٧] .

(٤) رواه أبو داود والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ، ورواه ابن السني وصححه الألباني ، « صحيح الجامع » [٥٧٥٠] .

الذكر بعد تلاوة القرآن الكريم دراسة علم الحديث النبوي الشريف ، وما أكثر ماثبت من النصوص في فضيلة العلم والعلماء والتعليم والتعلم ، ثم أفضل الذكر بعد ذلك التصلية والتسليم على رسول الله ﷺ ، ثم سائر الأذكار المأثورة والدعوات المشهورة في دواوين السنة يأتي بها الذاكر في أوقاتها ، ومنها ماهو غير مؤقت فيأتي بها كما جاءت ، ولايبتدع بل يتبع والله المستعان .] أ. هـ (١).

وقال ابن القيم رحمه الله : « الإقبال على الله تعالى ، والإنابة إليه والرضى به وعنه ، وامتلاء القلب من محبته ، واللهج بذكره والفرح والسرور بمعرفته ثواب عاجل وجنة وعيش لانسبة لعيش الملوك إليه البتة . وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : « إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة » . وقال بعض العارفين : لو علم الملوك وأبناء الملوك مانحن فيه من النعيم لجالدونا عليه بالسيوف . وقال آخر : مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وماذاقوا أطيب مافيها ! قيل : وما أطيب مافيها ؟ قال : محبة الله ومعرفته وذكره » أ. هـ . (٢) .

وقال الحافظ ابن كثير في تأويل قوله تعالى : ﴿**واذكر ربك إذا نسيت . . .**﴾ .

[. . . ويحتمل في الآية وجه آخر ، وهو أن يكون الله تعالى قد أرشد من نسي الشئ في كلامه إلى ذكر الله تعالى ؛ لأن النسيان منشأه

(١) نقلاً عن « النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة » ص [١٨] ط دار الإيمان . وانظر : «نزل الأبرار » لصديق حسن خان ص [١٥٦] .

(٢) « الوابل الصيب » [٦٩ - ٧٠] ط الريان بتصرف .

من الشيطان ؛ كماقال فتى موسى ﴿ **وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره** ﴾ ؛ وذكر الله يطرد الشيطان ؛ فإذا ذهب الشيطان ذهب النسيان . فذكر الله سبب للذكر ؛ ولهذا قال : ﴿ **واذكر ربك إذا نسيت** ﴾ . . .] . أ. هـ[١] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي :

[ويؤخذ من عموم قوله تعالى : ﴿ **واذكر ربك إذا نسيت** ﴾ : الأمر بذكر الله عند النسيان فإنه يزيله ، ويذكر العبد ماسها عنه وكذلك يؤمر الساهي الناسي لذكر الله أن يذكر ربه ، ولايكونن من الغافلين .

ولما كان العبد مفتقراً إلى الله في توفيقه للإصابة وعدم الخطأ في أقواله وأفعاله ، أمره أن يقول : ﴿ **عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً** ﴾ فأمره أن يدعو الله ويرجوه ، ويثق به أن يهديه لأقرب الطرق الموصلةإلى الرشد . وحري بعبد تكون هذه حاله ، ثم يبذل جهده ويستفرغ وسعه في طلب الهدى ؛ أن يوفق لذلك ، وأن تأتيه المعونة من ربه ، وأن يسدده في جميع أموره] . أ. هـ[٢] . .

فجدير بكل مسلم ، وبحملة كتاب الله وطلبة العلم الشرعي على وجه الخصوص أن يكونوا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وأن يلتزموا بالأذكار الموظفة على مدار اليوم والليلة ، فيلتزموا بأذكار الصباح والمساء وأذكار النوم والاستيقاظ وأذكار دخول المنزل والخروج منه وكذا دخول المسجد والخروج منه وأذكار الصلوات ومايقال بعدها . . . وغير ذلك من الأذكار الموظفة في يوم المسلم وليلته .

---

(١) « تفسير ابن كثير » [٣ / ٧٨] .

(٢) « تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان » [٥/ ٢٦] .

المبحث الثاني : الدعاءوفضله

قال الله تعالى : ﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي ، لعلهم يرشدون**﴾ [البقرة : ١٨٦] وقال سبحانه : ﴿ **وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين** ﴾ [غافر : ٦٠] .

١ - وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « الدعاء هو العبادة »(١).

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ليس شئ أكرم على الله تعالى من الدعاء »(٢) .

٣ - وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً خائبتين »(٣) .

٤ - وعنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لايرد القضاء إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر »(٤) .

٥ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إنه من لم

---

(١) رواه أحمد وأصحاب السنن وابن حبان والحاكم وصححه الألباني في « صحيح الجامع » [٣٤٠٧] .

(٢) رواه أحمد والبخاري في « الأدب المفرد » والترمذي والحاكم ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » [٥٣٩٢] .

(٣) رواه أحمد وأبو داود والترمذي واللفظ له وقال : حديث حسن . وقال الحافظ ابن حجر : اسناده جيد . وانظر « سنن أبي داود » [١٤٨٨] .

(٤) رواه الترمذي والحاكم . وحسنه الألباني في « الصحيحة » [١٥٤] .

يسأل الله يغضب عليه » [١].

٦ – وعنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : أعجز الناس من عجز عن الدعاء ، وأبخل الناس من بخل بالسلام » [٢].

وفي دعاء الله عزوجل معان :

أحدها : الوجود ، فإن من ليس بموجود لايدعى .

الثاني : الغني ، فإن الفقير لايدعى .

الثالث : السمع ، فإن الأصم لايدعى .

الرابع : الكرم ، فإن البخيل لايدعى .

الخامس : الرحمة . فإن القاسي لايدعى .

السادس : القدرة فإن العاجز لايدعى . أ. هـ [٣] .

ومن كان موجوداً وموصوفاً بالغنى والكرم والرحمة والجود وهو سميع بصير قادر لايعجزه شيء وخزائنه ملئى . . جدير بأن يطلب منه لامن غيره ، وأن يلجأ إليه لا إلى غيره ، وأن يدعى وحده دون سواه . . سبحانه وتعالى . .

---

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني في « صحيح الجامع » [٢٤١٨] . وسبب غضب الله عليه أنه إما قانط وإما مستكبر ، وكلا الأمرين موجب لسخط الله وغضبه . وقد تقدم قوله تعالى : ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ أي : عن دعائي ، فهو سبحانه يحب أن يسأل وأن يلح عليه ومن لم يسأله يبغضه ويغضب عليه .

(٢) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » ، ورواه الطبراني في « الأوسط » وانظر : « صحيح الجامع »[١٠٤٤].

(٣) نقلاً عن « النصيحة » ص [٧٦] .

وحفظ كلام الله عزوجل ، والتفقه في دينه ، عطية وهبة ، يهبها الله تعالى لمن شاء من عباده ، فأكثر من سؤاله واللجوء إليه أن يجعلك من أهل العلم والحفظ والفهم والعمل بما تعلم ، فإن من أدام قرع الباب أوشك أن يفتح له .

وقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذا صعبت عليه مسألة ذهب إلى المساجد المهجورة حيث لايراه أحد إلا ربه وخالقه وعفر وجهه في التراب والتجأ إلى رب الأرباب وقال : يامعلم آدم وإبراهيم علمني ، ويامفهم سليمان فهمني . وتقدم قوله رحمه الله : « وكما أن لله ملائكة موكلة بالسحاب والمطر ، فله ملائكة موكلة بالهدى والعلم ، هذا رزق القلوب وقوتها ، وهذا رزق الأجساد وقوتها »[1].

وقال الإمام مالك رحمه الله : « والعلم والحكمة نور يهدي به الله من يشاء وليس بكثرة المسائل »[2].

وقد قال سبحانه **﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾** فهو قريب سبحانه بعلمه وسمعه وقدرته ومعونته ، لايخيب رجاء من دعاه والتجأ إليه .

فمن دعا ربه بقلب حاضر ودعاء مشروع ولم يمنع مانع من إجابة الدعاء كأكل الحرام ونحوه ، فإن الله قد وعده بالإجابة ومن أصدق من الله قيلا .

ويتأكد حصول الإجابة إذا أتى الداعي بأسبابها وهي الاستجابة لله تعالى والانقياد لأوامره وترك نواهيه القولية والفعلية مع الإخلاص لله والمراقبة له ، والخوف منه والمداومة على طاعته ، ولهذا قال سبحانه :

---

(١) تقدم في قاعدة « اجتناب المعاصي » .

(٢) جامع بيان العلم وفضله [١/ ١٧ - ١٨] .

﴿. . فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾ . [البقرة : ١٨٦] .

وإنني ألخص لك بعض آداب الدعاء ومستحباته ، وأوقات الإجابة ، وأسبابها وموانعها ، ومن يستجاب دعاؤهم ، ومايبنغي أن يحذره الداعي . . فإن أردت الزيادة على ما أذكره لك فارجع إلى ماكتبه أهل العلم في هذا الموضوع .

أولاً : آداب الدعاء :

١ - التوبة إلى الله تعالى ورد المظالم إلى أهلها .

٢ - الاعتراف بالذنب بين يدي الرب تبارك وتعالى وفي دعاء سيد الإستغفار : « اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ماصنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء [أعترف] بذنبي فاغفر لي إنه لايغفر الذنوب إلا أنت » .

٣ - الإخلاص لله تعالى والتأدب والخشوع ، والمسكنة والخضوع ، وإظهار الافتقار والشكوى إليه مع البكاء أو التباكي .

٤ - تجنب الحرام مأكلاً وملبساً ومشرباً ، والتعفف عن الشبهات .

٥ - استقبال القبلة فإنها الجهة التي يتوجه إليها العابدون لله تعالى ، والمتقربون إليه ، والداعون له .

٦ - استحباب الوضوء قبله وأن يستاك ويتطيب فيكون على طهارة كاملة فإنه يلجأ إلى ملك الملوك ورب الأرباب سبحانه .

٧ - أن يقدم الداعي عملاً صالحاً بين يدي دعائه كصدقة أو صيام أو

صلاة أو إحسان إلى يتيم (١) ، أو تفريج كربة معسر ، أو قضاء حاجة أخيه المسلم ، أو تلاوة القرآن أو غير ذلك من أعمال الخير والطاعة . (٢)

٨ - رفع اليدين في الدعاء ووردت فيه صفات ثلاثة :

الأولى : أن ترفع اليدين حذو المنكبين [غير ساتر لهما بثوب أو غطاء] وذلك عند المسألة .

الثانية : تشير بأصبع واحدة وذلك عند الاستغفار .

الثالثة : تمد يديك جميعاً وذلك عند الإبتهال .

ودليل ذلك مارواه أبو داود في سننه [وهو صحيح] عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً وموقوفاً : « المسألة أن ترفع يديك حذو منكبيك أو نحوهما ، والاستغفار أن تشير بأصبع واحدة ، والابتهال أن تمد يديك جميعاً » (٣).

٩ - أن يبدأ دعاءه بحمد الله تعالى والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله ﷺ وعليه أن يجتهد في ذلك ويكثر منه في أول الدعاء ووسطه وآخره فإنه الجناح الذي يصعد به خالص الدعاء إلى عنان السماء .

١٠ - أن يلح الداعي في الدعاء وأن يعزم في المسألة ، وأن يعظم

---

(١) روى البيهقي ، والضياء ، والخرائطي في « مكارم الأخلاق » وابن عساكر عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ادن اليتيم منك ، والطفه ، وامسح برأسه ، وأطعمه من طعامك ، فإن ذلك يلين قلبك ، ويدرك حاجتك » وانظر : « صحيح الجامع » [٢٥٠] .

(٢) أخذ ذلك من قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ﴾ [المجادلة : ١٢] فإذا كان المناجي للرسول ﷺ مطالب بتقديم صدقة - وهي عمل صالح - بين يدي مناجاته له ، فلأن يقدم بين يدي مناجاة الله عزوجل من باب أولى . والله أعلم .

(٣) وانظر : رسالة « النبذ المستطابة في الدعوات المستجابة » لسليم الهلالي ، والحديث في « سنن أبي داود »[١٤٨٩ ، ١٤٩٠ ، ١٤٩١] في « كتاب الصلاة » .

رغبته ويجزم في الطلب وأن يوقن بالإجابة ، وأن يحسن الظن بالله عزوجل في إجابته لدعائه .

١١ - أن يكرر الدعاء ثلاثاً وقد كان النبي ﷺ يفعله .

١٢ - أن يلزم الدعاء في الشدة وفي الرخاء وفي جميع الأحوال ففي حديث ابن عباس الشهير « تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة» .

وفي الحديث أيضاً « من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء »(١).

١٣ - أن يدعو بجوامع الأدعية ويدع مادون ذلك ، وإن اقتصر على أدعية القرآن والسنة فقد أحسن وأصاب وذلك أنها جمعت خيري الدنيا والآخرة مع وجازة اللفظ وجمال العبارة .

١٤ - أن يتحرى أوقات الإجابة ، وأن يغتنم الأحوال والأوضاع التي يستجاب فيها الدعاء .

١٥ - أن يدعو الله بأسمائه الحسنى ولاسيما باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل بهأعطى . [الله لا إله إلا هو الحي القيوم] و [ياذا الجلال والإكرام]وقد قال تعالى ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها. .** ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

فيتخير من أسماء الله مايناسب حاجته فيدعوه بها فإذا طلب شيئاً قال: ياكريم وياجواد ، وإذا أراد المغفرة قال : ياغفور يارحيم يارحمن وإذا دعا على قوم قال : ياجبار يامنتقم ياقوي ياعزيز . . . وهكذا .

---

(١) رواه الترمذي والحاكم وحسنه الألباني . وانظر : (الصحيحة) [٥٩٥] .

١٦ - أن يبدأ بنفسه في الدعاء ثم يثني بغيره وذلك لأن التأخر في مثل هذا الموطن فيه نوع إعراض ، والأولى المسارعة والاستباق وقد قال تعالى : ﴿ **فاستبقوا الخيرات** ﴾ [البقرة : ١٨٤] وقال : ﴿ **وفي ذلك فليتنافس المتنافسون** ﴾ [المطففين : ٢٦] .

١٧ - أن يخفض الداعي صوته وأن يجعله بين الجهر والمخافتة .

وفي الحديث : « أربعوا على أنفسكم إنكم لاتدعون أصم ولاغائباً ، إنكم تدعون سميعاً بصيراً » .

١٨ - أن يستعمل في كل مقام الدعاء المأثور فيه ، فهو أفضل من غيره لتنصيص الشارع عليه ، والأولى أن يقتصر على المأثور ، فما كل أحد يحسن الدعاء ، فيخاف عليه من الاعتداء .

١٩ - أن يشرك إخوانه معه في دعائه - لاسيما إذا كان الداعي إماماً أو مع جماعة ـ وهذه صفة المؤمنين ، وعباد الله الصالحين قال تعالى : ﴿**والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم** ﴾

[الحشر : ١٠]

٢٠ - أن يسأل الله تعالى جميع حاجاته صغيرها وكبيرها ، حقيرها وجليلها ، وأن يرى منة الله عليه وفضله ، في إجابته إلى صغير الحوائج وكبيرها على السواء . قال تعالى : ﴿ **واسألوا الله من فضله** ﴾ [النساء ٣٢] .

وفي حديث أنس مرفوعاً : « ليسأل أحدكم ربه حاجاته كلها ، حتى

يسأله شسع نعله إذا انقطع »[١].

وفي الحديث « سلو الله كل شئ حتى الشسع فإن الله عزوجل إن لم ييسره لم يتيسر »[٢] و « وإذا تمنى أحدكم فليكثر فإنما يسأل ربه »[٣].

٢١ - يستحب التأمين عقب الدعاء للداعي والمستمع ، والتأمين في الحقيقة دعاء بمعنى « اللهم استجب » وإنما ذكر عقب الدعاء لأنه مقام التلخيص بعد التفصيل ، والإجمال بعد البسط .

٢٢ - أن يحمد الله تعالى ويشكره عقب الدعاء أن وفقه لدعائه واللجوء إليه فإن ذلك من أعظم النعم وأن يزداد حمده وشكره إذا استجاب الله له دعاءه .

ثانياً : ماينبغي أن يحذره الداعي :

ويجب على الداعي أن يحذر من بعض الأمور وأن يتجنبها في دعائه ومنها :

١ - أن لايتوجه بالسؤال إلا إلى الله تعالى ، فإنه لايقدر على حاجته إلا ربه وخالقه ، [ومن عداه فإنه في قبضته ومسخر بتسخيره] فلا يسأل إلا الله ولا يستعين إلا بالله .

---

(١) رواه الترمذي وقال : حديث حسن ، وابن حبان ، وحسنه الأرناؤوط .
وانظر : « جامع الأصول » [٢١٣٥] .

(٢) رواه ابن السني [٣٥٤] وفيه قطن بن نسير ، قال فيه الذهبي في « الميزان » : كان أبو حاتم يحمل عليه ، وقال ابن عدي : يسرق الحديث . أ. هـ . والحديث ضعفه الألباني في «ضعيف الجامع » [٤٩٤٨] .

(٣) رواه ابن حبان في « صحيحه » وصححه . وقال الهيثمي : « رجاله رجال الصحيح » .
وانظر : « مجمع الزوائد » [١٠/ ١٥٠] .

وفي الحديث : « إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله » (١)

٢ – أن لايدعو بأمر مستحيل وقوعه عقلاً وعادة ، كالخلود في الدنيا ، وإحياء الموتى ، ورؤية الله في الدنيا ، وإنزال مائدة من السماء ونحوه مما هو مختص بالأنبياء من المعجزات . ولا يدعو بأمر قد فرغ منه كالآجال ونحوها فهذا كله من الإعتداء المنهي عنه في الدعاء .

٣ – أن لايدعو بإثم [كأن يسأل خمراً يشربها أو امرأة يفحش بها] ولاقطيعة رحم . ففي الحديث : « ماعلى الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها ، أو صرف عنه من السوء مثلها ، مالم يدع بإثم ولاقطيعة رحم » (٢)

ويدخل في الإثم كل مايأثم به من الذنوب ، ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم ، ويدخل فيه أيضاً . . الدعاء على أهله أو ماله ، وقد ورد النهي عن ذلك بخصوصه .

٤ – أن لايكون دعاؤه على وجه الاختبار لربه تبارك وتعالى ، أو التجريب ، بل يكون سؤالاً محضاً ، إذ العبد ليس له أن يختبر ربه عزوجل .

٥ – أن لايشغله الدعاء عن فريضة حاضرة فيفوتها ، فيكون عاصياً .

---

(١) رواه أحمد ، والحاكم ، والترمذي ، وقال : حسن صحيح . والحديث صححه الألباني وانظر : « صحيح الجامع » [٧٨٣٤] .

(٢) رواه الترمذي وقال : حسن صحيح ، والحاكم وزاد [أو يدخر له من الأجر مثلها] وحسنه الألباني .

٦ - أن لايستعجل ، ولايضجر من تأخر الإجابة ، كمن له حق على غيره ، إذ ليس لأحد على الله حق . وفي الحديث : « يستجاب لأحدكم مالم يعجل : يقول : دعوت ربي فلم يستجب لي » وفي رواية لمسلم : «قيل يارسول الله : ما الاستعجال ؟ قال : يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجب لي ، فيتحسر عند ذلك ويدع الدعاء »[1].

وأيضاً : فقد تكون مصلحته في تأخير الإجابة .

والدعاء عبادة واستكانة والضجر والاستعجال ينافيها .

٧ - أن لايسيئ الأدب في خطاب الرب تبارك وتعالى وأن لايدعو بما لايليق ولاينبغي وإن كان حقاً فلا يقول : « ياخالق الحيات والعقارب أو ياضار » . . . ونحوه ، وذلك لوجوب تعظيم الله تعالى في كل حال ، وهو في حال السؤال أوجب وآكد .

٨ -أن لايقتصر على دعاء غيره من الناس ، مع الجهل بمعناه ، أو انصراف الهم عن لفظه ، إذ الدعاء سؤال ، وهذا غير سائل بل حاك لكلام غيره ، ولا بأس إذا كان الدعاء حسناً ومن عبد صالح ؛ أن يختاره ويفهمه ويوفيه حقه من الإخلاص .

٩ - أن لايدعو بلسان الفصاحة والانطلاق ، وأن لايتشدق بعباراته في أثناء الدعاء وأن لايتكلف السجع فإن ذلك كله مناف لروح الدعاء ، وإنما يدعو بلسان الذلة والافتقار .

١٠ - ومما ينبغي أن يحذره الداعي : الدعاء الجماعي ، فإنه بدعة لم

(١) رواه البخاري [٦٣٤٠] ومسلم [٢٧٣٥] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

يثبت عن النبي ﷺ ولا أصحابه ولو كان خيراً لسبقونا إليه ، وأعني به : تخصيص الاجتماع لأجل الدعاء ، فأما لو وجد اجتماع على طاعة لله تبارك وتعالى كدرس علم أو تلاوة قرآن أو نحو ذلك ثم دعوا فلا أعلم بذلك بأساً .

١١ - ومما ينبغي أن يحذره الداعي : ضم اليدين إلى الصدر أثناء الدعاء [وقد تقدم صفة رفع اليدين] .

١٢ - ومما ينبغي أن يحذره الداعي : التوسل بجاه النبي ﷺ أو بجاه غيره فإنه توسل بدعي لايجوز (١)

ثالثاً : من أوقات استجابة الدعاء : (٢)

١ - يوم عرفه من السنة ، ورمضان من الشهور ، ويوم الجمعة من الأسبوع في آخر ساعة بعد العصر إذا جلس ينتظر صلاة المغرب .

٢ - جوف الليل الآخر ونصفه الثاني ، وثلثه الأول ، وثلثه الأخير ، ووقت السحر .

٣ - ساعة من كل ليلة . ٤ - ليلة القدر .

٥ - عند الأذان وبين الأذان والإقامة (٣) وعند إقامة الصلاة .

٦ - عند التأمين في الصلاة .

٧ - بعد الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير .

---

(١) وانظر : رسالة « التوسل أنوعه وأحكامه » للألباني .

(٢) انظر : « النصيحة » ص [٨٣] وهو هنا بتصرف يسير منه .

(٣) انظر : « صحيح الجامع » [٣٤٠٥] ، [٣٤٠٦] .

٨ – دبر الصلوات المكتوبات .

٩ – عند الإجتماع في مجالس الذكر .

١٠ – عند شرب ماء زمزم   ١١ – عند نزول المطر .

١٢ – عند التحام الحرب مع الكفار .   ١٣ – عند صياح الديكة .

١٤ – عند حضور الميت وعند تغميضه .

رابعاً : من يستجاب دعاؤهم :(١)

١ – دعاء الرجل المسلم إذا جمع شروط الدعاء وآدابه والتزمها .

٢ – دعاء المضطر ، والمظلوم ولو كان فاجراً أو كافراً .

٣ – الإمام العادل .   ٤ – الوالد على ولده .

٥ – الولد البار بوالديه .   ٦ – الصائم .

٧ – المسافر .   ٨ –الذاكر الله كثيراً .

٩ – دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب .

١٠ – الحاج والمعتمر وفي الحديث : « الحجاج والعمار وفد الله ، دعاهم فأجابوه ، وسألوه فأعطاهم » (٢)

١١ – من استيقظ من الليل فقال : « لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ، الحمد لله ، سبحان الله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم » .

---

(١) انظر : « النصيحة » [٨٤ ، ٨٥] . بتصرف يسير .

(٢) رواه البزار وحسنه الألباني وانظر : « الصحيحة » [١٨٢٠] .

ففي الحديث ، أن من تعار من الليل فقاله ثم قال : اللهم اغفر لي أو دعا . . أستجيب له فإن قام فتوضأ وصلى قبلت صلاته »(١) .

١٢ - من دعا بدعوة ذي النون « لا إله إلا أنت سبحانك ، إني كنت من الظالمين » (٢).

١٣ - من قال قبل السلام في الصلاة : « اللهم إني أسألك يا الله بأنك الواحد الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد أن تغفر لي ذنوبي ، إنك أنت الغفور الرحيم » يستجب له (٣).

١٤ - من قال في نفس الموضع [اللهم إني أسألك بأن لك الحمد ، لا إله إلا أنت وحدك لاشريك لك المنان يابديع السموات والأرض ، ياذا الجلال والإكرام ، ياحي ياقيوم إني أسألك] (٤) الجنة وأعوذ بك من النار فإنه دعاء بالاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى .

خامساً : موانع إجابة الدعاء :

إذا توجه العبد إلى الله تعالى بالدعاء ثم لم يستجب له دعاؤه فإن هناك احتمالات ثلاثة :

الاحتمال الأول : أن الإجابة مؤجلة له في الدنيا إلى حيث الوقت المناسب الذي تثمر فيه .

---

(١) رواه البخاري [١١٥٤] وأبو داود [٥٠٦٠] .

(٢) رواه أحمد والترمذي والنسائي والحاكم والضياء وغيرهم وصححه الألباني .

(٣) رواه أبو داود [٩٨٥] والنسائي [٣/ ٥٢] وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(٤) أنظر : النسائي [٣/ ٥٢] والحديث رواه أبو داود وأحمد والطبراني وصححه الألباني .

الاحتمال الثاني : أن لايستجاب له في الدنيا ، ولكن يجازى على دعائه بأن يرفع عنه سوء كان مقدراً عليه ، أو يدخر له أجره في الآخرة .

الاحتمال الثالث : أن ترد دعوته ولاتقبل منه ولاتستجاب له ؛ وذلك لوجود مانع من موانع الإجابة .

وموانع الإجابة باختصار هي :

(١) ترك الأمربالمعروف والنهي عن المنكر ، فقد قال ﷺ : « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم » (١).

وإذا كان من لايأمر بالمعروف ولاينهى عن المنكر لايستجاب دعاؤه فكيف بمن هو غارق في المنكرات أصلاً !! فالله المستعان .

(٢) الاستعجال في الدعاء بأن يقول : دعوت فلم يستجب لي .

(٣) الدعاء بإثم أو قطيعة رحم .

(٤) أكل الداعي من مأكل حرام ، وشربه من شراب حرام ، ولبسه من ملبس حرام . وفي الأثر « أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة » وفي الحديث : « . . . ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء ، يارب يارب ومطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له » (٢).

(٥) استيلاء الغفلة والشهوة وهوى النفوس .

قال تعالى : **﴿ إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾**

[الرعد : ١١] وفي الحديث : « ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ،

---

(١) رواه أحمد والترمذي وحسنه وانظر : « صحيح الجامع » [٦٩٤٧] .

(٢) رواه مسلم [١٠١٥] والترمذي [٢٧٩٩] .

واعلموا أن الله لايستجيب دعاء من قلب غافل لاه »[١].

(٦) الدعاء على أناس مخصوصين :

ففي الحديث : « ثلاثة يدعون الله عزوجل فلا يستجاب لهم : رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، [٢] ورجل كان له على رجل مال فلم يشهد عليه [٣] ورجل آتى سفيهاً ماله ، [٤] وقد قال تعالى : ﴿ **ولاتؤتوا السفهاء أموالكم** ﴾ [٥] » . .

(٧) ارتكاب بعض الذنوب المخصوصة .

(٨) عدم الجزم في الدعاء .

(٩) عدم الخشوع في الدعاء .

وقد لايستجاب الدعاء لحكمة ربانية لا يدركها الداعي .

وإذا أراد العبد أن يكون مستجاب الدعوة فليتزم بما سبق ذكره في هذا المبحث وليكثر من النوافل والطاعات والمستحبات فقد ثبت في الحديث عند البخاري وغيره « إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وماتقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، ومايزال

---

(١) رواه الترمذي والحاكم وحسنه الألباني في « الصحيحة » [٥٩٦] .

(٢) فإذا دعى عليها لايستجاب له ، لأنه المعذب نفسه بمعاشرتها وهو في سعة من فراقها .

(٣) أي : فأنكر أخذه للمال . فإذا دعى عليه لايستجاب له لأنه المفرط والمقصر بعدم امتثال قوله تعالى : ﴿ **واستشهدوا شهيدين من رجالكم** ﴾ .

(٤) أي : محجوراً عليه بسفه . (ماله) أي : شيئاً من ماله مع علمه بالحجر عليه فإذا دعى عليه لايستجاب له لأنه المضيع لماله فلا عذر له وانظر « فيض القدير » [٣/ ٣٣٦] .

(٥) رواه الحاكم وغيره وصححه الألباني «صحيح الجامع » [٣٠٧٠] .

عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني أعطيته ، ولئن استعاذني لأعيذنه » (١).

سادساً : شرب ماء زمزم مع الدعاء :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « خير ماء على وجه الأرض ، ماء زمزم . فيه طعام الطعم وشفاء السقم » (٢).

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « زمزم طعام طعم ، وشفاء سقم » (٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « ماء زمزم لما شرب له ، إن شربته تستشفي به شفاك الله ، وإن شربته ليشبعك أشبعك الله ، وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله . . . ».

وزاد الحاكم : « وإن شربته مستعيذاً أعاذك الله » قال الراوي : وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا شرب ماء زمزم قال : اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً ، وشفاء من كل داء » (٤).

وعن جابر وعبدالله بن عمرو رضي الله عنهم أن النبي ﷺ قال : «ماء

---

(١) رواه البخاري [٦٥٠٢] وانظر الفتح [١١ / ٣٤٨ - ٣٥٥] .

(٢) قال المنذري : رواه الطبراني في الكبير ورواته ثقات ، وابن حبان في صحيحه . أ.هـ . وصححه الألباني وانظر : «صحيح الجامع » [٣٣٢٢] .

(٣) قال المنذري : رواه البزاز بإسناد صحيح .

(٤) رواه الدار قطني . . وقال الحاكم بعد أن أورده بالزيادة المذكورة : وهو صحيح الإسناد ؛ إن سلم من الجارود . أ.هـ يعني محمد بن حبيب . وانظر : الترغيب والترهيب للمنذري [٢ / ٢١٠] ط . الريان .

زمزم لما شرب له » (١).

وعن ابن أبي مليكة قال : « كنت عند ابن عباس فجاءرجل فجلس إلى جنبه فقال له ابن عباس : من أين جئت ؟ قال : شربت ماء زمزم .

قال : شربتها كما ينبغي ؟ قال : وكيف ينبغي يا ابن عباس ؟ قال : تستقبل القبلة وتسمى الله ثم تشرب ، وتتنفس ثلاث مرات ، فإذا فرغت حمدت الله تعالى ، وتتضلع منها فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن آية مابيننا وبين المنافقين أنهم لايتضلعون من زمزم » (٢).

فيستحب لمن كان في أرض الحرمين الشريفين ، أو كان في غيرهما وأمكنه الحصول على ماء زمزم أن يكثر من الشرب منه مع دعاء الله عزوجل أن يرزقه الحفظ والفهم والعلم والعمل فإن ذلك مظنة الإجابة وقد فعل غير واحد من السلف هذا .

فبعضهم شرب ماء زمزم وقال : اللهم إني أشربه لظمأ يوم القيامة .

وشربه ابن حجر العسقلاني - رحمه الله - ليبلغ منزلة الذهبي في الحفظ فبلغها . (٣)

---

(١) رواه ابن أبي شيبة وأحمد وابن ماجه والبيهقي عن جابر ، ورواه البيهقي في « شعب الإيمان » عن عبدالله بن عمرو مرفوعاً به . وانظر : « صحيح الجامع » [٥٥٠٢] .

(٢) التضلع : هو الإكثار من الشرب حتى يمتلأ الجنب والأضلاع ، والأثر رواه ابن ماجه وعبدالرزاق في المصنف عن ابن أبي مليكة .

(٣) أي : في الحفظ فقط وأما مرتبة الذهبي في العلم والفهم فما توصل إليها أحد ممن جاء بعده ، فهو إمام جبل وحافظ ثبت ، قل أن يوجد مثله - رحمه الله تعالى وأكرم مثواه - وكذلك فإن الإمام ابن حجر لم يسلك طريق أهل السنة في الاعتقاد في باب الأسماء والصفات ، ويعرف هذا من قرأ في كتبه ، لاسيما « فتح الباري » . والله أعلم .

القاعدة الخامسة عشر: التسميع الدائم

وينبغي على الحافظ لكتاب الله تعالى ألا يعتمد على حفظه بمفرده بل يجب عليه أن يعرض حفظه دائماً على حافظ آخر أو متابع له في المصحف وحبذا لو كان هذا مع حافظ متقن وذلك حتى ينبهه لما يمكن أن يكون قد نسيه من القراءة ، أو ردده دون وعي أوأخطأ فيه .

فكثيراً مايحفظ الواحد منا السورة خطأ ولاينتبه لذلك حتى مع النظر في المصحف ، لأن القراءة كثيراً ماتسبق النظر ، فينظر مريد الحفظ في المصحف ولايرى بنفسه موضع الخطأ من قراءته . ولذلك كان التسميع لغيره وسيلة لاستدراك هذه الأخطاء وتنبيهاً دائماً لذهنه وحفظه .

وكماأن في التسميع للغير تصحيح للخطأ واستدراك لما قد يحصل من النسيان ، فهو كذلك تثبيت للمحفوظ وتقوية للذاكرة على استيعابه والاحتفاظ به .

ولهذا كان السلف الصالح يداومون على تسميع القرآن على غيرهم وكانوا يحرصون على عرض حفظهم على شيوخهم المتقنين .

قال مجاهد : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات ، أقفه عند كل آية أسأله فيما نزلت وكيف كانت . (١)

وعن حفصة بنت سيرين قالت : قال لي أبو العالية : قرأت القرآن على عمر رضي الله عنه ثلاث مرار . (٢)

---

(١) «نزهة الفضلا» [١/ ٤١٨] .

(٢) «نفسه» [١/ ٣٦٦] .

وهذا أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عبدالله بن عمرو الملقب بورش [١] [ت ١٩٧هـ] تلا على نافع شيخه أربع ختمات في شهر واحد .

وحرص السلف كذلك على إقامة حلقات للتلاوة والتسميع في المساجد لأهمية التسميع وكثرة فوائده ، [٢]وكان هذا ديدن السلف الصالح ، ليس في القرآن وحده بل في سائر العلوم الشرعية ، وكان الواحد منهم يشتهي أن يلقى أخاه حتى يذاكره العلم .

يقول إبراهيم النخعي رحمه الله : « إنه ليطول علي الليل حتى ألقى أصحابي فأذاكرهم » .

وقال إبراهيم بن أرومة الأصبهاني : « كل من حفظ حديثاً فلم يذاكر به تفلت منه » .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « كنا نكون عند النبي ﷺ فنسمع منه الحديث ، فإذا قمنا ذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه » .

وعن عبدالعزيز بن أبي حازم قال : قال أبي : « كان الناس فيما مضى من الزمان الأول إذا لقي الرجل من هو أعلم منه قال : اليوم يوم غُنْمِي ؛ فيتعلم منه . وإذا لقي من هو مثله قال : اليوم يوم مذاكرتي ؛ فيذاكره . وإذا لقى من هو دونه علّمه ، ولم يَزْهُ عليه . قال : حتى صار هذا الزمان، فصار الرجل يعيب من فوقه ابتغاء أن ينقطع منه حتى لايرى الناس أن له إليه حاجة ، وإذا لقى من هو مثله لم يذاكره ، فهلك الناس عند ذلك » . أ.هـ .

---

(١) صاحب القراءة المشهورة جود ختمات على نافع ولقبه نافع بورش لشدة بياضه « والورش : لبن يصنع » وانظر : « نزهة الفضلاء » [٢/ ٧١١].

(٢) سيأتي هذا - إن شاء الله - في قاعدة تعليم الناس المحفوظ .

وصدق رحمه الله فيما قال ، وليت أهل هذا الزمان [وخاصة طلبة العلم الشرعي] تأملوا مقولته هذه وتمثلوا بما فيها وعملوا بها . والله المستعان .

القاعدة السادسة عشر : كتابة مايريد حفظه

أورد الخطيب البغدادي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رجل يشهد حديث النبي ﷺ فلا يحفظه فيسألني فأحدثه ، فشكا قلة حفظه إلى رسول الله ﷺ . فقال له : « استعن عل حفظك بيمينك »(١) يعني : بكتابة مايريد حفظه .

وأورد البخاري في صحيحه« باب كتابة العلم » بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « مامن أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثاً مني ، إلا ماكان من عبدالله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب »(٢).

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : « قيدوا العلم بالكتابة » .

فالكتابة مما يعين على إحكام المحفوظ وإتقانه ، وذلك أن الإنسان يحفظ بنظره كما يحفظ بسمعه فإذا كتب مايريد حفظه ، فإنه يرى كل كلمة وكل حرف في أثناء كتابته ، ثم يعود إلى ماكتبه بنظره مراراً في أثناء تكراره لأجل الحفظ ، وبذلك يرسخ في ذهنه رسوخاً عجيباً .

ولازالت كتابة مايراد حفظه ؛ هي الطريقة المثلى للحفظ في بلادنا(٣) وكذلك في « الخلاوي » في السودان وغيرها من البلاد الإفريقية ، حيث يكتب الأطفال مايريدون حفظه من الآيات .

---

(١) ذكره في كتابه : « تقييد العلم » باب ماروى عن النبي ﷺ أنه أمر الذي شكا إليه سوء الحفظ أن يستعين بالخط . ص[٦٥] ط دار إحياء السنة النبوية .

(٢) رواه البخاري [١١٣] كتاب العلم . وانظر : تعليق ابن حجر عليه فإنه هام جدا ، خاصة والمشهور أن أكثر الصحابة حديثاً على الإطلاق هو أبو هريرة . انظر : « الفتح »[١ / ٢٥٠] ط الريان .

(٣) أعني : في قرى صعيد مصر حيث الكتاتيب التي فيها يحفظ الأطفال كلام الله عزوجل ، فيذهب كل منهم ومعه لوح خشبي يكتب عليه مايريد حفظه بالحبر الأسود أو الأزرق وفي =

وأمر الكتابة أمر نسبي يختلف من شخص لآخر فمن علم من نفسه قوة الحفظ وثباته من غير كتابة فإن ترك الكتابة في حقه أولى لأن الكتابة تضيع الكثير من الوقت وقد كان البخاري رحمه الله وهو حافظ الدنيا لايكتب وإنما يحفظ مباشرة - وكذا كان غيره من علماء السلف رحمهم الله تعالى - ،ومن علم من نفسه ضعف الحفظ وشرود الذهن وقلة الضبط للمحفوظ ووجد أن الكتابة معينة له على الحفظ والإتقان فعليه بها. والله الموفق .

= اليوم التالي مباشرة يكون قد حفظه فيمسحه بالماء ثم يكتب آيات جديدة وهكذا . وأعلم شاباً يدرس بالجامعة المصرية حفظ القرآن كله بهذه الطريقة في سن متأخرة ، لكنه استعمل بدلاً من الألواح ، عدداً من الدفاتر أو الكراسات وكان يكتب عليها ويحتفظ بها حتى أنهى حفظه للقرآن .

القاعدة السابعة عشر : تعليم الناس المحفوظ ونشره بينهم

ومن أسباب تثبيت الحفظ ووسائل إتقانه وإحكامه ؛ نشره بين الناس ، وتعليمه لهم ، مع مافي هذا العمل [أعني : الدعوة والتعليم] من امتثال أمر الله تعالى ومن عظيم الأجر والثواب .

قال تعالى : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** ﴾

[النحل : ١٢٥] وقال سبحانه : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه مرفوعاً : « من دل على خير فله مثل أجر فاعله » (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لاينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم ، مثل آثام من تبعه لاينقص ذلك من آثامهم شيئاً » (٢) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن الدال على الخير كفاعله » (٣).

وتعليم الناس المحفوظ ونشره بينهم ، يكون في القرآن وفي الحديث

---

(١) رواه مسلم [١٨٩٣] .
(٢) رواه مسلم [٢٦٧٤] .
(٣) رواه الترمذي وهو صحيح . وانظر « صحيح الترغيب » [١١٢] ، و « وصحيح الجامع » [١٦٠٥] .

وفي غيرهما من العلوم الشرعية والمتفرعة عنهما .

وتكرار المحفوظ على مسامع الناس وتعليمهم إياه من أعظم مايثبت الحفظ ، ولهذا تجد العلماء الذين يتصدرون للفتيا وتعليم الناس ؛ هم أحفظ الناس للأدلة الشرعية وذلك لكثرة تكرارهم لها على مسامع الناس، وتجد القراء الذي يقيمون حلقات التلاوة والتسميع - وكذا أئمة المساجد - ، هم أحفظ الناس للقرآن ، لكثرة تكرارهم له وكثرة سماعهم إياه من غيرهم عن طريق التسميع لهم .

وقد كان كثير من السلف الصالح - رحمهم الله تعالى - يشتغلون بتعليم الناس القرآن ، ومن هؤلاء :

(١) أبو موسى الأشعري عبدالله بن قيس بن سليم ، صاحب النبي ﷺ وهو من قراء الصحابة ، وكان رضي الله عنه أقرأ أهل البصرة وأفقههم في الدين .

قال أنس رضي الله عنه : بعثني أبو موسى الأشعري إلى عمر ، فقال لي : كيف تركت الأشعري ؟ قلت : تركته يعلم الناس القرآن . فقال : أما أنه كيس ! ولاتسمعها إياه . (١)

(٢) أبو الدرداء عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي حكيم هذه الأمة وسيد قراء دمشق وهو صاحب النبي ﷺ.

عن يزيد بن أبي مالك عن أبيه قال : « كان أبو الدرداء يصلي ثم يجلس يقرئ ويقرأ . . . وهو الذي سن هذه الحلق للقراءة » . أي :

---

(١) « نزهة الفضلاء » [١/ ١٦٨] .

قراءة القرآن . (١)

(٣) أبو عبدالرحمن السلمي :

فقد كان أبو عبدالرحمن السلمي يقرئ الناس في المسجد الأعظم [الكبير] أربعين سنة .

(٤) ابن الأخرم - محمد بن النضر بن مر الربعي - مقرئ دمشق [ت ٤٣١هـ] كانت له حلقة عظيمة بجامع دمشق يقرؤون عليه من بعد الفجر إلى الظهر . (٢)

(٥) الإمام المقرئ شيخ الإسلام أبو منصور محمد بن أحمد بن علي البغدادي الخياط الزاهد . جلس لتعليم كتاب الله دهراً وتلا عليه أمم ، وكان له ورد بين العشائين بسبع ، وبلغ عدد من أقرأهم القرآن من العميان سبعين نفساً . (٣)

وياله من صبر عجيب ، وعزيمة جبارة ، أن يعلم سبعين رجلاً كتاب الله عزوجل ، وهم من العميان فلايستطيعون القراءة ويعتمدون اعتماداً كلياً على السماع والتلقين ، فما أعظم أجره وما أكثر ثوابه . . .

وهكذا كان هدى السلف في غير القرآن من علوم الشرع ، كالحديث والفقه والتفسير وغير ذلك من العلوم .

قال سفيان الثوري - رحمه الله - : « تعلموا هذا العلم فإذا علمتموه فتحفظوه ، فإذا حفظتموه فاعملوا به ، فإذا عملتم به فانشروه » .

---

(١) « نفسه » [١٥٩/١] .

(٢) « نفسه » [١١٤٥/٢] .

(٣) « نفسه » [١٣٤٧/٣] .

وقيل شعراً :

ياطالباً للعـــلم كي تحظى به ديناً ودنيا حظوة تعليه
اسمعه ثم احفظه ثم اعمل به لله ثم انشره في أهليه

وقال إبراهيم النخعي رحمه الله : « من سره أن يحفظ الحديث فليحدث به ولو أن يحدث به من لايشتهيه ، فإنه إن فعل ذلك كان كالكتاب في صدره » .

وكان ابن شهاب الزهري - رحمه الله - يجمع الأعاريب فيحدثهم ويعلمهم [يريد بذلك الحفظ] ، وكان يسمع الحديث من عروة وغيره فيأتي إلى جارية له وهي نائمة فيوقظها ، فيقول : اسمعي : حدثني فلان كذا وفلان كذا فتقول : مالي ولهذا الحديث . فيقول : قد علمت أنك لاتنتفعين به ، ولكن سمعته الآن فأردت أن أستذكره (١).

وعن عبدالله بن المبارك قال : « من بخل بالعلم ابتلي بإحدى ثلاث : إما أن يموت فيذهب علمه ، أو ينسى ، أو يتبع السلطان » (٢).

فعلى من أراد تثبيت حفظه سواء كان قرآناً أو حديثاً أو مسائل في الفقه أو غير ذلك من العلم الشرعي المحمود أن يعلمه غيره من الناس وأن ينشره بينهم وأن يراجعه معهم ولو أن يعلم أطفال المسلمين ما حفظه من القرآن والحديث وفي هذا تثبيت لحفظه مع مايناله من عظيم الأجر والثواب عند الله تبارك وتعالى وقد تقدم الحديث « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » .

---

(١) وانظر : « الجامع في الحث على حفظ العلم » ص [١٩٨] .
(٢) رواه أبو نعيم [٨/ ١٦٥] .

القاعدة الثامنة عشر : التقلل من الدنيا (١)

وذلك أن التعلق بالدنيا وشهواتها وملذاتها ، يضيع على الإنسان جل وقته ، ويجعله دائم الفكر فيها ، مستغرق الهم في تحصيلها ، منشغلاً بالإكثار منها ، ومن هذه حاله قل أن يحفظ سورة من كتاب الله عزوجل أو حديثاً من أحاديث النبي ﷺ فضلاً عن أن يتطلع إلى أكثر من ذلك .

وقد ذم الله عزوجل من اتبعوا شهواتهم ، وساروا خلفها حتى شغلتهم عما خلقوا له من طاعة الله وعبادته وتوعدهم بالغي ، فقال سبحانه ﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً . . .** ﴾ [مريم : ٥٩] .

وبين سبحانه أن من أراد الدنيا وكانت هي همه وسعى إليها وانشغل بها أنه قد ينالها ولكن مصيره في الآخرة النار وبئس القرار .

قال سبحانه : ﴿ **من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً** ﴾ [الإسراء ١٨] .

وأخبر سبحانه أن نعيم الدنيا سيعقبه السؤال والحساب فقال سبحانه ﴿ **ثم لتسألن يومئذ عن النعيم** ﴾ [التكاثر : ٨] .

وليت شعري ، أي قيمة لنعيم يفنى وينتهي وتبقى تبعاته ؟! شدة في

---

(١) انظر في هذه القاعدة :

١ - « فتح الباري » [١١ / ٢٨٦] باب : كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا .

٢ - « رياض الصالحين » باب : فضل الجوع وخشونة العيش .

السؤال والمحاسبة ! من أين اكتسب وفيم أنفق ؟ ومن يدري؟ ! فقد يكون نعيم الدنيا سبباً في شقاء الآخرة ! والله المستعان .

ولذات الدنيا ممزوجة بالآفات ، محفوفة بالمخاوف والمخاطر يعكر صفوها كثير من الهموم والغموم . . فهل يهنأ بهذه عاقل :

قايستُ بين جَمالها وفِعالها ... فإذا الملاحةُ بالقباحةِ لاتفي

ولذات الدنيا يسعى خلفها كلُّ أحد ، ويركضُ وراءها كل فاسق وساقط ، وينافس فيها كل مُلحدٍ وفَاجر ، وهذا من أعظم ما يُزَهّدُ فيها :

سأتركُ حبّها مِنْ غيرِ بغضٍ ... ولكنْ لكثرةِ الشركاءِ فيه

إذا وقعَ الذُّبابُ على طعامٍ ... رفعتُ يدي ونفسِي تشتهيه

وتجتنبُ الأُسودُ وُرُودَ ماءٍ ... إذا كانَ الكلابُ يلغْنَ فيه

وقيل لأحد الزهادّ : ما الذي زهدكّ في الدنيا ؟ فقال : خسّة شركائها وقلّة وفائها ، وكثرة جفائها .

وقيل لآخر - في ذلك - فقال : ما مددت يدي إلى شيء منها إلا وجدت غيري قد سبقني إليه ، فأتركه له .

والدنيا دار ممر لادار مقر ، ومنزل عبور لا مقعد حبور ، وهي خيال طيف أو سحابة صيف ، ومن فيها - من أهلها - كراكبٍ قالَ تحت ظلّ شجرة ثم راح عنها وتركها :

أري أشقياءَ الناس لا يسأمُونَها ... على أنهم فيها عُراة وجوع

أراها وإن كانت تُحبُ فإنها ... سُحابة صيف عنْ قليل تقشع

وقد كانت عيشة النبي ﷺ وأصحابه - وهم أفضل الناس بعض الأنبياء - عيشة الفقراء ، فلم يكونوا ينعمون بهذه الدنيا ولا يهلكون أوقاتهم وأعمارهم في تحصيلها بل يرضون منها بأقل القليل .

١ - تقول عائشة رضي الله عنها « ماشبع آل محمد من خبز شعير يومين متتالين حتى قبض » . وفي رواية : « ماشبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعاً حتى قبض » (١) .

٢ - وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت له : « ابن أخي ، إن كنا لننظر الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار . فقلت : ماكان طعامكم ؟ قالت : الأسودان التمر والماء ، إلا أنه كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار كان لهم منائح وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ فيسقينا » (٢).

٣ - وعنها رضي الله عنها قالت : « كان فراش رسول الله ﷺ من أدم وحشوه ليف » (٣) .

وكان يرغب أصحابه في الزهد في الدنيا والقناعة باليسير منها . .

٤ - فعن عبيد الله بن محصن الأنصاري الخطمي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده ، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » (٤).

---

(١) رواه البخاري [٦٤٥٤] ومسلم [٢٩٧٠] .
(٢) رواه البخاري [٦٤٥٩] ومسلم [٢٩٧٢] .
(٣) رواه البخاري [٦٤٥٦] .
(٤) رواه الترمذي [٢٣٤٧] وقال : حديث حسن والبخاري في « الأدب المفرد » [٣٠٠] وابن ماجه [٣٣٤٩] والحميدي [٤٣٩] .

٥ – وكان يقول ﷺ : « قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافاً ، وقنعه الله بما آتاه » (١).

٦ – بل كان ﷺ يدعو ويقول : « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً » (٢).

٧ – وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : « لقد رأيت نبيكم ﷺ مايجد من الدقل مايملأ به بطنه » (٣). وأورد البخاري في صحيحه باب «حفظ العلم » ثم ساق بسنده :

٨ – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « إن الناس يقولون : أكثر أبو هريرة ، ولولا آيتان من كتاب الله ماحدثت حديثاً ، ثم تلا **﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، إلا الذين تابوا وأصلحوا ، وبينوا فأولئك أتوب عليهم ، وأنا التواب الرحيم ﴾** [البقرة : ١٥٩ ، ١٦٠].

ثم قال : « إن إخواننا المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ، وإن إخواننا الأنصار ، كان يشغلهم العمل في أموالهم ، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه ، ويحضر مالا يحضرون ، ويحفظ مالايحفظون » (٤).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : « وفيه الحث على حفظ العلم ، وفيه أن التقلل من الدنيا أمكن من حفظه ، وفيه فضيلة التكسب لمن له عيال ،

---

(١) رواه مسلم [١٠٥٤] عن عبدالله بن عمرو مرفوعاً .

(٢) رواه البخاري [٦٤٦٠] من حديث أبي هريرة مرفوعاً .

(٣) رواه مسلم [٢٩٧٨] والترمذي [٢٣٧٣] والدقل : ردئ التمر .

(٤) رواه البخاري [١١٨] وانظر الفتح [١ / ٢٥٩ـ٢٦٠] .

وفيه جواز إخبار المرء بما فيه من فضيلة إذا اضطر إلى ذلك وأمن من الإعجاب » أ.هـ .

فانظر رحمك الله إلى فقه أبي هريرة رضي الله عنه ، فقد رضي بالفقر مع ملازمته للنبي ﷺ على شبع بطنه فقط ليحفظ الحديث ، عن أن يشتغل بالدنيا كما فعل غيره من الصحابة فماذا كانت النتيجة ؟! صار أبو هريرة أحفظ الصحابة على الإطلاق بل هو حافظ هذه الأمة - رضي الله عنه - وذلك لأنه لم ينشغل بالدنيا ولا شهواتها ، ولم يكن من المترفين فيها أو المتنعمين بها ، بل كان همه الأكبر هو العلم والحفظ .

ويدل على ذلك مارواه الحاكم في المستدرك من حديث زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال : « كنت أنا وأبو هريرة وآخر عند النبي ﷺ فقال : ادعوا . فدعوت أنا وصاحبي وأمّنَ النبي ﷺ . ثم دعا أبو هريرة فقال : « اللهم إني أسألك مثل ماسألك صاحباي ، وأسألك علما لاينسى » فأمّنَ النبيُّ ﷺ ، فقلنا : ونحن كذلك يارسول الله ، فقال : سبقكما الغلام الدوسي » .

وليس معنى ذلك أن يعتزل طالب العلم والحفظ الدنيا ، ويترك العمل ويعيش عالة على غيره . . لا وألف لا . . وقد ثبت عن ابن المبارك -رحمه الله - أنه قال : « لايطلب العلم إلا بالفراغ والمال والحفظ والورع »[1] وورد مثله عن غيره من السلف ، ومن أين يأتي المال إن لم يكن له عمل يرتزق منه ؟! وقد كان كثير من علماء السلف - إن لم يكن جميعهم - لهم أعمال يكتسبون منها أرزاقهم وماكانوا في يوم من الأيام عالة على غيرهم .

---

(١) رواه البيهقي في الشعب [٤/ ٣٥٩ - ٣٦٠] .

والغرض من إيراد ماتقدم : أن يتطلع طالب العلم إلى معالي الأمور فيكون كما قيل « قدماه في الثرَى وهامةُ هِمّته في الثُريّا »[١] فيعمل عملاً يسيراً يتحصل منه على قوته وقوت عياله ثم يفرغ بقية أوقاته للعلم والحفظ والدراسة والتحصيل فلا تشغله الدنيا وملذاتها وشهواتها ومغرياتها عن مقصوده الأسمى وهوحفظ كلام الله عزوجل ودراسة العلوم الشرعية والتفقه في الدين وتعليم غيره من المسلمين . وأن يصبر على خشونة العيش وقلة المال والمتاع ، وأن لايتطلع إلى ما لغيره من مال أو متاع .

وقد أورد الإمام مسلم في صحيحه عن يحيى بن أبي كثير أنه قال : «لاينال العلم براحة الجسم » . أ. هـ .[٢] .

وقال إبراهيم الحربي رحمه الله : « أجمع عقلاء كل أمة : أن النعيم لايدرك بالنِّعَم ، وأن من آثر الراحةَ فاتته الراحةُ ، فما لصاحب اللذات ومالدرجة وراثة الأنبياء » أ. هـ .

---

(١) وقيل : فكن رجلا هامته في الثرى وهامة همته في الثريا .
(٢) رواه مسلم [٤٢٨] .

القاعدة التاسعة عشر : مراجعة سير القوم (١)

وعلى من أراد العلم والحفظ ، وطلب الفهم والاستيعاب ؛ أن يطالع أحوال السلف الصالح رحمهم الله ، وأن ينظر في هممهم العالية في دراستهم وتحصيلهم ، وحفظهم واستيعابهم ، وطلبهم للعلم وعملهم به ، وطاعتهم لله عزوجل ، فإن ذلك من أعظم مايزيد في الهمة ويحرض على الحفظ والطلب ويدعوا للاستقامة والثبات على الحق ، مع الإخلاص لله والمراقبة له في ذلك كله .

« وها أنا » أستعرض بعض النماذج لبعض حفاظ هذه الأمة في قوة حفظهم وسرعة فهمهم واستيعابهم ، ليس في القرآن وحده [فإن حفظهم للقرآن في صغرهم أمر مسلم به وقد سبقت الإشارة إلى ذلك] وإنما في حفظهم لحديث النبي ﷺ وغيره من العلوم والفنون .

(١) فهذا أبو الضحاك : زيد بن ثابت - رضي الله عنه - كاتب الوحي للنبي ﷺ أسلم وهو ابن إحدى عشرة سنة بعد هجرة النبي ﷺ .

روى خارجة عن أبيه قال : أتي بي النبي ﷺ مقدمه المدينة فقالوا : يارسول الله ، هذا غلام من بني النجار ، وقد قرأ مما أنزل عليك سبع عشرة سورة . فقرأت على رسول الله ﷺ فأعجبه ذلك ، وقال : يازيد تعلم لي كتاب يهود فإني والله ما آمنهم على كتابي . قال : فتعلمته فما

---

(١) انظر في هذه القاعدة :

١ - « الحث على حفظ العلم » لابن الجوزي .

٢ - « سير أعلام النبلاء» ، للإمام الذهبي .

٣ - « نزهة الفضلاء » لمحمد بن عقيل بن موسى .

٤ - « الجامع في الحث على حفظ العلم » .

مضى لي نصف شهر حتى حذقته ؛ وكنت أكتب لرسول الله ﷺ إذا كتب إليهم ! .

وعن ثابت بن عبيد قال : قال زيد : قال لي رسول الله ﷺ : «أتحسن السريانية ؟ قلت : لا . قال : فتعلمها . فتعلمتها في سبعة عشر يوماً » !! .

فانظر إلى هذه الهمة العالية ، وانظر إلى تلك التربية النبوية الفاضلة ، فبعد مارآه النبي ﷺ حريصاً على حفظ القرآن ، واطمئن عليه في ذلك ؛ أمره أن يتعلم لغة العجم ، لا ليفتخر بها أويتعالى على غيره من خلال تشدقه بكلماتها ؛ ولكن ليأمن المسلمون كيدهم ويجتنبوا مكرهم ، فإنه [من عرف لغة قوم أمن مكرهم] - فتعلمها في نصف شهر - فرضى الله عنه وعن أصحاب النبي ﷺ أجمعين .

ومن الذي يستطيع ذلك الآن ؟! وقد أتيحت لنا من وسائل العلم والمعرفة والدراسة والتحصيل مالم يتوفر عشر معشاره لذلك الجيل . . فالله المستعان .

(٢) وهذا الإمام الجليل ، شيخ العربية وشيخ القراءات ، ومسند الشام تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندي البغدادي ولد سنة ٢٥٠ هـ وتوفى سنة ٦١٣ هـ . أي أنه عاش فترة كانت ظروف المسلمين فيها سيئة للغاية ، وأوضاعهم الاجتماعية والسياسية غير مستقرة ، والفتن والحروب والإنهزامية تحيط بهم من كل جانب -كما هو حالنا هذه الأيام - وبالرغم من ذلك كله : حفظ القرآن كله وهو في سن التمييز وقرأه بالقراءات العشر وله عشرة أعوام . (١)

(٣) وهذا الإمام الكبير أبو وائل الأسدي شقيق بن سلمة شيخ

---

(١) « نزهة الفضلاء » [٣/ ١٥٣١] .

مكتبة المحتسب الأثرية المدينة المنورة ١٤٣٠هـ

الكوفة، وهو تابعي مخضرم [ت ٨٢هـ] قال فيه الإمام الذهبي : كان رأساً في العلم والعمل . أ. هـ

ورد عنه رحمه الله أنه تعلم القرآن في شهرين فقط [١] .

وهذه همة عالية عجيبة ، قل وندر أن يوجد مثلها في هذا الزمان .

وأما حفظهم لغير القرآن فعجيب ، وهذه بعض نماذج من حفظهم ؛ لتدرك الفرق بيننا وبينهم ، وكيف وصلوا إلى ماوصلوا إليه ؟ وتخلفنا في ركب الكسالى والعاجزين !!

(٤) الإمام الشعبي [٢] . . [ت ١٠٤ هـ]

هو الإمام عامر بن شراحيل ، أبو عمر الهمداني ، علامة عصره .

قال فيه أبو عبدالله الحاكم - رحمه الله - : «كان حافظاً ولم يكتب شيئاً قط » .

وقال محكول - رحمه الله - : « ما رأيت أحداً أعلم من الشعبي » .

قال الشعبي - رحمه الله - : « ماكتبت سوداء في بيضاء قط ، وما سمعت حديثاً قط [من رجل] فأردت أن يعيده علي » .

أي : يحفظه بمجرد سماعه لأول مرة ولايحتاج لتكراره !!

وقال رحمه الله : « ماسمعت منذ عشرين سنة رجلاً يحدث بحديث إلا وأنا أعلم به منه ، ولقد نسيت من العلم مالو حفظه رجل لكان به عالماً» .

---

(١) « نزهة الفضلاء »[١/ ٣٥٧] .

(٢) « السير »[٤/ ٢٩٤] .

(٥) الإمام أحمد بن حنبل [م ١٦٤ ، ت ٢٤١ هـ][1] .

هو الإمام حقاً ، وشيخ الإسلام صدقاً ، أبو عبد الله أحمد بن حنبل ، إمام أهل السنة ، والصديق الثاني لهذه الأمة .

قال علي بن المديني - رحمه الله - : « أعز الله الدين بالصديق يوم الردة وبأحمد يوم المحنة » يعني : محنة خلق القرآن .

وقال إبراهيم الحربي : « رأيت أبا عبدالله كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين » .

وقال أبو زرعة : « كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث ، فقيل له : ومايدريك ؟ قال : ذاكرته وأخذت عليه الأبواب » .

وقيل لأبي مسهر الغساني : « تعرف من يحفظ على الأمة دينها ؟ فقال : شاب في ناحية المشرق » يعني : أحمد بن حنبل .

وقال الشافعي - رحمه الله - : « خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلاً أفضل ولاأعلم ولا أفقه ولا أتقى من أحمد بن حنبل » .

وقال علي بن المديني : « ليس في أصحابنا أحفظ من أبي عبدالله ، أحمد بن حنبل ؛ وبلغني أنه لايحدث إلا من كتاب ولنا فيه أسوة » .

وقال عبدالله بن الإمام أحمد - رحمهما الله - : قال لي أبي : خذ أي كتاب من كتب وكيع من المصنف ؛ فإن شئت تسألني عن الكلام حتى أخبرك بالإسناد ، وإن شئت الإسناد حتى أخبرك بالكلام !! .

---

(١) « السير » [١١ / ١٧٧] و « تاريخ بغداد » [٤ / ٤١٢] وانظر : « مناقب الإمام أحمد » لابن الجوزي . وإنني أنصح كل طالب علم أن يقرأ ترجمة هذا الإمام الجليل فإنه بحق ، إمام الدنيا .

(٦) إسحاق بن راهويه [م ١٦١ ، ت ٢٣٨هـ] (١).

هو أبو يعقوب إسحاق بن راهويه شيخ المشرق وسيد الحفاظ .

قال أبو عبدالله الحاكم رحمه الله : « إسحاق بن راهويه إمام عصره في الحفظ والفتوى » .

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة : سمعت بن خشرم يقول : « كان إسحاق بن راهويه يملي علي سبعين ألف حديث حفظاً ! » .

وكان إسحاق رحمه الله يقول : « أعرف مكان مائة ألف حديث كأني أنظر إليها ، وأحفظ منها سبعين ألف حديث عن ظهر قلبي صحيحة ، وأحفظ أربعة آلاف حديث مزورة ! فقيل : مامعنى المزورة ؟! . قال : إذا مر بي منها حديث في الأحاديث الصحيحة فليته منها فلياً » ! .

وكان يقول : « ماكتبت شيئاً إلا حفظته ، ولا حفظت شئياً قط فنسيته» .

ومن أعجب ماتسمع أنه رحمه الله صنف كتابه « التفسير » ، و«المسند» في رأسه لا في كتاب وكان يمليه هكذا من حفظه لايخل بترتيبه الذي رتبه عليه ! (٢) .

وقال أبو حاتم رحمه الله : والعجب من إتقانه وسلامته من الغلط مع مارزق من الحفظ . فقيل له : إنه أملى التفسير عن ظهر قلب ! . فقال : وهذا أعجب ؛ فإن ضبط الأحاديث المسندة أسهل وأهون من ضبط

---

(١) « السير » [١١/٣٥٨] ، وتاريخ بغداد [٦/ ٣٤٥] .

(٢) انظر : « الجامع في الحث علي حفظ العلم » ص [٢٧٠] . هامش . وانظر : « السير » [١١/ ٣٧٤] .

أسانيد التفسير وألفاظها . أ.هـ .

(٧) بكر بن محمد الحنفي [م ٤٢٧ ، ت ٥١٢هـ] . (١)

هو الإمام العلامة ، شيخ الحنفية ، ومفتى بخارى أبو الفضل بكر بن محمد بن علي بن الفضل .

كان يضرب به المثل في حفظ المذهب ، وقد تفرد وعلا سنده وعظم قدره ؛ حتى قيل له : أبو حنيفة الأصغر .

وكان إذا طلب المتفقه منه الدرس ؛ ألقي إليه من أي موضع شاء من غير مطالعة كتاب ، وسئل عن مسألة فقال : هذه المسألة أعدتها في برج من حصن بخارى أربعمائة مرة .

(٨) سليمان بن داود الطيالسي [ت ٢٠٤هـ] (٢) .

هو الإمام الحافظ الكبير ، صاحب المسند .

قال الفلاس وعلي بن المديني وغيرهما : مارأينا أحداً أحفظ من أبي داود .

وقال سليمان بن حرب : « كان شعبة يحدث فإذا قام قعد أبو داود الطيالسي وأملى من حفظه مامر في المجلس !! » .

وقال عبدالرحمن بن أبي حاتم : سمعت عمر بن شبة يقول : «كتبوا عن أبي داود أربعين ألف حديث وليس معه كتاب » .

أي : أملاها من الحفظ والذاكرة !! .

---

(١) « السير » [١٩/ ٤١٥] .

(٢) « السير » [٩/ ٣٧٨] و« تاريخ بغداد » [٩/ ٢٤] .

(٩) أبو زرعة الرازي . [ت ٢٦٤هـ] (١).

هو الإمام الكبير ، سيّد الحفاظ عُبيد الله بن عبدالكريم بن يزيد بن فرّوخ . قيل لأبي بكر بن أبي شيبة - رحمه الله - من أحفظ من رأيت ؟ فقال : مارأيت أحفظ من أبي زرعة الرازي .

وقال أبو زرعة الرازي : أحفظ مائتي ألف حديث كما يحفظ الإنسان : ﴿ **قل هو الله احد** ﴾ !! ، وفي المذاكرة ثلاثمائة ألف حديث !! أ.هـ.

وسئل أبو زرعة الرازي - رحمه الله - عن رجل حلف بطلاق زوجته أن أبا زرعة يحفظ مائة ألف حديث . فقال : ليمسك امرأته ، فإنها لم تطلق عليه .

(١٠) عبدالرحمن بن مهدي [م ١٣٥ ، ت ١٩٨هـ] . (٢)

هو ابن حسان بن عبدالرحمن أبو سعيد العنبري سيد الحفاظ الإمام الناقد المجود ، كان - رحمه الله - قدوة في العلم والعمل .

قال الشافعي رحمه الله : لا أعرف له نظيراً في هذا الشأن .

وقال علي بن المديني - رحمه الله - : لو أُخِذْتُ فحلفت بين الركن والمقام ، لحلفت أني لم أر قط أحداً أعلم بالحديث من عبدالرحمن بن مهدي .

وعن عبدالله بن عمر القواريري قال : أَملى عليَّ عبدالرحمن بن مهدي عشرين ألف حديث جفظاً !! .

---

(١) « السير » [١٣/ ٦٥].

(٢) « السير » [٩/ ١٩٢] .

(١١) الإمام الأصمعي .[م ١٢٢ ، ت ٢١٦][١].

هو الإمام اللغوي الأخباري ، الحافظ البصري عبدالملك بن قُريب أبو سعيد ، حجة الأدب ولسان العرب .

قال عمر بن شَبّة : سمعت الأصمعيّ يقول : أحفظ ستين ألف أرجوزة [٢].

(١٢) الإمام الدار قطني . [م٣٠٦ ، ت ٣٨٥هـ][٣].

هو الإمام المُجَوِّد ، شيخ الإسلام ، عَلَمُ الجهابذة ، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي . . . المُقرئ المحدّث ، كان من بحور العلم وأئمة الدنيا .

قال أبو عبدالله الحاكم رحمه الله : أبو الحسن صار واحد عصره في الحفظ والفهم والورع ، وإماماً في القُرّاء والنحويين . . . وكان أحد الحُفّاظ . أ.هـ .

وذكروا أن الدار قطني - رحمه الله- حضر في حداثته مجلس إسماعيل بن الصفار فجعل ينتسخ جزءاً كان معه ، وإسماعيل يملي ؟ فقال له بعض الحاضرين : لايصح سماعك وأنت تنسخ !

فقال الدارقطني : فهمي للإملاء غير فهمك ! ثم قال : تحفظ كم أملى الشيخ من حديث إلى الآن ؟ فقال : لا . فقال : أملى ثمانية عشر حديثاً ! ! فَعَدّتْ الأحاديث فكانت كما قال ! ثم قال : الحديث الأول عن

---

(١) « السير »[١٠/ ١٧٥] .

(٢) هكذا في « الجامع في الحث على حفظ العلم » ص[٢٨٦] ، وفي « السير »[١٠/ ١٧٧] قال: « احفظ ستة عشر ألف أرجوزة » .

(٣) « السير »[١٦/ ٤٤٩] .

فلان عن فلان ومتنه كذا والثاني عن فلان عن فلان ومتنه كذا ! فلم يزل يذكر أسانيد الأحاديث ومتونها على ترتيبها في الإملاء حتى أتى على آخرها . فتعجب الناس منه !! .

قلت : ويحق لمثل هذا أن يتعجب منه فرحمه الله وأكرم مثواه وجمعنا وإياه في دار كرامته ومستقر رحمته . آمين .

(١٣) أبو الطيب المتنبي [م ٣٠٣ ، ت ٣٥٤هـ][(١)].

وهو أحمد بن حسين بن حسن الجعفي الكوفي الأديب شاعر الزمان الشهير بالمتنبي .

بلغ الذروة في النظم ، وأربى على المتقدمين وسار ديوانه في الآفاق . وكان معجباً بنفسه كثير البأو والتيه ، فمقت لذلك .

قال وراق كان يجلس إليه المتنبي : مارأيت أحفظ من هذا الفتى . [يعني المتنبي] وكان اليوم عندي ، وقد أحضر رجل كتاباً من كتب الأصمعي نحو ثلاثين ورقة ليبيعه ؛ فأخذ المتنبي ينظر فيه طويلاً . فقال له الرجل : ياهذا أريد أبيعه وقد قطعتني عن ذلك ، فإن كنت تريد حفظه فهذا إن شاء الله يكون في شهر ! .

فقال له : فإن كنت حفظته في هذه المدة ، فمالي عليك ؟ ! قال : أهب لك الكتاب ! . قال : فأخذ الدفتر من يده ، فأقبل يتلوه إلى آخره ؛ ثم استلبه فجعله في كمه .

فقام صاحبه فعلق به ، وطالب بالثمن . فقال : ماإلى ذلك سبيل ، قد وهبته لي ! . فمنعناه ، وقلنا له : أنت اشترطت على نفسك هذا . فتركه عليه وانصرف .

(١٤) هشيم بن بشير الواسطي . [م ١٠٤ ، ت ١٨٣هـ] .

---

(١) « السير » [١٦/ ١٩٩] و« تاريخ بغداد » [٤/ ١٠٢] .

هو أبو معاوية السلمي ، مولاهم الواسطي ، شيخ الإسلام ، ومحدث بغداد وحافظها .

قال عبدالرحمن بن مهدي : كان هشيم أحفظ للحديث من سفيان الثوري .

وقال يعقوب الدورقي : كان عند هشيم عشرون ألف حديث [1].

وقال هشيم رحمه الله : « كنت أحفظ في المجلس الواحد مائة حديث ولو سئلت عنها لأجبت » .

(١٥) أبو عبدالله البخاري . [م ١٩٤ ، ت ٢٥٦ هـ] [2].

هو أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي مولاهم ، حافظ الدنيا .

قال أبوبكر محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله : « ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله ﷺ وأحفظ له من محمد بن إسماعيل » .

وقال محمد بن بشار - رحمه الله - : « حفاظ الدنيا أربعة : أبو زرعة بالري ، والدارمي بسمرقند ، ومحمد بن إسماعيل ببخارى ، ومسلم بنيسابور » .

وقال عمرو بن علي الفلاس رحمه الله : « حديث لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث » .

وقال أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري - رحمه الله - : «دخلت بلخ فسألني أصحاب الحديث أن أملي عليهم لكل من كتبت عنه حديثاً .

---

(١) قال الذهبي رحمه الله : كان رأساً في الحفظ إلا أنه صاحب تدليس كثير ، قد عرف بذلك .

(٢) « السير » [١٢/ ٣٩١] و « هدي الساري » [٥٠١-٥١٨] و « تاريخ بغداد » [٢/ ٤-٣٣] .

فأمليت ألف حديث لألف رجل ممن كتبت عنهم » .

وقال سليم بن مجاهد سمعت أبا الأزهر يقول : « كان بسمرقند أربعمائة ممن يطلبون الحديث فاجتمعوا سبعة أيام ، وأحبوا مغالطة محمد بن إسماعيل ، فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق ، وإسناد اليمن في إسناد الحرمين ، فما تعلقوا منه بسقطة لافي الإسناد ولافي المتن» .

وقال أبو أحمد عبدالله بن عدي الحافظ : سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمد بن إسماعيل قدم بغداد ، فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وأرادوا امتحان حفظه فعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها ، وجعلوا متن هذا لإسناد هذا وإسناد هذا لمتن هذا ، ودفعوها إلى عشرة أنفس لكل رجل عشرة أحاديث ، وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخاري ، وأخذوا عليه الموعد للمجلس فحضروا وحضر جماعة من الغرباء من أهل خراسان وغيرهم ، ومن البغداديين ، فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث فقال : لا أعرفه . فمازال يلقي عليه واحداً بعد واحد حتى فرغ والبخاري يقول : لا أعرفه . وكان العلماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون : فهم الرجل . ومن كان لم يدر القصة يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الحفظ . ثم انتدب رجل من العشرة أيضاً فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة فقال : لا أعرفه . فلم يزل يلقي عليه واحداً واحداً حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول : لا أعرفه . ثم جاء الثالث وإلى تمام العشرة وهو لايزيدهم على : لا أعرفه . فلما علم أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول فقال : أما حديثك

الأول فقلت كذا وصوابه كذا وحديثك الثاني كذاوصوابه كذا ، والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه ، وفعل بالآخرين مثل ذلك . فأقر له الناس بالحفظ . فكان ابن صاعد إذا ذكره يقول : الكبش النطاح . أ . هـ[1].

قال ابن حجر رحمه الله : هنا يخضع للبخاري فما العجب من رده الخطأ إلى الصواب فإنه كان حافظاً ، بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما ألقوه عليه من مرة واحدة !! وقد روينا عن أبي بكر الكلوذاني قال : مارأيت مثل محمد بن إسماعيل كان يأخذ الكتاب من العلم فيطلع عليه اطلاعة ، فيحفظ أطراف الأحاديث مرة واحدة . !! أ . هـ .

وقل محمد بن أبي حاتم الوراق رحمه الله : سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان : كان أبو عبدالله البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب ، حتى أتى على ذلك أيام ، فكنا نقول له : إنك تختلف معنا ولاتكتب ، فما تصنع ؟ فقال لنا يوماً – بعد ستة عشر يوماً – : إنكما قد أكثرتما علي وألححتما ، فاعرضا على ما كتبتما فأخرجنا إليه ماكان عندنا ، فزاد على خمسة عشر ألف حديث ، فقرأها كلها عن ظهر القلب ، حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه . ثم قال : أترون أني أختلف هدراً ، وأضيع أيامي ؟! فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد . أ . هـ .

وقال أبو عبدالله البخاري – رحمه الله – : « كتبت عن ألف شيخ وأكثر ، عن كل واحد منهم عشرة آلاف وأكثر ، ماعندي حديث إلا أذكر إسناده » .

---

(١) أي : لايثبت أمامه أحد لافي حفظ ولا مناظرة .

وقال رحمه الله : « ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب . فقيل له : كم كان سنك ؟ قال « عشر سنين » أو أقل . . . قال : فلما طعنت في ست عشرة سنة ، كنت قد حفظت كتب ابن المبارك ووكيع ، وعرفت كلام هؤلاء » أ. هـ.

وهذا الذي ذكرت لك إنما هو شيء يسير مما ورد في حفظه رحمه الله واقرأ ماكتبه أهل العلم عنه في حفظه وورعه وعبادته وشيوخه ، وسعة علمه وفقهه ، وقوة ذكائه ، وكرمه وسماحته ، وصبره على الأذى . . تجد شيئاً عجباً . فرحمه الله تعالى وجمعنا وإياه في جنان الخلد ، آمين .

ومما ينبغي التنبيه عليه أن الإمام البخاري - رحمه الله - وغيره من حفاظ هذه الأمة وفقهاءهم لم يصلوا إلى ماوصلوا إليه إلا بالصبر على الطلب والمداومة على الدراسة والتحصيل والانكباب على العلم وعدم الانشغال باللهو ومتاع الدنيا الزائل .

قال محمد بن أبي حاتم - رحمه الله - : سمعت هانئ بن النضر يقول : كنا عند محمد بن يوسف [يعني : الفريابي] بالشام ، وكنا نتنزه [فعل الشباب] في أكل الفرصاد (١) ونحوه ، وكان محمد بن إسماعيل معنا ، وكان لايزاحمنا في شيء مما نحن فيه ، ويكب على العلم .

ولما قيل للإمام الشعبي رحمه الله : من أين لك هذا العلم ؟

قال : « بنفي الإغتمام ، والسير في الليل ، وصبر كصبر الحمام ، ويكور كبكور الغراب » (٢).

---

(١) الفرصاد : التوت ، وقيل حمله وهو الأحمر منه [١٢/ ٤٠٥] هامش (٢) « السير » .

(٢) « السير » : [٤/ ٣٠٠] .

وقي لبعضهم : بماذا أدركت العلم ؟ قال : بالمصباح والجلوس إلى الصباح . وقال غيره : بالسهر والبكور في السحر (١).

وبعد : فما ذكرته لك من أخبار هؤلاء الحفاظ إنما هو مجرد مثال فقط وإلا فعندنا آلاف من النماذج التي تحتذى في الصبر على الطلب والتلقي، وقوة الحفظ وسرعة الفهم والاستيعاب .

وهذا وإن كان كثيراً فيما مضى من العصور ، وفي حياة السلف السابقين إلا أنه قليل نادر في عصورنا المتأخرة وخاصة في أيامنا هذه ، حيث انتشر الجهل وقل العلماء ، وماتت الهمم وأخلد الناس برهم وفاجرهم - إلا من رحم ربي - إلى الراحة والدعة واشتغلوا بسفاسف الأمور وتركوا عظائمها .

ولايعني هذا : انعدام أهل الحفظ والإتقان ، أو أهل الفهم والاستيعاب ، في زماننا بل هم ولله الحمد متوافرون لكنهم قلة !! ونسأل الله أن يكثرهم .

وإنني أعلم غلاماً في مدينة الرياض [هنا في بلاد الحرمين] حفظ القرآن كله وهو ابن تسع سنين وهو الآن ابن ثلاث عشرة سنة ويحفظ من أحاديث النبي ﷺ أكثر من عشرة آلاف حديث ولايزال مستمراً في الحفظ أسأل الله له الثبات على ذلك والإخلاص فيه والنفع به والفهم له والدعوة إليه وتعليم المسلمين إياه . اللهم آمين .

وأعرف شاباً في بلادنا كان جملة مايحفظه من كتاب الله عزوجل -وهو ابن ثمان عشرة سنة - لايزيد على ثمانية أجزاء ؛ وفي وقت من

---

(١) وانظر هنا قاعدة « وقت الحفظ ومكانه » .

الأوقات رأى من نفسه التقصير ، ووجد فيها من قوة الإرادة والعزيمة مادفعه إلى أن يتم حفظ القرآن فسافر إلى قرية من قرى الصعيد واعتزل الناس إلا فيما لابد منه من رد سلام أو محادثة أهل في وقت طعام أوشراب أو حضور صلاة جماعة أو شهود جنازة . . . ونحوذلك .

وأمابقية أوقاته فيدخل في غرفة في الدور العلوي - حيث لايشوش عليه أحد - ويغلق عليه بابها ويبدأ في الحفظ والمراجعة . . وما أن انتهى شهر واحد عليه إلا وأتم حفظ القرآن بكامله بل وحفظ معه بعض المتون في بعض العلوم الشرعية . . وصدق الله حيث قال : ﴿ **إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم** ﴾ . [الرعد : ١١] .

القاعدة العشرون : اغتنم سني الحفظ الذهبية

وفيها ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : سني الحفظ الذهبية

من المعلوم أن الحفظ في الصغر أقوى وأثبت بكثير جداً من الحفظ في الكبر وقد قال الحسن البصري وقتادة [رحمهما الله] وغيرهما : « العلم في الصغر كالنقش على الحجر » .

وكان الحسن بن علي - رحمه الله - يقول : « تعلموا العلم فإنكم إن تكونوا صغار قوم تكونوا كبارهم غداً ، فمن لم يحفظ فليكتب » .

ويروى عن لقمان الحكيم أنه قال : « يابني ابتغ العلم صغيراً ، فإن ابتغاء العلم يشق على الكبير » (١) .

وكان علقمة يقول : «ماحفظت وأنا شاب ، كأني أنظر إليه في قرطاس أو ورقة » .

وقال معمر : « جالست قتادة وأنا ابن أربع عشرة سنة فما سمعت منه شيئاً وأنا في ذلك السن إلا وكأنه مكتوب في صدري » .

[والحفظ له سنوات ذهبية والموفق من اغتنمها وهي من سن الخامسة إلى الثالثة والعشرين تقريباً . فالإنسان في هذه السن تكون حافظته جيدة جداً ، بل هي سنوات الحفظ الذهبية فدون الخامسة ، يكون الإنسان دون ذلك (٢) وبعد الثالثة والعشرين تقريباً ، يبدأ الخط البياني للحفظ في الهبوط ، ويبدأ الخط البياني للفهم والاستيعاب في الصعود .

وعلى الإنسان أن يستغل هذه السنوات الذهبية في حفظ كتاب الله

---

(١) وقد أحسن من قال : إذا المرء أعيته المروءة ناشئاً فمطلبها كهلاً عليه شديد .

(٢) هذا في الغالب وإلا فهناك أطفال في عهد السلف وفي أيامنا هذه يحفظون الشيء الكثير قبل الخامسة ودون سن التمييز وربما ختم بعضهم القرآن في هذه السن .

تعالى فالحفظ في هذه السن يكون سريعاً جداً والنسيان يكون بطيئاً جداً بعكس ماوراء ذلك حيث يحفظ الإنسان ببطء وصعوبة وينسى بسرعة كبيرة ولذلك قيل : « الحفظ في الصغر كالنقش على الحجر والحفظ في الكبر كالنقش على الماء » فعلينا أن نغتنم سنوات الحفظ الذهبية وإن لم يكن في أنفسنا ففي أبنائنا وبناتنا] أ. هـ .(١) .

وليس معنى ذلك أن الإنسان إذا كبرت سنه لايستطيع الحفظ والاستيعاب ؛ وإنما المراد من ذلك أن الحفظ في الصغر أقوى وأثبت .

وقد تعلم كثير من الصحابة - رضوان الله عليهم - العلم ونقلوه إلى من جاء بعدهم وهم في سن كبيرة ، وكذلك بعض أهل العلم طلبوه على كبر وبرعوا فيه وأصبحوا أئمة يشار إليهم بالبنان ، واقرأ ترجمة ابن حزم الظاهري فقد طلب العلم بعد العشرين من عمره (٢) وكان كثير من علماءالمالكية لايستطيعون مناظرته [لقوة حجته] وما وقف أمامه إلا أبو الوليد الباجي من كبارفقهاء المالكية . رحمهما الله تعالى .

واقرأ ترجمة القفال المروزي فقد طلب العلم بعد الثلاثين أو الأربعين حتى برع في مذهب الشافعية .

ولهذا قال البخاري في « صحيحه» عقب قول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - « تفقهوا قبل أن تُسَوَّدُوا » قال : « وبعد أن تَسْوَّدُوا ، وقد تعلم أصحاب رسول الله ﷺ في كِبَرِ سِنِّهم » . أ. هـ (٣) .

---

(١) بتصرف من : القواعد الذهبية لعبد الرحمن عبدالخالق .

(٢) ذكر الإمام الذهبي في « السير » أن ابن حزم - رحمه الله - بدأ طلب العلم وهو ابن ست وعشرين سنة ، فقرأ « الموطأ » للإمام مالك . وبدأ به ثم تتابعت قراءاته على بعض علماء عصره نحواً من ثلاثة أعوام . ثم بدأ يناظر الفقهاء بعد ذلك !! . وانظر : « نزهة الفضلاء » [٣/ ١٢٧٨ ، ١٢٧٩] . على أن لابن حزم هنات وسقطات . وهذا شأن البشر ، والكمال عزيز . والإنصاف لابد منه . ورحم الله القائل :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

(٣) انظر : « البخاري » مع الفتح [١/ ١٩٩- ٢٠١] باب الإغتباط في العلم والحكمة .

المبحث الثاني : مسئولية الشباب المسلم

لكن الأولى والأفضل ؛ اغتنام أوقات الصبا والشباب ، فالإنسان فيها أقوى وأفرغ ، وأسلم من العوائق والمُكَدّرات ، فإذا كبرت سنه زادت مسئولياته ، وضعفت طاقاته ، وضاقت أوقاته، مع ضعف جسمه وتدني نشاطه ، وكثرة شواغله . وقد صدق الجاحظ حيث قال :

أترجو أن تكون وأنتَ شيخٌ ... كما قد كنت أيامَ الشباب
لقد كذبتْكَ نفسُكَ ليس ثوبٌ ... دريس كالجديدِ من الثياب

وقد قال النبي ﷺ لرجل وهويعظه : « اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك» (١).

وقال محمود بن الحسن رحمه الله :

بادرْ شبابَك أن يَهْرما ... وصحةَ جسمك أن يسقما
وأيامَ عيشك قبلَ الممات ... فما دَهرُ من عاشَ أن يَسلما
ووقتَ فراغِك بادِر به ... لياليَ شغلك في بعض ما
وقدّم فكلُ امرئٍ قادمٌ ... على بعضِ ماكان قد قدّما

وكانت حفصة بنت سيرين تقول : « يامعشر الشباب : اعملوا فإنما العمل في الشباب » .

وقال الضحاك بن مزاحم - رحمه الله - : « اعمل قبل أن لاتستطيع

---

(١) رواه الحاكم عن ابن عباس مرفوعاً وصححه ووافقه الذهبي . وقال الألباني : وهو كما قالا . وانظر : « اقتضاء العلم العمل » بتحقيق الألباني حديث رقم [١٧٠] .

أن تعمل فأنا أبغي أن أعمل اليوم فلا أستطيع »(١).

وقال ابن الجوزي -رحمه الله - : « ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه ، وقدر وقته ، فلايضيع منه لحظة من غير قربة . ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل ، ولتكن نيته في الخير قائمة ، من غير فتور بما يعجز عنه البدن من العمل »(٢). فالزمن لايقف محايداً ، فهو إما صديق ودود أو عدو لدود . فاحرص على اغتنامه في طاعة الله عزوجل والتقرب إليه .

وعلى طالب العلم المبتدئ أن يستغل وقت شبابه وفراغه ونشاطه فيقبل على الحفظ والدراسة والتحصيل بجدٍ ونَهَم وأن لايغتر بما قد يحصل له من الحفظ لبعض النصوص والمسائل فيتعجل الرياسة والتصدر للفتيا والتدريس ، أو الكتابة والتصنيف ، فإن في ذلك مفاسد عظيمة جداً .

ومن هذه المفاسد : تأخره عن أقرانه في الطلب ، فيتعلمون مالايتعلمه، ويحفظون مالايحفظه ؛ وذلك لتفرغهم وانشغاله .

قال سفيان رحمه الله : « من ترأَّس سريعاً أضرَّ بكثيرٍ من العلم ومن لم يترأس طلب وطلب حتى بلغ » .

وقال الشافعي رحمه الله : « إذا تصدَّرَ الحدَثُ حُرِمَ علماً كثيراً » .

وتقدّم قولُ عمر رضي الله عنه : « تفقهوا قبل أن تَسوّدُوا » .

المبحث الثالث : مسئولية الآباء وأولياء الأمور

ويجب على من رزق ولداً أن يجتهد معه فيعوّده النظافة والطهارة منذ

---

(١) وانظر : « اقتضاء العلم العمل » للخطيب ص [١٠٠ - ١١٤] .

(٢) « صيد الخاطر » لابن الجوزي ص [٢٠] ط بيروت .

الصغر ، ويثقفه بالآداب والأخلاق الفاضلة ؛ فاذا بلغ خمس سنين أخذه بحفظ العلم الشرعي ، وليبدأ معه بالقران فإنه كلام الرحمن ، وأولى ماصرف في حفظه الزمان ، ومع الحفظ يعلمه مهمات دينه التي لايسعه جهلها ، من أمور التوحيد والصلاة ونحو ذلك ، ثم يرتقي معه في سلم التعلم حتى يبلغ به الغاية (١) .

قال الحسن البصري رحمه الله : « قدّموا إلينا أحداثكم ، فإنهم أفرغ قلوباً وأحفظ لما سمعوا ، فمن أراد الله أن يتمه له أتمه » .

وقال أبو حامد الغزالي : « والصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة خالية من كل نقش ، ومائل إلى كل مايمال إليه ، فإن عُوّد الخير وعُلّمه ، نشأ عليه في الدنيا والآخرة ، وشاركه في ثوابه أبواه ، وكلُ معلّم أو مؤدب له ، وإن عُوّدَ الشر وأُهْمِلَ ، شقي وهلك ومهما أهمل في ابتداء نشوئه ؛ خرج في الأغلب ردئ الأخلاق ، كذاباً سروقاً ، نماماً ذا فضول وضحك ومجانة ، وإنما يحفظ من جميع ذلك بحسن التأديب » (٢).

---

(١) وانظر هنا : الفصل الثاني مبحث « ما يبدأ به في الحفظ » .

(٢) « إحياء علوم الدين » [٨/ ١٣٠-١٣١] .

القاعدة الحادية والعشرون :
إحكام الحفظ القديم قبل الإنتقال لحفظ جديد

ولابد على من أراد الحفظ أن يتقن ماحفظه أولاً ، ثم ينتقل إلى ورد جديد يحفظه ، فإن ذلك أثبت لحفظه ، وقد قيل : [كثرة السماع مضلة في الفهم] و [الاحتفاظ بما في صدرك أولى من درس ما في كتابك] .

وعلى مريد الحفظ أن لا يتجاوز السورة إلى غيرها حتى يربط أولها بآخرها ، وحتى يتقن حفظها تماماً ، فيجري لسانه بها بسهولة ، دون مشقة ولاعناء ، ودون إعنات فكر ، وكد في تذكر الآيات ، بل يقرؤها كما يقرأ سورة من قصار المفصل أو كما يقرأ الفاتحة .

ومما يعين على إحكام حفظه وإتقانه أن يكثر من إعادة ماحفظه من السور وتكراره طيلة ساعات ليله ونهاره، فيقرأه في الصلوات السرية ، وفي الجهرية إن كان إماماً ، وفي النوافل ، وفي أوقات انتظاره للصلوات وبعدها وفي قيام الليل ، وبهذه الطريقة يثبت حفظه ويسهل عليه جداً .

ويستطيع كل إنسان بهذه الطريقة أن يحفظ القرآن ولو كان مشغولاً بأشغال كثيرة ، لأنه لايجلس وقتاً مخصوصاً للحفظ ، وإنما يكفي فقط أن يصحح القدر الذي يريد حفظه من الآيات علي قارئ متقن ، ثم يبدأ في الحفظ في أوقات انتظاره للصلوات وفي النوافل والفرائض . . وبذلك لايأتي عليه الليل إلا وتكون الآيات التي أراد حفظها قد ثبتت تماماً في ذهنه (١).

---

(١) « القواعد الذهبية » لعبدالرحمن عبدالخالق ، بتصرف .

القاعدة الثانية والعشرون :
مراعاة وقت الحفظ ومكانه

وفيها مبحثان :

المبحث الأول : الوقت المناسب للحفظ

أما عن الوقت المناسب للحفظ فهو الوقت الذي يصفو فيه ذهن الإنسان عن الشواغل والمكدرات ، ولهذا فضل كثير من السلف حفظ الليل على حفظ النهار لأن الذهن فيه أصفى ، وأقدر على الحفظ والإستيعاب [بخلاف النهار حيث كثرة الشواغل ومخالطة الناس وضياع الأوقات] . وقد قال الله تعالى : ﴿ . . . **قم الليل إلا قليلاً ، نصفه أو انقص منه قليلاً** . . . ﴾ إلى أن قال : ﴿ **إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلا** ﴾ [المزمل : ٦] .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله : « إن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان ، وأجمع على التلاوة ، وأجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار » . أ . هـ (١) .

وقال الإمام النووي - رحمه الله - : [. . وإنما رجحت صلاة الليل وقراءته لكونها أجمع للقلب ، وأبعد عن الشاغلات والملهيات والتصرف في الحاجات ، وأصون من الرياء وغيره من المحبطات ، مع ماجاء الشرع به من إيجاد الخيرات في الليل . فإن الإسراء برسول الله ﷺ كان ليلاً ، وحديث « ينزل ربكم كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يمضي

---

(١) « تفسير ابن كثير » [٤/ ٤٣٥] .

شطر الليل ، فيقول : هل من داع فأستجيب له . . . الحديث» (١) .

وفي « الصحيح » أن رسول الله ﷺ قال : « في الليل ساعة يستجيب الله فيها الدعاء وذلك كل ليلة » (٢)] أ . هـ .

وقال أحد علماء السلف : « أجود الأوقات للحفظ الأسحار ، وللبحث الأبكار ، وللكتابة وسط النهار ، و للمطالعة والمذاكرة الليل » (٣) .

وقال الخطيب البغدادي رحمه الله : « إعلم أن للحفظ ساعات ينبغي لمن أراد التحفظ أن يراعيها ، وللحفظ أماكن ينبغي للمتحفظ أن يلزمها ، فأجود الأوقات الأسحار ، ثم بعدها وقت انتصاف النهار ، وبعدها الغدوات دون العشيات ، وحفظ الليل أصلح من حفظ النهار (٤) .

قيل لبعضهم : بم أدركت العلم؟ قال : بالمصباح والجلوس إلى الصباح .

وقيل لآخر ، فقال : بالسفر والسهر والبكور في السحر » (٥) . أ . هـ

وكان الشافعي - رحمه الله - يقول : « الظلمة أضوء للقلب » أي :

---

(١) رواه البخاري [١١٤٥] ، ومسلم [٧٥٨] وأبو داود [١٣١٥] ، والترمذي [٤٤٦] ، وابن ماجه [١٣٦٦] وأحمد في المسند ، [٢/ ٢٥٨] والدارمي [١٤٨٦] . من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه مسلم [٧٥٧] وأحمد في المسند [٣/ ٣١٣ ، ٣٣١ ، ٣٤٨] من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما . وانظر : « التبيان للنووي » ص [٦٣ ، ٦٤] .

(٣) « تذكرة السامع والمتكلم » للكناني ص [٧٢] .

(٤) انتصاف النهار : أي وقت الظهيرة . والغدوات : أول النهار .

والعشيات : آخره . وقد ورد في الحديث : « اللهم بارك لأمتي في بكورها » .

(٥) الفقيه والمتفقه [١٠٣] .

ظلمة الليل . وقال أحد علماء السلف لولده - ينصحه - : « أحب لك النظر في الأدب بالليل فإن القلب بالنهار طائر وبالليل ساكن ، فكلما أودعت فيه شيئاً عقله » .

وقال أحمد بن الفرات : « ليس شئ أبلغ في الحفظ من كثرة النظر ، وحفظ الليل غالب على حفظ النهار » .

وقال إسماعيل بن أبي أويس : « إذا هممت أن تحفظ شيئاً فنم ، وقم عند السحر فأسرج وانظر فيه ، فإنك لا تنساه بعد إن شاء الله » .

فينبغي على من أراد الحفظ أن يتشاغل به في وقت جمع الهم ومتى رأي نفسه مشغول القلب ترك الحفظ ، وليحفظ قدراستطاعته ولايزد ؛ فإن القليل يثبت ، والكثير لايحصل .

المبحث الثاني : المكان المناسب للحفظ

وأما مكان الحفظ : فينبغي أن يختار الحافظ مكاناً بعيداً عن الملهيات فلا يحفظ في الحدائق العامة ولا في المنتزهات ، ولابحضرة نبات ولاخضرة ، ولاعلى شواطيء الأنهار ، ولاعلى قوارع الطرق ، فإن هذه الأماكن ينشغل فيها الذهن بما يراه أو يسمعه عن الذي يريد أن يحفظه .

والنبي ﷺ لما صلى في خميصة لها أعلام نزعها ، وقال : « إنها ألهتني آنفاً عن صلاتي » (١).

وينبغي أن يختار المكان الذي يخلو فيه بنفسه فلا تشغله زوجة ولا

---

(١) رواه البخاري [١/ ٤٠٦] ومسلم [٥٥٦] ومالك [١/ ٩٧] وأبو داود [٤٠٥٢] والنسائي [٢/ ٧٢] من حديث عائشة رضي الله عنها .

أولاد في أثناء حفظه ومدارسته ، ولما قيل ليحيى بن معين - رحمه الله - ماتشتهي ؟ قال : « بيت خال ، وإسناد عال » .

وقال أحد علماء السلف : « وأجود أماكن الحفظ الغرف ، وكل موضع بعيد عن الملهيات ، وليس بمحمود الحفظ بحضرة النبات والخضرة والأنهار وقوارع الطرق وضجيج الأصوات لأنها تمنع من خلو القلب غالباً » (١) . أ . هـ .

---

(١) « تذكرة السامع والمتكلم » للكناني ص [٧٢] الطبعة الثانية .

القاعدة الثالثة والعشرون: الطعام والحفظ

وفيها مبحثان :

المبحث الأول : الورع وقلة الطعام مما يعين على الحفظ :

ومن أهم مايعين طالب العلم على استغلال وقته واغتنامه ، وتثبيت حفظه وإحكامه ، أن يُقلّل مِقْدارَ أكله وشربه قدر الاستطاعة ، مع مراعاة أن يكون كسبُه من الحلال ، وأن يتورّع عن كل شبهة « فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه »(١) .

وفي الحديث : « إنّ أكثر الناس شِبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة »(٢).

وفي الحديث : « ماملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يُقِمْنَ صُلْبَهَ ، فإن كان لامحالةَ فثلثٌ لطعامه وثلثٌ لشرابه ، وثلث لنفسه »(٣).

وهذا الحديث أصل جامع لأصول الطب كلها .

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري [٢٠٥١] ومسلم [١٥٩٩] من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما .

(٢) رواه ابن ماجه والحاكم من حديث سلمان رضي الله عنه وحسنه الألباني وانظر «الصحيحة» [٣٤٣] « وصحيح الجامع » [١٥٧٧] .

(٣) رواه الترمذي [٢٣٨٠] وابن حبان [١٣٤٩] « موارد » ، والحاكم [٤/ ١٢١] وابن المبارك في الزهد [٦٠٣] وأحمد في « المسند »[٤/ ١٢١] وغيرهم من حديث المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه وصحح الألباني إسناد أحمد . وانظر : « إرواء الغليل »[٧/ ٤٢] .

قال الحارثُ بنُ كِلْدَة طبيب العرب : الحميةُ رأسُ الدواء ، والبطنة رأس الداء . وقال أيضاً : الذي قتل البرية وأهلك السباع في البرية إدخال الطعام على الطعام قبل الانهضام .

وقلة الغذاء توجب رقة القلب ، وقوة الفهم ، وانكسار النفس ، وضعف الهوى والغضب ، وكثرة الغذاء توجب ضد ذلك .

قال محمد بن واسع - رحمه الله - : من قلَّ طُعْمُهُ فهِم وأفْهَمَ ، وصفا ورقّ ، وإن كثرة الطعام ليثقل صاحبه عن كثير مما يريد .

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله : إن النفس إذا جاعت وعطشت صفا القلب ورق ، وإذا شبعت ورويت عمي القلب .

وقال الشافعي رحمه الله : « ماشبعت منذ ستة عشر سنة إلا شبعة أطرحها ؛ لأن الشبع يثقل البدن ، ويزيل الفطنة ، ويجلب النوم ، ويضعف صاحبه عن العبادة » أ . هـ .

وفي الحديث الصحيح « المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء » (١).

ولأجل هذا كانت حياة النبي ﷺ وأصحابه حياة الفقراء الزاهدين يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه « لقد رأيت رسول الله ﷺ يظلّ اليومَ يلتَوي مايَجدُ دقلاً يملأ به بطنه » (٢).

فكانوا يجوعون كثيراً ، ولايشربون كثيراً ، ويتقللون من الأكل

---

(١) أخرجه البخاري [٥٣٩٣ ، ٥٣٩٤] ومسلم [٢٠٦٠] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وانظر : « جامع العلوم والحكم » في شرح حديث المقدام السابق فإنه هام جداً .

(٢) رواه مسلم [٢٩٧٨] وانظر هنا : قاعدة «التقلل من الدنيا » .

والشهوات ، وإن كان ذلك لقلة وجود الطعام ، إلا أن الله لايختار لرسوله ﷺ إلا أكمل الأحوال وأفضلها .

ولهذا كان عبدالله بن عمر وقبله أبوه وغيرهما كثير من الصحابة ومن نهج نهجهم وسار على دربهم كانوا يتشبهون بالنبي ﷺ في تقليلهم من المآكل والمشارب مع قدرتهم على ذلك .

حتى ورد عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال : « والله ماشبعت منذ إحدى عشرة سنة ، ولا اثنتي عشرة سنةولا ثلاث عشرة سنة ولا أربع عشرة سنة ، مرة واحدة » .

وأوقات الجوع أفضل للحفظ من أوقات الشبع ، وإن بعض الناس إذا أصابه شدة الجوع والتهى به لم يحفظ ، فليطفئ ذلك عن نفسه بالشئ اليسير من الطعام ولايكثر فإن ذلك أعون له على الحفظ .

قال الأصمعي رحمه الله : « وعظ أعرابي أخاً له ، فقال : ياأخي ، إنك طالب ومطلوب ، فبادر الموت ، واحذر الفوت ، وخذ من الدنيا مايكفيك ، ودع منها مايطغيك ، وإياك والبطنة ، فإنها تعمي الفطنة» . أ . هـ . وقيل في الأمثال : « البطنة تذهب الفطنة » .

وقال عقبة الراسبي : « دخلت على الحسن وهو يتغذى فقال : هلم . فقلت : أكلت حتى لا أستطيع . فقال : سبحان الله أويأكل المسلم حتى لايستطيع أن يأكل (١) ؟! » .

وقال ابن جماعة : « من الأسباب المعينة على الاشتغال ، والفهم

(١) نقلاً عن [فضل العلم وآداب طلبته] لمحمد سعيد رسلان ص [١٢٢] . ط . دار العلوم الإسلامية . وانظر : « الزهد » للإمام أحمد ص [٣٢٨] ط الريان .

وعدم الملال ؛ أكل القدر اليسير من الحلال . وذلك أن كثرة الأكل جالبة لكثرة الشرب وكثرته جالبة للنوم والبلادة ، وقصور الذهن ، وفتور الحواس ، وكسل الجسم ؛ هذا مع مافيه من الكراهة الشرعية والتعرض لخطر الأسقام البدنية كما قيل :

فإن الداء أكثر ماتراه ... يكون من الطعام أو الشراب

ولم ير أحد من الأئمة الأعلام يوصف بكثرة الأكل ولا حمد به ، وإنما يحمد كثرة الأكل من الدواب التي لاتعقل بل هي مرصدة للعمل .

والذهن الصحيح أشرف من تبديده وتعطيله بالقدر الحقير من الطعام الذي يؤول أمره إلي ماقد علم ، ولو لم يكن من آفات كثرة الطعام والشراب إلا كثرة دخول الخلاء لكان ينبغي للعاقل اللبيب أن يصون نفسه عنه ، ومن رام الفلاح في العلم وتحصيل البغية منه مع كثرة الأكل والشرب والنوم فقد رام مستحيلاً في العادة » أ . هـ .(١) .

وقال رحمه الله : « وينبغي على الطالب أن يأخذ نفسه بالورع في جميع شأنه وأن ينأى عن الشبهات عملاً بقوله ﷺ : « فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه »(٢). فعلى طالب العلم أن يتحرى الحلال في طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه وفي جميع مايحتاجه هو وعياله ليستنير قلبه ، ويصلح لقبول العلم ونوره والنفع به ، ولايقنع

(١) « تذكرة السامع والمتكلم » ص [٧٣ - ٧٤] .

(٢) تقدم تخريجه .

لنفسه بظاهر الحل شرعاً مهما أمكنه التورع ولم تلجئه حاجة ، أو يجعل حظه الجواز بل يطلب الرتبة العالية » أ . هـ . (١) .

وقال عمر بن هبيرة لملك الروم : ماتعدون الأحمق فيكم ؟ قال : الذي يملأ بطنه من كل شئ يجده . أ . هـ .

وقد قال سبحانه : ﴿ **والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنارمثوى لهم** ﴾ . [محمد : ١٢] .

وكانوا يقولون : « الدواء الذي لاداء فيه أن تقعد على الطعام وأنت تشتهيه وأن تقوم عنه وأنت تشتهيه » (٢) .

المبحث الثاني : مأكولات تساعد على الحفظ (٣)

قالوا : إن من أنفع مايعين على الحفظ إصلاح الغذاء ، واجتناب

---

(١) « تذكرة السامع والمتكلم » ص [٧٥] .

(٢) فائدة :

أورد البيهقي في « شعب الإيمان » عن طبيب علي بن مرة الطائي [وكان له نحو تسعين سنة] أنه قيل له : أفدنا من طبك ؟ . . فقال : احفظ أربع خصال :

١ - متى مرضت : فإن حضرتك شهوة فكل ، فإن العافية قد جاءتك، وإن لم تشته شيئاً ، فلا تلتفت إلى كلام أهلك ، فإنك إن أكلته على غير شهوة فمضرته في بدنك أعظم من منفعته .

٢ - إن يكن لك امرأة أوجارية : فلا تقربها إلا على قرم [شهوة] ، فإن فعلت كانت بمنزلة الجنابة تصيبك ، وإلاكانت مضرة في بدنك .

٣ - متى هاج بك داء : فلا تدخل الحمام ، فإنه يهيج الداء الساكن ، وادخله على الصحة فإنه نافع .

٤ - إن أحدهم يدخل بيته ، ويغلق بابه ويرخي ستره ، ويقول : أريد أن أنام ، وليس به نوم ، فيتناوم ، فيقوم أثقل مما دخل ، ولو أنه لم ينم حتى ينعس ؛ قام كأنه نشط من عقال . أ . هـ . انظر « شعب الإيمان » للبيهقي [٥٧٩٣] .

(٣) انظر في هذا المبحث : « الجامع في الحث على حفظ العلم » ص [١٣٤ ـ ١٥٠] ، [٢٥٠] .

الأطعمة الرديئة ، وتنقية الطبع من الأخلاط المفسدة .

وقد ورد في بعض الآثار [ولاتخلوا في جملتها من ضعف] أن هناك أطعمة تساعد على الحفظ ، وأخرى ينبغي اجتنابها لمن أراد الحفظ .

أولاً : الأطعمة التي تعين على الحفظ :

فمن الأطعمة التي [قالوا أنها] تعين على الحفظ :

١ - العسل (١) ، والزبيب ، والرمان الحلو ، والبصل ، والثوم ، والتين ، والحلبة ، والحبة السوداء ، والفول (٢) ، والسمك ، واللبن(٣) [مفيد للحفظ بالتجربة] ، والزنجبيل [جيد للمعدة والبصر ، ويزيد في الحفظ ويخرج البلغم] ، والكرفس [وهو الكزبره] ، والخل(٤)أ. هـ.

ثانياً : مايجتنبه من أراد الحفظ من الأطعمة :

قالوا : ومن الأطعمة التي ينبغي على من أراد الحفظ تركها : [التفاح [وقيل الحامض منه فقط] ، والكزبرة الخضراء ، والباذنجان ، والرطب ، والماء البارد ، والحلوى ، وكثرة أكل اللحم (٥)] .

---

(١) عن الليث عن ابن شهاب أنه قال : « ما استودعت قلبي قط شيئاً فنسيته .
قال الليث : وكان يكره أكل التفاح ، وسؤر الفأرة ، ويقول : إنه ينسي . قال : وكان يشرب العسل ، ويقول : إنه يذكر » .

(٢) قال الشافعي : « الفول يزيد في الدماغ ، والدماغ من العقل » رواه أبو نعيم [٩/ ١٣٧] .

(٣) روى الطبراني وغيره مرفوعاً « ألبان البقر شفاء وسمنها دواء ولحومها داء » .
وانظر : « الصحيحة » [١٥٣٣] « وصحيح الجامع » [١٢٣٣] عن مليكة بنت عمرو .

(٤) في الحديث : « نعم الإدام الخل » وثبت أنه يضاد البلغم ، ويهدئ الشهوة وإذا كان كذلك كان عوناً على الحفظ .

(٥) قال الشعبي رحمه الله : « إني لأدع اللحم مخافة النسيان» يعني : كثرة أكله رواه أبو نعيم [٤/ ٣١٨] .

وقيل : إن الحجامة تعين على الحفظ [1].

وقيل : إن استعمال السواك مما يعين على الحفظ .

قلت : وغالب ماذكر في هذا المبحث فإنما هو خاضع للعادة والتجربة، وذلك يختلف من شخص لآخر .

والحفظ عطية من الله ، وهبة يهبها من شاء من عباده ، وقد يأتي بالتكرار والمران والاكتساب ؛ ومن وفقه الله تعالى للحفظ فلا يضره ما أكل .

وقد كان البخاري رحمه الله - وهو من هو علماً وحفظاً - لايتناول شيئاً من ذلك ليحفظ ! بل إنه لما سئل : هل تتناول شئياً يعينك على الحفظ ؟ قال : « ما أعلم من ذلك شئياً إلا نهمة الرجل ، ومداومة النظر » .

وذكروا عن أبي صالح بن محمد البغدادي أنه قال : « ولو كان الحفظ بالعلاج والأدوية لغلبنا عليه الملوك ، ولكنه خلقة وطبع ، فأما من طبع على الحفظ فلا يضر حفظه ما أكل ، ومن طبع على غيره فلا تنفعه المعالجة ولا الدواء » أ. هـ .

---

(١) يروى في ذلك حديث : « الحجامة على الريق أمثل ، وفيه شفاء وبركة ، وهو يزيد في العقل وفي الحفظ » « الفقيه والمتفقه » : [٢/ ١٠٥] . وانظر : « الجامع في الحث على حفظ العلم » [ص ١٥١] وكذا « زاد المعاد » [٤ / ٥٠] .

الفصل الرابع (١)

آداب حامل القرآن

---

(١) انظر في هذا الفصل :

١ - « التبيان في آداب حملة القرآن » للنووي .

٢ - « مختصر منهاج القاصدين » [٦٥ - ٧٠] .

٣ - « أخلاق حملة القرآن » للآجري .

وقد تقدم جمل منها في ثنايا الفصل السابق :

ومن آدابه أن يكون على أكمل الأحوال وأكرم الشمائل ، وأن يترفع عن كل مانهى عنه القرآن إجلالاً للقرآن ، وأن يصون نفسه عن الكسب الدنيئ ، وعن أكل الحرام ، وأن يكون مترفعاً على الجبابرة والجفاة من أهل الدنيا ، متواضعاً للصالحين وأهل الخير والمساكين ، وأن يكون متخشعاً ذا سكينة ووقار .

فقد جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : «يامعشر القراء! ارفعوا رؤوسكم فقد وضح لكم الطريق ، واستبقوا الخيرات ولاتكونوا عيالاً على الناس » .

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : « ينبغي لحامل القرآن ، أن يعرف بليله إذا الناس نائمون ، وبنهاره إذا الناس مفطرون ، وبحزنه إذا الناس يفرحون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ، و بخشوعه إذا الناس يختالون » .

وعن الحسن البصري - رحمه الله - أنه قال : « إن من كان قبلكم رأو القرآن رسائل من ربهم ، فكانوا يتدبرونها بالليل ، وينفذونها في النهار ».

وعن الفضيل بن عياض -رحمه الله - أنه قال : « ينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له حاجة إلى أحد من الخلفاء فمن دونهم » .

وقال أيضاً : « حامل القرآن حامل راية الإسلام ، لاينبغي أن يلهو مع

من يلهو ، ولايسهو مع من يسهو ، ولايلغو مع من يلغو ، تعظيماً لحق القرآن » .

وينبغي على حامل القرآن أن يحذر كل الحذر من اتخاذ القرآن معيشة يكتسب بها فقد جاء عن عبدالرحمن بن شبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « اقرؤوا القرآن ولاتأكلوا به ولاتجفوا عنه ولاتغلوا فيه » (١).

وعن جابر رضي الله عنه مرفوعاً « اقرؤوا القرآن من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح ، يتعجلونه ، ولايتأجلونه » (٢).

ومعناه : يتعجلون أجره إما بمال أوبسمعة أو نحوهما .

وعن فضيل بن عمرو(٣) رضي الله عنه قال : « دخل رجلان من أصحاب النبي ﷺ مسجداً ، فلما سلم الإمام قام رجل فتلا آيات من القرآن ، ثم سأل ، فقال أحدهما : إنا لله وإنا إليه راجعون ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « سيجيء قوم يسألون بالقرآن فمن سأل بالقرآن فلا تعطوه » (٤)

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً « من أخذ على تعليم القرآن قوساً ، قلده الله مكانها قوساً من نار جهنم يوم القيامة » (٥)

---

(١) رواه أحمد [٣/ ٤٢٨ ، ٤٤٤] ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » [٤/ ٧٣]: رواه الطبراني في « الكبير » ورجاله ثقات أ. هـ . قال الألباني في « الصحيحة » [٢٦٠] : بل إسناده صحيح .

(٢) رواه أبو داود [٨٣٠] ، وأحمد [٣/ ٣٩٧] وصحح الألباني إسناده . وانظر : « الصحيحة » [٢٥٩] .

(٣) هو فضيل بن عمرو الفقيمي التميمي ، أبو النضر ، من رواة الحديث ، كان ثقة [ت ١١٠ هـ]

(٤) رواه الترمذي [٢٩١٨] وأحمد [٤/ ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٩] من حديث عمران بن حصين ولفظه عندهما « من قرأ القرآن فليسأل الله به ، فإنه سيجيء أقوام يسألون به الناس » وهو حديث حسن وانظر : « الصحيحة » [٢٥٧] .

(٥) رواه أبو نعيم في الحلية والبيهقي في السنن وصححه الألباني ، وانظر : « صحيح الجامع » [٥٩٨٢] . وانظر رسالة « إقامة البرهان على حكم أخذ الأجرة على تلاوة القرآن » لعبد العزيز المانع . . طبع : المكتب الإسلامي .

وينبغي أن يكثر من تلاوة القرآن وأن يداوم عليها وأن يكون له مع كتاب الله ورد يلازمه ولا يتركه بحال [وقد تقدم الكلام على ذلك بشئ من التفصيل] .

وينبغي أن يداوم على قراءة القرآن في قيام الليل ، وأن يكون اعتناؤه بقراءة القرآن في الليل أكثر ، قال تعالى : ﴿ **من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين** ﴾ [آل عمران ١١٣ - ١١٤] .

وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال في عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- : «نعم الرجل لو كان يصلي من الليل» (١).

وفي « الصحيح » أنه ﷺ قال : « ياعبدالله لاتكن مثل فلان كان يقوم الليل ثم تركه » (٢).

وعن سهل بن سعد مرفوعاً « شرف المؤمن قيامه بالليل ، وعزه استغناؤه عن الناس » (٣) وقد تقدم الكلام على قيام الليل فراجعه .

وينبغي على حامل القرآن أن لايكون جافياً ولاغافلاً ، ولاصخاباً ، ولاحديداً ، (٤) وينبغي أن لايكون له إلى أحد من الخلق حاجة وأن تكون حوائج الخلق إليه .

---

(١) رواه البخاري [١١٢٢] ومسلم [٢٤٧٨] . من حديث عبدالله بن عمر .

(٢) رواه البخاري [١١٥٢] ومسلم [١٨٥] في الصيام ، وأحمد [٢/ ١٧٠] وابن ماجه [١٣٣١] . من حديث عبدالله بن عمرو .

(٣) قطعة من حديث طويل رواه الطبراني وغيره وهو حديث حسن . وانظر « الصحيحة » [٨٣١]، [١٩٠٣] .

(٤) الصخب : شدة الصوت وارتفاعه ، والحدة : شدة الغضب .

وينبغي أن يعمل بكل ماعلمه من الفضائل والوظائف والأوراد فإنه أولى بامتثالها من غيره .

قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : « ياأهل القرآن ! اعملوا بما علمتم فو الله إني لا أعلم أحداً أفضل منكم لو عملتم بما علمتم » . .

الفصل الخامس (١)

آداب تلاوة القرآن

(١) هذا الفصل مختصر من « التبيان » . للإمام النووي مع بعض الزيادات الهامة .

وأذكر فيه جملة مختصرة من الآداب التي ينبغي على قارئ القرآن أن يتحلى بها :

(١) الإخلاص لله عزوجل في تلاوته وأن لايريد بها سوى وجه الله ومرضاته وأن يقرأ على حال من يرى الله تبارك وتعالى ، فإنه إن لم يكن يراه فإن الله تعالى يراه ، ومطلع على سره ونجواه [١].

(٢) أن يكون القارئ للقرآن على أكمل الصفات وأن يكون فمه نظيفاً، ويستعمل السواك ، وذلك لأن التلاوة عبادة لسانية فتنظيف الفم عند ذلك أدب حسن . ويستحب أن يقرأ القرآن وهو على وضوء وطهارة، فعن أبي الجهيم رضي الله عنه قا ل : « أقبل النبي ﷺ من نحو بئر جمل ، فلقيه رجل فسلم عليه ، فلم يرد عليه النبي ﷺ السلام حتى أقبل على الجدار فمسح بوجهه ويديه ، ثم رد عليه السلام » [٢].

فإذا كان هذا في مجرد رد السلام ؛ فلأن يكون في تلاوة كتاب الله تعالى التي هي أعظم الذكر من باب أولى .

وفي روايةعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « كرهت أن أذكر الله إلا على طهر » [٣].

وإذا قرأ القرآن وهو محدث جاز بإجماع المسلمين والأحاديث فيه

---

(١) انظر ماتقدم في القاعدة الأولى « الإخلاص لله تعالى » في الفصل الثالث .

(٢) رواه البخاري ، وهو عند مسلم تعليقاً وانظر [المجموع] للنووي [٢/ ٢١٤] .

(٣) رواية ابن عباس : رواها أبو داود وصححها ابن خزيمة . وانظر « النصيحة » ص [٩ ، ١٠]

كثيرة ومعروفة ، قال إمام الحرمين : « ولايقال ارتكب مكروهاً ، بل هو تارك للأفضل » .

(٣) أن يكون مكان التلاوة نظيفاً خالياً من الشواغل والملهيات .

وذلك لأن النظافة والتنزه عن الأقذار والنجاسات مندوب إليها مطلقاً، ففي حالة التلاوة والذكر من باب أولى ، ومن هنا مدح الذكر والتلاوة في المساجد والمواضع الشريفة ، قال أبو ميسرة : « لايذكر الله تعالى إلا في مكان طيب » . .

وقد استحب جماعة من العلماء القراءة في المسجد ، وذلك أنه بالجلوس في المسجد تحصل فضيلة أخرى ؛ هي الاعتكاف فإنه ينبغي لكل جالس في المسجد أن ينوي الاعتكاف ، سواء أطال في جلوسه أو قصر بل ينبغي له أول دخوله المسجد أن ينوي الاعتكاف ، وهذا الأدب ينبغي أن يعتنى به ويشاع ذكره وتعرفه الصغار والعوام فإنه ممايغفل عنه .

وينبغي أن يكون المكان خالياً عن كل مايشغل البال ، ويحصل من وجوده الوسواس والاشتغال ، فإن ذلك أقرب إلى حضور القلب ، وأبعد عن الرياء والمباهاة ، وأعون على تدبر مايتلوه من الآيات ، ولاشك أن هذه الحال أكمل مما يخالفها .

(٤) ويستحب للقارئ أن يستقبل القبلة [فإنها الجهة التي يتوجه إليها العابدون لله سبحانه ، والداعون له والمتقربون إليه] وأن يجلس متخشعاً بسكينة ووقار ، مطرقاً رأسه في أدب وخضوع .

وهذا هو الأكمل ، ولو قرأ قائماً ، أو مضطجعاً ، أو في فراشه ، أو

غير ذلك من الأحوال جاز وله أجر ، ولكن دون الأول .

قال تعالى : ﴿ **الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض . . .** ﴾ الآيات [آل عمران : ١٩١] .

وثبت في « الصحيح » عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ يتكئ في حجري وأنا حائض فيقرأ القرآن » (١) وفي رواية « . . . يقرأ القرآن ورأسه في حجري » .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : « إني أقرأ القرآن في صلاتي وأقرأ على فراشي » .

وعن عائشة رضي الله عنه قالت : « إني لأقرأ حزبي وأنا مضطجعة على السرير » .

وثبت عنها في « الصحيح » أنها قالت : « كان رسول الله ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه » (٢).

(٥) فإذا أراد الشروع في القراءة استعاذ ، فقال : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » أو يقول : « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه ونفخه » .

وذلك لقوله تعالى : ﴿ **فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم** ﴾ [النحل : ٩٨] ، والتقدير : « فإذا أردت القراءة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » كما في قوله تعالى : ﴿ **إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا**

---

(١) رواه البخاري [٧٥٤٩] ومسلم [٣٠١] وأبو داود [٢٦٠] والنسائي [١/ ١٩١] وأحمد [٦/ ٩٦] وابن ماجه [٦٣٤] .

(٢) رواه مسلم [٣٧٣] وأبو داود [١٨] والترمذي [٣٣٨١] .

وجوهكم وأيديكم إلى المرافق ﴾ الآية [المائدة : ٦] ، أي : إذا أردتم القيام للصلاة .

(٦) وينبغي أن يحافظ على قراءة ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ في أول كل سورة سوى« براءة » فإن أكثر العلماء على أنها آية حيث كتبت في المصحف ، وقد كتبت في أوائل السور كلها إلا سورة « التوبة » [براءة] وذلك لأن الصحابة رضوان الله عليهم اختلفوا فيما بينهم : هل هي تتمة لسورة الأنفال أو أنها سورة مستقلة بذاتها فرأوا أن يفصلوها في المصحف ولايضعوا قبلها البسملة .

(٧) فإذا شرع في القراءة فليكن شأنه الخشوع والتدبر عند القراءة ، فإنه هو المقصود والمطلوب من التلاوة ، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب . قال تعالى : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن** ﴾ [النساء : ٨٢] .

وقال سبحانه : ﴿ **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته** ﴾ [ص : ٢٩] .

والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة جداً (١).

---

(١) قال الإمام النووي رحمه الله : [وقد بات جماعات من السلف يتلون آية واحدة يتدبرونها ويرددونها إلى الصباح ، وقد صعق جماعات من السلف عند القراءة ومات جماعات منهم حال القراءة] أ. هـ التبيان ص[٨١] قلت : وقوله -رحمه الله -« وقد صعق جماعات من السلف عند القراءة ، ومات جماعات منهم حال القراءة » أ. هـ. مما ينكر على الإمام ذكره وإيراده ، فهذا هوالنبي ﷺ وهو أخشع الخلق وأفضلهم ، وأتقاهم لله وأخوفهم منه ، كان يقرأ القرآن وكان يبكي وكان يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء . . ومع ذلك لم يكن يصعق ولم يكن يغشى عليه وهكذا كان أصحابه من بعده وهم أفضل الخلق بعد الأنبياء لم يكن هذا حالهم مع شدة خوفهم من الله تعالى وتعظيمهم إياه ومراقبتهم له ، بل أنكروا مثل ذلك وتعجبوا منه .

قال الشيخ الفاضل : محمد الخضر حسين [شيخ الجامع الأزهر سابقاً] في كتاب =

(٨) ويستحب أن يردد الآية ويكررها للتدبر ، وذلك أن الفهم والتدبر

= «محاضرات إسلامية» [ص ٨٢] : [ومما حدث في عهدهم - أي : عهد الصحابة رضون الله عليهم - أن أناساً لم يدركوا زمن النبوة ، يسمع أحدهم آية فيخر كأنه مغشي عليه ، فكان الصحابة الأكرمون لايرضون عمن هذا شأنه ، ويقابلونه بتعجب وإنكار .

مر عبدالله بن عمر رضي الله عنهما برجل ساقط ، فقال : ماشأنه ؟ فقالوا : إذا قرئ عليه القرآن يصيبه هذا ، فقال : إنا لنخش الله عزوجل ومانسقط . وقال حصين بن عبدالرحمن : قلت لأسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما - كيف كان أصحاب النبي ﷺ عند قراءة القرآن ؟ قالت : كانوا كما ذكرهم الله ، تدمع عيونهم وتقشعر جلودهم .

فقلت لها : هاهنا رجال إذا قرئ على أحدهم القرآن غشي عليه ، فقالت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . وقال عامر بن عبد الله بن الزبير : جئت إلى أبي يوماً ، فقال : أين كنت ؟ فقلت : وجدت قوماً ما رأيت خيراً منهم ، يذكرون الله فيرعد أحدهم حتى يغشى عليه من خشية الله ، فقعدت معهم . فقال لي : رأيت رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر يتلون القرآن ولايصيبهم هذا ، أفتراهم أخشع لله من أبي بكر وعمر ؟ ! قال : فرأيت أن ذلك كذلك فتركتهم .

رحم الله أصحاب رسوله الكريم ، لم يعدوا في كمال معرفة الله أو في كمال خشيته أن يسمع الرجل القرآن فيقع مغشياً عليه ، إنهم كانوا علي بصائر مشرقة ، وأحلام راجحة ، ويعرفون كيف يتقربون إلى الله زلفى ، وكيف يتدبرون آياته بسكينة وحسن سمت حتى تمتلئ له أعين الناظرين مهابة وإجلالاً » أ . هـ .

وإن من العجب العجاب مانراه في كثير من المساجد في صلاة التراويح ؛ حيث يقرأ الإمام في صلاته آيات من القرآن وهو كلام ربنا الرحمن ، وهو سبحانه عزيز متكبر جبار ، وآياته تحرك الجبال الرواسي ، ومع ذلك لايتأثر بها إلا أقل القليل ؛ فإذا جاء إلى دعاء الوتر ، أو دعاء الختم وهو من كلام البشر ، وكله سجع متكلف وقد يوجد فيه من التطويل والملال مايخرج به عن حد الاعتدال وهو بذلك على خلاف السنة [وبالرغم من ذلك كله] ترى الكثيرين من هؤلاء الذين ماحركت آيات القرآن فيهم ساكناً تراهم يرفعون أصواتهم عند سماعهم للدعاء بالصياح والنواح !! وتسمع أصوات النساء من وراء الصفوف ؟! وتالله ماهذا بخشوع وماهكذا كان السلف في خشوعهم وبكائهم فالله المستعان .

هو المقصود الأعظم من التلاوة ، فإن لم يحصل إلا بترديد الآية فليرددها .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « لاخير في عبادة لافقه فيها ، ولاخير في قراءة لاتدبر فيها »[١] ، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قام النبي ﷺ بآية يرددها حتى أصبح ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم**﴾ [المائدة : ١١٨][٢] .

وعن تميم الداري - رضي الله عنه - أنه كرر هذه الآية حتى أصبح ﴿**أم حسب الذين اجترحوا السيئات ، أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون** ﴾ [الجاثية : ٢١] .

وعن عباد بن حمزة قال : دخلت على أسماء رضي الله عنها وهي تقرأ ﴿ **فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم** ﴾ [الطور : ٢٧] .

فوقفت عندها ، فجعلت تعيدها وتدعو ، فطال علي ذلك ، فذهبت إلى السوق ، فقضيت حاجتي ، ثم رجعت وهي تعيدها وتدعو .

وروي ذلك عن عائشة رضي الله عنها كذلك .

وردد ابن مسعود رضي الله عنه قوله تعالى : ﴿ . . . **رب زدني علماً** ﴾ [طه : ١١٤] وردد سعيد بن جبير ﴿ **واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله** ﴾ [البقرة : ٢٨١] وردد أيضاً ﴿ **فسوف يعلمون ، إذ الأغلال في أعناقهم** ﴾ [غافر : ٧٠ ، ٧١] وردد أيضاً : ﴿ **ماغرك بربك الكريم** ﴾

[الإنفطار : ٦]

---

(١) وانظر هنا «قاعدة : الفهم طريق الحفظ » في الفصل الثالث .

(٢) رواه النسائي [٢/ ١٧٧] وابن ماجه [١٣٥٠] وهو صحيح .

وكان الضحاك إذا تلا قوله تعالى : ﴿ **لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل** ﴾ [الزمر : ١٦] يرددها إلى السحر .

وورد مثل ذلك عن غيرهم من السلف وهو كثير .

(٩) ويستحب أن يبكي في أثناء تلاوته للقرآن ، فإن لم يكن بكاء فليتباكى ، والبكاء من خشية الله تعالى ، وعند تلاوة آياته ؛ من صفات العارفين، وشعار عباد الله الصالحين ، قال تعالى : ﴿ **ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً** ﴾ [الإسراء : ١٠٩] .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مرفوعاً : « اقرؤا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا »[١].

وقال الحسن البصري رحمه الله : « يابن آدم ، والله إن قرأت القرآن ثم آمنت به ليطولن في الدنيا حزنك ، وليشتدن في الدنيا خوفك ، وليكثرن في الدنيا بكاؤك » .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه صلى بالجماعة الصبح ، فقرأ سورة يوسف ، فبكى حتى سالت دموعه على ترقوته . وفي رواية : أنه كان في صلاة العشاء ، فيدل على تكرره منه وفي رواية : فبكى حتى سمعوا بكاءه من وراء الصفوف .

وعن أبي رجاء قال : رأيت ابن عباس رضي الله عنهما وتحت عينيه مثل الشراك البالي من الدموع .

وفي « الصحيح » « عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : اقرأ علي القرآن . قلت : يارسول الله ، أقرأ عليك

---

(١) رواه ابن ماجه [٤١٩٦] وسنده ضعيف .

وعليك أنزل ؟ قال : إني أحب أن أسمعه من غيري . قال : فقرأت عليه سورة النساء ، حتى بلغت : ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً . . .** ﴾ [النساء : ٤١] قال : حسبك . فنظرت فإذا عيناه تذرفان » . (١)

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : « لما نزلت ﴿**أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولاتبكون**﴾ [النجم : ٥٩ ، ٦٠] بكى أهل الصفة حتى جرت دموعهم على خدودهم ، فلما سمع رسول الله ﷺ حسهم بكى معهم ، فبكينا ببكائه . فقال : لايلج النار من بكى من خشية الله » .

وقرأ عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - سورة المطففين فلما بلغ ﴿**يوم يقوم الناس لرب العالمين**﴾ بكى حتى خر ، وامتنع عن قراءة مابعدها .

وعن مزاحم بن زفر قال : صلى بنا سفيان الثوري المغرب حتى بلغ ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ بكى حتى انقطعت قراءته ثم عاد فقرأ الحمد .

وعن إبراهيم بن الأشعث قال : سمعت الفضيل يقول ذات ليلة وهويقرأ سورة محمد ويبكي ويردد هذه الآية ﴿ **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم** ﴾ وجعل يقول : ﴿ **ونبلوا أخباركم**﴾ وتبلو أخبارنا ؟ إن بلوت أخبارنا فضحتنا ، وهتكت أستارنا ، إنك إن بلوت أخبارنا أهلكتنا وعذبتنا ويبكي [رحمه الله] .

---

(١) رواه البخاري [٤٥٨٢] ومسلم [٨٠٠] والترمذي [٣٠٢٧] وأبو داود [٣٦٦٨] وأحمد [١/ ٣٨٠ ، ٤٣٣] وابن ماجه [٤١٩٤] .

والآثار عن السلف في هذا كثيرة جداً وفيما أشرت إليه كفاية للعاقل اللبيب .

قال أبو حامد الغزالي : « والبكاء مستحب مع القراءة ، وإنما طريق تكلف البكاء أن يحضر قلبه الحزن ، فمن الحزن ينشأ البكاء ، ووجه إحضار الحزن أن يتأمل مافيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ، ثم يتأمل تقصيره في أوامره وزواجره ، فيحزن لامحالة ويبكي ، فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكاء ، فإن ذلك أعظم المصائب » أ.هـ . (١) .

(١٠) وينبغي أن تكون قراءته قراءة مرتلة متأنية ، وقد اتفق العلماء رحمهم الله على استحباب الترتيل . قال تعالى : ﴿ **ورتل القرآن ترتيلاً** ﴾ [المزمل : ٤] ، والترتيل أقرب إلى الإجلال والتقدير ، وأشد تأثيراً في القلوب ، وهو قبل هذا وذاك ، مأمور به ، ومؤكد عليه في الشرع ، وفعله التزام لسنة النبي ﷺ، فعن أم سلمة - رضي الله عنها - « أنها نعتت قراءة النبي ﷺ قراءة مفسرة حرفاً حرفاً » (٢).

وعن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه ، قال : « رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته يقرأ سورة الفتح فرجع في قراءته » (٣) .

وقال رجل لابن عباس - رضي الله عنهما - إني أقرأ القرآن في ثلاث ، فقال ابن عباس : «لأن أقرأ البقرة فأدبرها وأرتلها أحب إلى من

---

(١) « احياء علوم الدين » [١/ ٢٧٧] آداب تلاوة القرآن .

(٢) رواه أبو داود [١٤٦٦] والترمذي [٢٩٢٤] والنسائي [٣/ ٢١٤] وأحمد [٦/ ٢٩٤ ، ٣٠٠] وهو حديث صحيح ، وانظر : « جامع الأصول » [٩١٩] .

(٣) رواه البخاري [٤٢٨١] ومسلم [٧٩٤] وأبو داود [١٤٦٧] .

أن أقرأ القرآن أجمع هذرمة »[١].

وسئل مجاهد عن رجلين قرأ أحدهما البقرة وآل عمران ، والآخر البقرة وحدها وزمنهما وركوعهما وسجودهما وجلوسهما سواء ؟ قال : الذي قرأ البقرة وحدها أفضل .

وعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - أن رجلاً قال له : إني أقرأ المفصل في ركعة واحدة ، فقال عبدالله بن مسعود : « هذا كهذ الشعر ، إن أقواماً يقرؤون القرآن ، لايجاوز تراقيهم ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع »[٢].

وأخرج الآجري في « أخلاق حملة القرآن » عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال في القرآن : « لاتنثروه نثر الدقل[٣] ولاتهذوه هذ الشعر ، قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولايكن هم أحدكم آخر السورة » .

وعند البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سئل عن قراءة النبي ﷺ فقال : « كانت مداً ، ثم قرأ : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ ، يمد الله ، ويمد الرحمن ، ويمد الرحيم »[٤]

قال أهل العلم : والترتيل مستحب للتدبر ولغيره ولهذا يستحب الترتيل للعجمي الذي لايفهم معناه ، لأن ذلك أقرب إلى التوقير

---

(١) وانظر : « فضائل القرآن » لابن كثير ص ٧٥ .

(٢) رواه البخاري [٧٧٥] ومسلم [٨٢٢] وأحمد [١/ ٣٨٠ ، ٤١٧] .

(٣) الدقل : رديء التمر .

(٤) رواه البخاري [٥٠٤] باب مد القراءة وانظر « الفتح » [٨/ ٧٠٩] .

والاحترام ، وأشد تأثيراً في القلب .

(١١) ويستحب للقارئ إذا مر بآية رحمة أن يسأل الله تعالى من فضله وإذا مر بآية عذاب أن يستعيذ بالله منه وأن يسأله العافية والسلامة ، وإذا مر بآيةتنزيه لله سبحانه وتعالى نزهه فيقول : سبحانه وتعالى ، أو تبارك وتعالى ، أو جلت عظمة ربنا ونحو ذلك . (١)

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : « صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة ، فقلت : يركع عند المائة ، ثم مضى فقلت : يصلي بها في ركعة فمضى ، فقلت : يركع بها ثم افتتح النساء فقرأها ، ثم افتتح آل عمران فقرأها ، يقرأ مترسلاً ؛ إذا مر بآية فيها تسبيح سبح ، وإذا مر بآية سؤال سأل ، وإذا مر بتعوذ تعوذ»(٢) .

قال النووي رحمه الله : وكانت سورة النساء في ذلك الوقت متقدمة على آل عمران .

وقال الحسين الكرابيسي : بت مع الشافعي ليلة ، فكان يصلي نحو ثلث اليل ، فما رأيته يزيد علي خمسين آية ، فإذا أكثر فمئة آية ، وكان لايمر بآية رحمة إلا سأل الله ، ولابآية عذاب إلا تعوذ ، وكأنما جمع له الرجاء والرهبة جميعاً . (٣)

وجماهير أهل العلم - رحمهم الله - على أن هذا السؤال والاستعاذة

---

(١) وانظر هنا « قاعدة : الفهم طريق الحفظ » .

(٢) رواه مسلم [٧٧٢] وأحمد [٥/ ٣٨٤ ، ٣٩٧] وأبو داود [٨٧١ ، ٨٧٤] والنسائي [٢/ ١٧٦ ، ١٧٧] .

(٣) انظر : « نزهة الفضلاء » ، [٢/ ٧٣٦] .

والتسبيح ، مستحب لكل قارئ سواء كان في الصلاة أو في خارجها[1] .
قالوا : ويستحب ذلك في الصلاة للإمام والمأموم والمنفرد ، لأنه دعاء فاستووا فيه كالتأمين عقب الفاتحة .

(١٢) ومما يعتنى به ويتأكد الأمر به : احترام القرآن من أمور قد يتساهل فيها بعض الغافلين القارئين مجتمعين ، فمن ذلك اجتناب الضحك واللغط والحديث في خلال القراءة إلا كلاماً يضطر إليه ، وليتمثل أمر الله تعالى ﴿ **وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون** ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] . وليقتد بما رواه ابن أبي داود عن ابن عمر رضي الله عنهما « أنه كان إذا قرأ القرآن لايتكلم حتى يفرغ مما أراد أن يقرأه » [2].

ويتجنب العبث باليد وغيرها ، فإنه يناجي ربه سبحانه وتعالى ، فلا يعبث بين يديه . ويتجنب النظر إلى ما يلهيه ويشرد بذهنه عن التلاوة .

(١٣) ويستحب للقارئ أن يقرأ من المصحف ، وذلك أفضل من القراءة غيباً ، لأن النظر في المصحف عبادة مطلوبة ، فتجتمع القراءة والنظر وتقدم حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - مرفوعاً « من سره أن يحبه الله ورسوله فليقرأ من المصحف » .

وذكر الغزالي في الإحياء « أن كثيرين من الصحابة رضي الله عنهم كانوا يقرؤون من المصحف ويكرهون أن يخرج يوم ولا ينظرون في

---

(١) خالف في هذا أبو حنيفة - رحمه الله - فقال : يكره ذلك في الصلاة والصواب قول الجمهور وانظر : « التبيان » للإمام النووي رحمه الله ص [٩١] .

(٢) رواه البخاري [٤٣٢٦] عن نافع قال : « كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه » .

المصحف » . (١)

قال الإمام النووي - رحمه الله - : ولو قيل إنه يختلف باختلاف الأشخاص ، فتختار القراءة في المصحف لمن استوى خشوعه وتدبره في حالتي القراءة من المصحف وعن ظهر القلب ، وتختار القراءة عن ظهر القلب لمن لم يكمل بذلك خشوعه وتدبره ، لكان هذا قولاً حسناً ، والظاهر أن كلام السلف و فعلهم محمول على هذا التفصيل أ . هـ.

(١٤) ويستحب الاجتماع على تلاوة القرآن وقد دل علي ذلك أدلة كثيرة وهو ثابت من فعل السلف رحمهم الله تعالى :

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » (٢) .

وعن معاوية - رضي الله عنه - « أن رسول الله ﷺ خرج علي حلقة من أصحابه فقال : مايجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده لما هدانا للإسلام ، ومن علينا به . فقال : أتاني جبريل فأخبرني أن الله تعالى يباهي بكم الملائكة » (٣).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : « من استمع إلى آية من

---

(١) « إحياء علوم الدين » [١/ ٢٧٩] . وثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه - بسند صحيح - قال : « أديموا النظر في المصحف » وانظر الفتح [٨/ ٢٩٦ - ٢٩٧] .

(٢) رواه مسلم [٢٧٠١] وأبو داود [١٤٥٥] وأحمد [٢/ ٢٥٢ ، ٤٠٧] .

(٣) رواه مسلم [٢٧٠١] وأحمد [٤/ ٩٢] والترمذي [٣٣٧٦] والنسائي [٨/ ٢٩٨] .

كتاب الله تعالى كانت له نوراً »[١].

وروى ابن أبي داود « أن أبا الدرداء - رضي الله عنه - كان يدرس القرآن مع نفر يقرؤن جميعاً » .

ويستحب للقارئ أن يجمع غيره على القراءة وأن يحثهم على الاجتماع للتلاوة ، فقد قال النبي ﷺ : « الدال على الخير كفاعله »[٢].

وقال ﷺ : « من دل على خير فله مثل أجر فاعله »[٣].

وقال ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : « لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم »[٤]، والأحاديث في ذلك كثيرة مشهورة .

وقد قال الله تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾ [المائدة : ٢] .

ومعلوم أن الاجتماع على الطاعة مما يزيد في نشاط الفرد ويدعوه لمنافسة أقرانه في أعمال الخير بخلاف الانفراد الذي ربما يعتري صاحبه كسل أو فتور .

(١٥) ومن آداب تلاوة القرآن أن يسجد عند تلاوة الآيات التي فيها

---

(١) رواه الدارمي [٣٣٧٠] موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) حديث صحيح مروي عن عدد من الصحابة منهم ابن عمر وابن عباس وابن مسعود وأنس بن مالك وغيرهم . وانظر « الصحيحة » [١٦٦٠]

(٣) رواه مسلم [١٨٩٣] وأحمد [٤/ ١٢٠] ، وأبو داود [٥١٢٩] والترمذي [٢٦٧٣] من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه .

(٤) رواه البخاري [٢٩٤٢] ، ومسلم [٢٤٠٦] وأحمد [٥/ ٣٣٣] .

سجود سواء كان الوقت وقت نهي أو غيره ، لأن سجود التلاوة من ذوات الأسباب ، والصحيح المعتمد أن سجدة « ص » محل للسجود .

وهل لسجود التلاوة في غير الصلاة تكبير عند الخفض ، وتكبير عند الرفع ، وسلام ؟ محل خلاف بين أهل العلم ، والأمر واسع إن شاء الله ويقول في سجوده : سبحان ربي الأعلى ثلاثاً وإن زاد : سجد وجهي لله الذي خلقه فصوره وشق سمعه وبصره بحوله وقوته ، اللهم اجعل لي بها ذخراً ، وضع عني بها وزراً وتقبلها مني كما تقبلتها من نبيك داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ؛ فهذا حسن .

ويستحب السجود للسامع والمستمع تبعاً للتالي .

وجمهور أهل العلم على أن سجود التلاوة مستحب وليس بواجب وهوقول عمر بن الخطاب وابن عباس وسلمان الفارسي وعمران بن الحصين ومالك والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق وأبي ثور وداود وغيرهم [رضي الله عنهم أجمعين] .

وذهب أبو حنيفة - رحمه الله - إلي أن سجود التلاوة واجب ؛ واستدل بقوله تعالى : ﴿ **فمالهم لايؤمنون ، وإذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون** ﴾ [الانشقاق : ٢٠ - ٢١] .

واستدل الجمهور بما صح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه « أنه قرأ يوم الجمعة على المنبر سورة النحل حتى إذا جاء السجدة نزل فسجد ، وسجد الناس ؛ حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأها حتى جاء السجدة قال : يا أيها الناس ! إنما نمر بالسجود فمن سجد فقد أصاب ، ومن لم يسجد فلا إثم عليه . . »(١) ، وهذا الفعل والقول من عمر في هذا المجمع

(١) رواه البخاري [١٠٧٧] في سجود القرآن .

دليل ظاهر .

قال الإمام النووي رحمه الله : وأما الجواب عن الآية التي احتج بها أبو حنيفة رحمه الله فظاهر ، لأن المراد ذمهم على ترك السجود تكذيباً ، كما قال تعالى بعده : ﴿ **بل الذين كفروا يكذبون** ﴾ [الإنشقاق : ٢٢] .

ويشترط في سجود التلاوة مايشترط لصلاة النافلة من الطهارة عن الحدث وعن النجاسة ، واستقبال القبلة ، وستر العورة . فيحرم السجود على من على بدنه أو ثوبه نجاسة غير معفو عنها ، ويحرم السجود على المحدث إلا إذا تيمم في موضع يجوز فيه التيمم ، ويحرم السجود إلى غير القبلة إلا في السفر حيث تجوز النافلة فيه إلى غير القبلة .

قال النووي - رحمه الله - : وهذا كله متفق عليه . (١)

(١٦) وينبغي على القارىء أن لايقرأ في أماكن مستقذرة كدورات المياه، وأماكن المنكرات والمعاصي . أو في مجتمع لاينصت له كمجتمع البيع والشراء أو مجتمع الرياضة أو مجتمع لعب الورق وغير ذلك من المجتمعات المشغولة لأن القراءةفي هذه الأماكن إهانة لكتاب الله تعالى .

---

(١) وانظر كتاب « التبيان » للإمام النووي فهو هام جداً وفيه فوائد يحسن الإطلاع عليها .

الفصل السادس (١)

في التحذير من نسيان القرآن وإهماله وعدم استذكاره

---

(١) انظر في هذا الفصل :

١ - « فتح الباري » [٨/ ٦٩٧ ، ٧٠٣] .

٢ - « الترغيب والترهيب » [٢/ ٣٥٩] ط الريان .

٣ - « التبيان » للنووي .

٤ - « الزواجر » للهيتمي [١/ ١٢١] ط الحلبي .

إن الإعـراض عن القـرآن وإهمـاله ، والتـغـافل عنه ونسـيـانه ؛ من الذنوب العظام ، والخطايا الجسام ، حتى عده بعض أهل العلم -رحمهم الله تعالى - من الكبائر .

وممن قـال بأنه كـبيـرة من الكبـائر : الإمـام الرافـعي والإمـام النووي وغيرهما من أهل العلم .

قال النووي : اختياري أن نسيان القرآن من الكبائر لحديث فيه . أ. هـ.

قال الجلال البلقيني والزركشي وغيرهما : محل كون نسيانه كبيرة عند من قال به إذا كان عن تهاون وتكاسل . أ. هـ . وهذا احتراز عمالو اشتغل عنه بنحو إغماء أو مرض مانع له من القراءة أو غيرهما من كل مالا يتأتى معه القراءة ، وعدم التأثيم بالنسيان حينئذ واضح لأنه مغلوب عليه لا اختيار له فيه ، بخلاف ما إذا اشتغل عنه بما يمكنه القراءة معه فحينئذ يدخل في الذم ويستحقه .

وحمل أبو شامة [شيخ النووي وتلميذ ابن الصلاح] الأحاديث في ذم نسيان القرآن على ترك العمل به ؛ لأن النسيان هو الترك لقوله تعالى :

﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً ﴾ [طه : ١١٥] .

قال : وللقرآن يوم القيامة حالتان : أحدهما الشفاعة لمن قرأه ولم ينس العمل به ، والثانية الشكاية على من نسيه أي : تركه تهاوناً ولم يعمل بما فيه ، ولا يبعد أن يكون من تهاون به حتى نسي تلاوته كذلك . أ . هـ .

ومما يدل على خطورة نسيان القرآن وإهمال استذكاره قوله تعالى : **﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمي قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ، قال كذلك أتتك آيتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾** [طه ١٢٤ - ١٢٦] فقد أدخل بعض المفسرين نسيان القرآن ضمن النسيان المتوعد عليه في هذه الآية .

قال الحافظ عماد الدين ابن كثير - رحمه الله - « . . . وهذا الذي قاله وإن لم يكن هو المراد جميعه فهو بعضه ، فإن الإعراض عن تلاوة القرآن ، وتعريضه للنسيان ، وعدم الاعتناء به فيه تهاون كبير وتفريط شديد ، نعوذ بالله منه » . أ . هـ[1] .

ومما يدل على خطورة نسيان القرآن وعدم المراجعة له ما ثبت في «الصحيح » من حديث سمرة بن جندب - رضي الله عنه - قال : « كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول لأصحابه : هل رأى أحد منكم من رؤيا ؟ قال : فيقص عليه ماشاء الله أن يقص وإنه قال لنا ذات غداة : إنه أتاني الليلة آتيان وإنهما ابتعثاني ، وإنهما قالا لي : انطلق . وإني انطلقت معهما ، وإنا أتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة ، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه ، فيتدهده الحجر ها هنا ، فيتبع

(١) انظر : « فضائل القرآن » ص[٦٩] .

الحجر فيأخذه فلايرجع إليه حتى يصبح رأسه كما كان ، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل به في المرة الأولى .

قال : قلت لهما : سبحان الله ، ماهذان ؟ . قالا : انطلق انطلق . فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق على قفاه . . . الحديث » .

وفي آخره قال النبي ﷺ: « قلت لهما : فإني قد رأيت منذ الليلة عجباً فما هذا الذي رأيت ؟ قالا : أما إنا سنخبرك ؛ أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر ، فإنه الرجل يأخذ بالقرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة . . . الحديث » (١)

وفي رواية [جرير بن حازم] « علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار » ، قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - :

« قوله : « وينام عن الصلاة المكتوبة » هذا أوضح من رواية جرير بن حازم بلفظ « علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار » فإن ظاهره أنه يعذب على ترك قراءة القرآن بالليل ، بخلاف رواية عوف فإنه على تركه الصلاة المكتوبة ، ويحتمل أن يكون التعذيب على مجموع الأمرين ؛ ترك القراءة وترك العمل » . أ. هـ .

وعن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال : «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب » (٢)

---

(١) رواه البخاري [٧٠٤٧] باب « تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح » وهو حديث رائع في الترغيب والترهيب ويحسن بالوعاظ والخطباء أن يوضحوه للناس ويشرحوه لهم بدلاً مما يأتون به من الطآمات والأكاذيب . والله المستعان .

(٢) رواه أحمد والترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد . وضعفه الألباني في « ضعيف الجامع » [١٥٢٤] !! . وانظر المشكاة [٢١٣٥] .

وأخرج أبو عبيد من طريق الضحاك بن مزاحم موقوفاً : « مامن أحد تعلم القرآن ثم نسيه إلا بذنب أحدثه ؛ لأن الله يقول : ﴿**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم**﴾ [الشورى : ٣٠]ونسيان القرآن من أعظم المصائب » .

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : « عُرضت علي أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد ، وعُرضت عليّ ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن ، أو آية أوتيها رجل ثم نسيها »(١). وروى ابن أبي داود من وجه آخر مرسل نحوه ولفظه : « . . . فلم أر ذنباً أعظم من حامل القرآن وتاركه » .

وعن أبي العالية قال : « كنا نَعُدّ من أعظم الذنوب أن يتعلم الرجل القرآن ثم ينام عنه حتى ينساه »(٢) .

وعن ابن سيرين أنه قال في الذي ينسى القران : « كانوا يكرهونه ويقولون فيه قولاً شديداً »(٣) .

وعن سعد بن عبادة - رضي الله عنه - مرفوعاً :

« من قرأ القرآن ثم نسيه لقي الله يوم القيامة وهو أجذم »(٤).

---

(١) رواه أبو داود [٤٦١] والترمذي [٢٩١٧] وقال : هذا حديث غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه ، وذاكرت به محمد بن إسماعيل - يعني البخاري - فلم يعرفه واستغربه .أ.هـ .
وقال الحافظ ابن حجر : في اسناده ضعف . وانظر : « ضعيف أبي داود للألباني » رقم [٧١] .

(٢) قال في «الفتح »[٨/ ٧٠٥] : اسناده جيد .

(٣) قال في « الفتح »[٨/ ٧٠٥] : إسناده صحيح .

(٤) ضعيف. رواه أحمد [٥/ ٣٢٧] الدارمي [٣٣٤٣] وأبو داود [١٤٧٤] وقال الحافظ ابن حجر : في إسناده مقال .
واختلف في معنى : « أجذم » فقيل : مقطوع اليد ، وقيل : مقطوع الحجة ، وقيل : مقطوع السبب من الخير ، وقيل خالي اليد من الخير وهي متقاربة ، وقيل : يحشر مجذوماً حقيقة ، ويؤيده رواية « زائدة بن قدامه » وفيها « . . . أتى يوم القيامة وهو مجذوم » .

قال القرطبي : « من حفظ القرآن فقد عَلَتْ رتبته وشرف في نفسه وقومه ، وكيف لا ؟ ومن حفظه فقد أُدرجت النبوة بين جنبيه وصار ممن يقال فيه : هو من أهل الله وخاصته فإذا كان كذلك فمن المناسب تغليظ العقوبة على من أخل بمرتبته الدينية ، ومؤاخذته بما لايؤاخذ به غيره ، وترك معاهدة القرآن يؤدي إلى الجهالة والرجوع إلى الجهل بعد العلم شديد » . أ. هـ .

ولأجل ماتقدم ذكره : أمرنا النبي ﷺ باستذكار القرآن وتعاهده وكثرة تلاوته وحذرنا من تركه وإهماله ، ففي « الصحيح » من حديث عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - مرفوعاً « إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعَقّلة إن عاهد عليها أمسكها ، وإن أطلقها ذهبت » (١) .

ومن حديث عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - مرفوعاً « بئس مالأحدهم أن يقول : نسيت آية كيت وكيت ، بل نُسّي ، و استذكروا القرآن فإنه أشد تفصياً من صدور الرجال من النعم » (٢) .

وقوله : « بل هو نُسّي » ورد بالتخفيف والتثقيل .

قال الإمام القرطبي - رحمه الله - : التثقيل معناه أنه عوقب بوقوع النسيان عليه لتفريطه في معاهدته واستذكاره .

قال : ومعنى التخفيف : أن الرجل ترك [أي القرآن] غير ملتفت

(١) تقدم تخريجه . وتأمل قوله : « صاحب القرآن » والصاحب هو الذي يؤلف ويحب . فكأن حافظ القرآن له من الألفة مع القرآن والمحبة له ماليس لغيره ولذا ذل به لسانه وسهل عليه قراءته ، بخلاف من هجره وتركه فضيعه ونساه . والله المستعان .

(٢) تقدم تخريجه . ومعنى قوله : « استذكروا القرآن » أي : واظبوا على تلاوته واطلبوا من أنفسكم المذاكرة به ، وانظر هنا قاعدة « المراجعة المستمرة » .

إليـه . أ . هـ .

ومتعلق الذم في قوله ﷺ« بئس مالأحدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت » : مافيه من الإشعار بعدم الاعتناء بالقرآن ؛ إذ لايقع النسيان إلا بترك التعاهد وكثرة الغفلة ، فلو تعاهده بتلاوته والقيام به في الصلاة لدام حفظه وتذكره ، فإذا قال الإنسان : نسيت الآية الفلانية فكأنه شهد على نفسه بالتفريط فيكون متعلق الذم ترك الاستذكار والتعاهد لأنه الذي يورث النسيان .

قال القاضي عياض رحمه الله : « أولى مايتأول عليه ذم الحال لاذم القول ، أي : بئس الحال حال من حفظه ثم غفل عنه حتى نسيه » . أ . هـ .

الخاتمة

وفيها « برنامج عملي لحفظ القرآن »

الخاتمة

وفيها « برنامج عملي لحفظ القرآن »

قال الله تعالى : ﴿ **والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى ، فبشر عباد ، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب ، أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار ، لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار ، وعد الله ، لايخلف الله الميعاد** ﴾ [الزمر : ١٧-٢٠]

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : « قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه في قوله تعالى ﴿ **والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها** ﴾ نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر وسلمان الفارسي رضي الله تعالى عنهم . والصحيح أنها شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الأوثان وأناب إلى عبادة الرحمن فهؤلاء هم الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة . ثم قال تعالى : ﴿ **فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه** ﴾ أي : يفهمونه ويعملون بما فيه كقوله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام حين آتاه التوراة ﴿ **فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها** ﴾ . ﴿ **أولئك الذين هداهم الله** ﴾ أي : المتصفون بهذه الصفة هم الذين هداهم الله في الدنيا والآخرة . ﴿ **وأولئك هم أولو الألباب** ﴾ أي ذوو العقول الصحيحة والفطر المستقيمة ﴿ **أفمن حق عليه كلمة العذاب . . .** ﴾ . يقول تعالى : « أفمن كتب الله أنه شقي » تقدر أن تنقذه مما هو فيه من الضلال والهلاك ؟ أي : لايهديه أحد من بعد الله لأنه من يضلل الله فلا هادي له ومن يهده فلا مضل له .

ثم أخبر عزوجل عن عباده السعداء أن لهم غرفاً في الجنة وهي

القصور الشاهقة ﴿ **من فوقها غرف مبنية**﴾ طباق فوق طباق مبنيات محكمات مزخرفات عاليات » أ . هـ .(١) .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - :

﴿ **والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها** ﴾ والمراد بالطاغوت في هذا الوضع ، عبادة غير الله ، فاجتنبوها في عبادتها . ﴿ **وأنابوا إلى الله** ﴾ بعبادته وإخلاص الدين له ، فانصرفت دواعيهم عن عبادة الأصنام إلى عبادة الملك العلام ، ومن الشرك والمعاصي إلى التوحيد والطاعات . ﴿**لهم البشرى** ﴾ التي لايقادر قدرها ولايعلم وصفها إلا من أكرمهم بها . وهذا شامل للبشرى في الحياة الدنيا بالثناء الحسن ، والرؤيا الصالحة ، والعناية الربانية من الله ، التي يرون من خلالها ، أنه مريد لإكرامهم في الدنيا والآخرة .

ولهم البشرى في الآخرة عند الموت ، وفي القبر وفي القيامة .

وخاتمة البشرى ، مايبشرهم به الرب الكريم ، من دوام رضوانه ، وبره وإحسانه ، وحلول أمانه في الجنة . ولما أخبر أن لهم البشرى ، أمره الله ببشارتهم ، وذكر الوصف الذي استحقوا به البشارة فقال : ﴿ **فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه** ﴾ . وهذا جنس ، يشمل كل قول ، فهم يستعمون جنس القول ، ليميزوا بين ماينبغي إيثاره مما ينبغي

---

(١) « تفسير ابن كثير » [٤/ ٥٠] .

اجتنابه، فلهذا كان من حزمهم وعقلهم ، أنهم يتبعون أحسنه ، وأحسنه علي الإطلاق ، كلام الله ، وكلام رسوله ﷺ. كما قال سبحانه في هذه السورة ﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً** ﴾ الآية .

﴿ **أولئك** ﴾ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴿ **الذين هداهم الله** ﴾ لأحسن الأخلاق والأعمال ﴿ **وأولئك هم أولوا الألباب** ﴾ أي : العقول الزاكية ، ومن لبهم وحزمهم ، أنهم عرفوا الحسن وغيره ، وآثروا ماينبغي إيثاره على ماسواه ، وهذا علامة العقل ، بل لاعلامة للعقل سوى ذلك ، فإن الذي لايميز بين الأقوال حسنها وقبيحها ، ليس من أهل العقول الصحيحة ، أو الذي يميز ، لكن لما غلبت شهوته على عقله ، فبقى عقله تابعاً لشهوته ، فلم يؤثر الأحسن كان ناقص العقل .

﴿ **أفمن حق عليه كلمة العذاب . . .** ﴾ أي : أفمن وجبت عليه كلمة العذاب باستمراره على غيه وعناده وكفره ، فإنه لاحيلة لك في هدايته ، ولاتقدر أن تنقذ من في النار لا محالة .

﴿ **لكن الذين اتقوا . . .** ﴾ لكن الغنى ، والفوز كل الفوز للمتقين الذين أعد لهم من الكرامة وأنواع النعيم ، ما لايقادر قدره .

﴿ **لهم غرف** ﴾ أي : منازل عالية مزخرفة ، من حسنها ، وبهائها وصفائها ؛ يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، ومن علوها وارتفاعها ترى كما يرى الكوكب الغابر في الأفق الشرقي أو الغربي ، ولهذا قال : ﴿ **من فوقها غرف** ﴾ أي : بعضها فوق بعض ﴿ **مبنية** ﴾ بذهب وفضة وملاطها المسك الأذفر . .

﴿ **تجري من تحتها الأنهار** ﴾ المتدفقة التي تسقي البساتين الزاهرة ، والأشجار الطاهرة ؛ فتغل أنواع الثمار اللذيذة ، والفاكهة النضيجة .

﴿وعد الله لايخلف الله الميعاد﴾ وقد وعد المتقين هذا الثواب ، فلا بد من الوفاء به فليوفوا بخصال التقوى ، ليوفيهم أجورهم »أ . هـ .(١).

وبعد : أخي الكريم ، فقد ذكرت فيما سبق شيئاً ممايتعلق بالحفظ ، وبينت بعض الأمور المعينة عليه ، ونظراً لأهمية التزام ما أوردته في هذا البحث وضرورته [خاصة لمن أراد حفظ كلام الله عزوجل] رأيت أن أضع برنامجاً لحفظ القرآن يشتمل على بعض القواعد السالف ذكرها .

وهو برنامج « عملي » تستطيع من خلاله - إذا التزمت به ولم تفرط فيه - أن تحفظ كلام الله عزوجل كله مع إتقان الحفظ وإحكامه ومعرفة معاني الآيات وماقيل في تفسيرها إضافة إلى ماتحصله من الأجر العظيم والثواب العميم عند ربك الجواد الكريم في دنياك وأخراك .

والبرنامج على النحوالتالي :

١ - تحفظ كل يوم « صفحة واحدة » فقط من المصحف ، واجعل حفظك بعد صلاة الفجر مباشرة ولا تغادر المسجد إلا بعد طلوع الشمس وبعد أن تصلي ركعتين ، فإنك إن فعلت ذلك حصلت أجراً عظيما وثواباً جزيلاً .

فقد ورد في الحديث « أن من جلس في مصلاه يذكر الله تعالى حتى

---

(١) « تيسير الكريم الرحمن » [٦/ ٤٥٨ - ٤٦١] بتصرف يسير . وموضع الشاهد : ﴿ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .... ﴾

وإنما آثرت إيراد شرح الآيتين بعدها ، لما فيهما من الترغيب والترهيب ، والوعد والوعيد عسى أن يحرك ذلك في قلوبنا ساكناً ؛ فيتنبه الغافل ، وينشط الكسول ، ويتوب العاصي ، ويتذكر الناسي . والله الموفق والهادي إلى سواء الصراط .

تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كتب له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة » (١).

وورد « اللهم بارك لأمتي في بكورها » (٢).

مع مافي هذا الوقت من صفاء الذهن ، وخلوّه من الشواغل والمكدّرات (٣).

٢ - تراجع يومياً وبعد صلاة العشاء مباشرةً وقبل أن تغادر المسجد (٤) ماحفظته في الصباح إضافة لـ « حزب » [كحد أدنى] من الحفظ القديم .

[وعوّد نفسك أن لاتنام إلا بعد المراجعة أياً كانت الظروف] .

٣ - تستيقظ قبيل صلاة الفجر - كل ليلة -بنصف ساعة [كحد أدنى] وتتوضأ وتقف بين يدي الله عزوجل متضرعاً ، ساجداً قائماً .

وتبدأ الركعتين الأوليين بما راجعته قبل نومك [بعد العشاء] وذلك من أقوى مايُثبت الحفظ ثم تكمل بقية الركعات بحفظك القديم .

فإذا قرأت كل ماحفظته وانتهيت منه ، كرّرته وبدأت به في صلاة جديدة . . . وهكذا .

٤ - تحافظ على قراءة « جزء » من المصحف نظراً - وذلك كل يوم -

---

(١) رواه الترمذي وقال : حسن صحيح . وحسنه الألباني وانظر : صحيح الترغيب [٤٦١]

(٢) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان وقال الترمذي : حديث حسن . وانظر لزاما : « الترغيب والترهيب » [٢/ ٥٢٩] فإنه هام .

(٣) فإن شق عليك ذلك فاجعل الصفحة قسمين فاحفظ نصفها بعد الفجر والنصف الثاني بعد العصر أو المغرب .

(٤) وذلك لأن الإنسان ضعيف وربما إذا عاد إلى منزله شُغل بأهله وولده وترك المراجعة مما يؤثر سلباً على مستوى حفظه أو على مداومته في الحفظ والمراجعة .

ولاتفرط في ذلك بحال ؛ فإن له أعظم الأثر في حفظك واستقامتك .

ويمكن أن تقسم الجزء على أوقات الصلوات بدءاً من صلاة الظهر وانتهاءً بصلاة العشاء ، فتقرأ قبيل كل صلاة وبعدها مباشرة [ربعين فقط] فإذا صليت العشاء وجدت نفسك قد انتهيت من قراءة جزء كامل من القرآن دون أي مشقة أو عناء ، ودون الحاجة إلى تخصيص وقت معين للقراءة .

٥ - تخصص وقتاً ثابتاً للتسميع [يومياً أو أسبوعياً] فتقرأ من حفظك على حافظ متقن وذلك فيه تصحيح لما قد يتخلل حفظك من أخطاء ، مع مافيه من إحكام الحفظ وإتقانه .

٦ - حاول أن تقيم حلقة صغيرة [في مسجد الحي الذي تسكنه أو في منزلك] وتعلم فيها غيرك من المسلمين ماحفظته من كلام الله عزوجل-ولو أن يكون ذلك مع إخوتك الصغار أوأبناء الجيران - فذلك مما يعين على إحكام الحفظ وإتقانه ، مع مافيه من الأجر والثواب .

٧ - حاول أن تقرأ تفسير آيات من القرآن [ولو قليلة] - يومياً - وبصفة دائمة ، لأن الفهم طريق الحفظ .

ولو بدأت بتفسير مختصر وانتهيت منه (١) ثم توسعت في كتب التفاسير ، لحصل لك من العلم الشرعي ، والفقه في دين الله عزوجل ، ومعرفة مراده من كلامه ، وماقيل في تفسير آياته ، مالا تتصور حصول عشر معشاره لك قبل أن تقرأ .

ولك أن تعلم أن تفسير « ابن كثير » وهو من أفضل كتب التفاسير

---

(١) كـ « تفسير الجلالين » أو « مختصر ابن كثير » ، لمحمد نسيب الرفاعي .

وأجلها ، تستطيع أن تقرأه بكامله في سنة واحدة إذا داومت على قراءة عشر صفحات فقط كل يوم [بشرط المداومة] .

من ثمرات الإلتزام بهذا البرنامج :

وأنت إذا التزمت بما تقدم ذكره في هذا البرنامج تحصل فوائد عظيمة ، وثماراً يانعة ، ومن ذلك مايلي :

١ - تحفظ القرآن كله « حفظاً جيداً متقناً » في أقل من ثلاث سنوات .

٢ - تختم القرآن كله « قراءة » مرة كل شهر .

٣ - تدرك فضيلة قيام الليل ، وتحصل ثوابها ، وتظفر بنزول الرب تبارك وتعالى حين يبقى ثلث الليل الآخر فإذا نادى : « هل من داع فأستجيب له ، هل من تائب فأتوب عليه ، هل من سائل فأعطيه . . . »

كنت أنت بين يديه راكعاً ساجداً ، خاشعاً متضرعاً ، تسأله حاجتك فيهبها لك ، وتستغفره من ذنوبك فيغفرها لك ، وتدعوه فيستجيب لدعائك . فياله من فضل عظيم وثواب عميم .

٤ - تدرك فضيلة « صلاة الفجر » في الجماعة ، وتحصل على أجر قيام ليلة كاملة كما في الحديث الصحيح . فإذا كان حفظك بعد الفجر في المسجد حتى تطلع الشمس وصليت ركعتين كتب لك أجر حجة وعمرة كما تقدم .

٥ - إتقان حفظك للقرآن وإحكامه ، وذلك لكثرة مراجعتك له ، وتسميعك إياه لغيرك ، وصلاتك في الليل به .

٦ - تكون على علم بمعاني آيات القرآن كلها ، ومعرفة بما قاله أهل العلم في تفسيرها ، فإذا قرأت القرآن أو سمعته خشع قلبك ، وحصل

لك من الفهم والتدبر وزيادة الإيمان مالايحصل لغيرك .

٧ - أن تُحصّل ما لاعدَّ له ولاحصر من الثواب والحسنات ، والأجر العظيم عند الله تعالى ، فكل حرف تقرؤه بعشر حسنات [والله يضاعف لمن يشاء] فكم تقرأ كل يوم ، وكم تكرر من آيات في أثناء حفظها وكم تكرر من آيات في أثناء مراجعتك لها وتسميعك إياها . . وكم وكم . . وكل ذلك يُسجّله ملائكةُ الحسنات ، ويُحفَظُ لك عند رب الأرض والسماوات ، وتنعم به في نعيم الجنات ، وترتقي بسببه إلى أعالي الدرجات .

أضف إلى ماتقدم :

٨ - أن الذي يُعلّم غيره كتاب الله عزوجل ، يكون له من الأجر والثواب مثل أجر من علمه [دون أن ينقص من أجره شيئاً] فكلما قرأ حرفاً من القرآن ، كُتِبَ لِمُعَلِّمهِ مِثلُ أجرِهِ وذلك لأن الدّالَ على الخير كفاعله .

جدول للحفظ والمراجعة

وهذا جدول بإمكانك أن تحاسب نفسك عن طريقه ، فتعرف من خلاله مدى التزامها أو تقصيرها في تنفيذ ما تقدم إيراده في هذا البرنامج .

طريقة استخدام هذا الجدول

تكتب ماتم حفظه ومراجعته وقراءته وتسميعه وكذا ماقمت به من تعليم غيرك للقرآن وماقرأته من التفسير وقيامك الليل . . . ثم تُحدّد آخر كل ليلة [بناء على ذلك] النتيجة الإجمالية ، وهل التزمت بما كنت

مكلفاً به أم لا ، فإن وفقت إلى التنفيذ الجيد فاحمد الله عزوجل وواصل السيربجد ونشاط ، وإن كانت الأخرى فأكثر من الإستغفار على تفريطك وتقصيرك في هذه الطاعات وكن عازماً على استدراك مافاتك من فجر غدك . والله المستعان .

جدول تنفيذي لبرنامج الحفظ والمراجعة

اليوم	التاريخ	مقدار الحفظ	صفحات المراجعة	ورد القراءة	مقدار التسميع	قيام الليل	قراءة التفسير	تعليم الغير	النتيجة الإجمالية	ملاحظات

اليوم	التاريخ	مقدار الحفظ	صفحات المراجعة	ورد القراءة	مقدار التسميع	قيام الليل	قراءة التفسير	تعليم الغير	النتيجة الإجمالية	ملاحظات

« كتبٌ يُنصحُ بقراءتها »

[illegible]

« كتبٌ يُنصحُ بقراءتها »

وفي نهاية المطاف ؛ أنصح كل طالب علم مبتدئ باقتناء هذه الكتب وقراءتها والدراسة لبعضها على أيدي المشايخ المتقنين وطلبة العلم المجيدين ، وذلك بعد الانتهاء من حفظ القرآن أو في أثناءه . (١)

(١) في التوحيد :

١ – « الأصول الثلاثة » و« كشف الشبهات» للإمام محمد بن عبدالوهاب .

٢ – « كتاب التوحيد » له ، مع شرحه « فتح المجيد » أو « تيسير العزيز الحميد » .

٣ – « شرح العقيد الواسطية » لمحمد خليل هراس .

٤ – « معارج القبول » للحكمي أو « مختصره » لهشام عبد القادر آل عقدة .

٥ – « شرح العقيدة الطحاوية » لابن أبي العز الحنفي بتحقيق الألباني .

٦ – سلسلة « العقيدة في ضوء الكتاب والسنة » للشيخ عمر سليمان الأشقر وهي نافعة جداً .

(٢) في الفقه :

١ – « فقه السنة » للسيد سابق ومعه « تمام المنة في التعليق على فقه السنة » للألباني .

٢ – « الروضة الندية » لصديق حسن خان .

٣ – « نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار » للشوكاني .

٤ – « المغني » لابن قدامة .

---

(١) ولا ينبغي ترك الحفظ وإهماله ، بدعوى : طلب العلم والدراسة ، فإن الرجل لا يكون عالماً إلا بحفظ نصوص الوحي . من الكتاب والسنة ، وإن أول وأولى ما ينبغي حفظه والاعتناء به : القرآن « كلام الله » .

٥ - « المجموع » للنووى .

(٣) في الحديث :

١ -« رياض الصالحين » للإمام النووي .
٢ - « صحيح الترغيب والترهيب » للألباني .
٣ - « الترغيب والترهيب » للمنذري .
٤ - « جامع العلوم والحكم » لابن رجب الحنبلي .
٥ - « سبل السلام شرح بلوغ المرام » للأمير الصنعاني .
٦ - « تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي » للمباركفوري .
٧ - « فتح الباري شرح صحيح البخادي » لابن حجر العسقلاني .

(٤) في التفسير :

١ - « تفسير الجلالين » جلال الدين السيوطي ، وجلال الدين المحلي .
٢ - « مختصر تفسير ابن كثير» محمد نسيب الرفاعي .
٣ - « تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان » للسعدي .
٤ - « تفسير ابن كثير » لابن كثير .
٥ - « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبي .
٦ - « أضواء البيان » للشنقيطي .

(٥) في التاريخ والسير والتراجم :

١ - « الرحيق المختوم » للمباركفوري .
٢ - « السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة » لمحمد أبو شهبة .
٣ - « السيرة النبوية » لابن هشام مع « الروض الأنف » للسهيلي .
٤ - « زاد المعاد في هدي خير العباد » ابن القيم .
٥ - « البداية والنهاية » لابن كثير .
٦ - « تذكرة الحفاظ » للذهبي .

(٦) في النحو وقواعد الإعراب :

١ - « المقدمة الاجرومية » وشرحها « التحفة السنية » .

٢ - « قطر الندى » لابن هشام .
٣ - « شرح ابن عقيل » على ألفية ابن مالك .

(٧) في مصطلح الحديث :

١ - « تيسير مصطلح الحديث » للطحان .
٢ - « نزهة النظر شرح نخبة الفكر » لابن حجر العسقلاني .
٣ - « التقييد والإيضاح» للعراقي .
٤ - « تدريب الراوي » للسيوطي .
٥ - « ألفية السيوطي » في علوم الحديث .

(٨) في أصول الفقه :

١ - « متن الورقات » للجويني .
٢ - « الفقيه والمتفقه » للخطيب البغدادي .
٣ - « مذكرة أصول الفقه » للشنقيطي .
٤- « أصول الفقه » لعبد الوهاب خلاف .
٥ - « روضة الناظر وجنة المناظر » لابن قدامه المقدسي .
٦ - « الإحكام في أصول الأحكام » للأمدى .
٧ - « الموافقات » للشاطبي .

(٩) مفردات اللغة :

١ - « مختار الصحاح » للرازي
٢ - « القاموس المحيط » للفيروز آبادي .
٣ - « لسان العرب » لابن منظور .

(١٠) في الرقائق والأخلاق والآداب :

- « مختصر منهاج القاصدين » لابن قدامة المقدسي .
- « الآداب الشرعية » لابن مفلح .
- « الأذكار » للنووي .
- « الوابل الصيب من الكلم الطيب » لابن القيم .

- « حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح » لابن القيم
- « الفوائد » لابن القيم
- « طريق الهجرتين » لابن القيم .
- « الداء والدواء » لابن القيم.
- « مدارج السالكين » لابن القيم .
- « إغاثة اللهفان » لابن القيم .
- « التخويف من النار » لابن رجب الحنبلي .
- « التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة » للقرطبي .
- « أدب الدنيا والدين » للماوردي .
- « صيد الخاطر » لابن الجوزي .
- « تلبيس إبليس » لابن الجوزي .
- « البحر الرائق في الزهد والرقائق » لأحمد فريد .
- « رهبان الليل » لسيد حسين العفاني .
- « ففروا إلى الله » لأبي ذر القلموني .
- « الطيبات من الرزق » لأبي ذر القلموني .

وفي الأخير أتوجه إلى الله عزوجل بالشكر والحمد والثناء ، أن وفقني لإتمام هذا البحث .

وأسأله سبحانه أن يجعله خالصاً لوجهه ، وأن يتقبله مني في ميزان حسناتي ، وأن يجعله صدقة جارية لي بعد مماتي ، وأن ينفع به من كتبه ومن قرأه ومن أعان على نشره بين المسلمين - آمين .

وأستغفره سبحانه مما قد يكون فيه من خطأ وزلل . . . فإن هذا ديدن البشر ، وهل من معصوم إلا الأنبياء ؟ !

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه .

ورحم الله عبداً أهدى إلي عيوبي .

وما كان في هذا البحث من إصابة وإحسان فمن توفيق الله عزوجل

الوهاب المنان ، وماكان فيه من خطأ وزَلَل فهو من نفسي والشيطان ، والله ورسوله منه بريئان [1]. والحمد لله رب العالمين . . وصلى الله وسلم على رسوله الكريم وآله وصحبه ومن نهج نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين .

تم الفراغ منه ليلة الإثنين ١٨ رمضان سنة ١٤١٤هـ
الموافق ٢٨ فبراير سنة ١٩٩٤م

وكتبه أفقر العبيد إلى ربه الحميد المجيد
أبو الحارث
محمد بن مصطفى بن أحمد بن شعيب

المدينة المنورة
١٤٣٠هـ

(١) أعني : كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقد استشهد بآية أو حديث لمعنى فهمته منهما ثم يتبين أن الصواب خلافه . فالعهدة حينئذ على الفهم السقيم لا على نصوص الوحي الكريم .

قائمة المصادر والمراجع

(أ) مراجع حديثية :

١ – جامع الأصول في أحاديث الرسول بتحقيق الأرناؤوط — ابن الأثير الجزري
٢ – سنن أبي داود — أبو داود السجستاني
٣ – سنن الترمذي — أبو عيسى الترمذي
٤ – سنن النسائي « بحاشيةالسندي والسيوطي » — أبوعبد الرحمن النسائي
٥ – سنن ابن ماجه [بحاشية السندي] — ابن ماجه القزويني
٦ – سنن الدارمي — عبدالله بن عبدالرحن الدارمي
٧ – سلسلة الأحاديث الصحيحة — محمد ناصر الدين الألباني
٨ – شرح السنة بتحقيق الأرناؤوط . — البغوي
٩ – شرح النووي لصحيح مسلم — أبو زكريا النووي
١٠ – صحيح سنن أبي داود — محمد ناصر الدين الألباني
١١ – صحيح سنن الترمذي — محمد ناصر الدين الألباني
١٢ – صحيح الترغيب والترهيب — محمد ناصر الدين الألباني
١٣ – صحيح الجامع الصغير وزيادته . — محمد ناصر الدين الألباني
١٤ – صحيح مسلم . — مسلم بن الحجاج القشيري
١٥ – ضعيف الجامع الصغير وزيادته . — محمد ناصر الدين الألباني
١٦ – فتح الباري بشرح صحيح البخاري — ابن حجر العسقلاني
١٧ – فيض القدير — عبدالرؤوف المناوي
١٨ – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد — نورالدين الهيثمي
١٩ – مستدرك الحاكم و « تلخيص الذهبي » — أبو عبدالله الحاكم
٢٠ – مسند الإمام أحمد — أحمد بن حنبل الشيباني
٢١ – مشكاة المصابيح بتحقيق الألباني — التبريزي

(ب) مراجع أخرى

١ - القرآن الكريم

٢ - إحياء علوم الدين — أبو حامد الغزالي

٣ - أخبار الحمقى والمغفلين — ابن الجوزي

٤ - أخلاق حملة القرآن — الآجري

٥- الأذكار — أبو زكريا النووي

٦ - اقتضاء العلم العمل تحقيق الألباني — الخطيب البغدادي

٧ - إيقاظ الهمم المنتقى من جامع العلوم والحكم — سليم الهلالي

٨ - البحر الرائق في الزهد والرقائق — أحمد فريد

٩ - البرهان في علوم القرآن — بدرالدين الزركشي

١٠ - التبيان في آداب حملة القرآن — أبو زكريا النووي

١١ - تحقيق النصوص ونشرها — عبد السلام هارون

١٢ - تذكرة السامع والمتكلم بآداب العالم والمتعلم — ابن جماعة الكناني

١٣ - الترغيب والترهيب — المنذري

١٤ - تصحيفات المحدثين — أبو محمد العسكري

١٥ - تعليم المتعلم طرق التعلم — الزرنوجي

١٦ - تفسير الجلالين — السيوطي ،المحلى

١٧ - تفسير القرآن العظيم — ابن كثير

١٨ - تقييد العلم — الخطيب البغدادي

١٩ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان — عبدالرحمن السعدي

٢٠ - الجامع لأحكام القرآن — القرطبي

٢١ - جامع بيان العلم وفضله — ابن عبدالبر

٢٢ - الجامع في الحث على حفظ العلم [لأبي هلال العسكري ، والخطيب البغدادي ، وابن عساكر ، وابن الجوزي] — تحقيق محمود الحداد

٢٣ - الداء والدواء — ابن القيم

٢٤- دليل الفالحين شرح رياض الصالحين ابن علان
٢٥ - رهبان الليل . سيد حسين العفاني
٢٦ - رياض الصالحين - تحقيق الأرناؤوط النووي
٢٧ - الزواجر عن اقتراف الكبائر ابن حجر الهيتمي
٢٨ - سوانح وتأملات في قيمة الزمن خلدون الأحدب
٢٩- سير أعلام النبلاء الذهبي
٣٠ - فضائل القرآن ابن كثير
٣١ - صيد الخاطر ابن الجوزي
٣٢ - فضل العلم وآداب طلبته وطرق تحصيله وجمعه محمد سعيد رسلان
٣٣ - الفقيه والمتفقه الخطيب البغدادي
٣٤ - الفوائد ابن القيم
٣٥ - فيض الرحيم الرحمن في أحكام ومواعظ رمضان عبدالله الطيار
٣٦ - القواعد الذهبية لحفظ القرآن عبدالرحمن عبدالخالق
٣٧ - الكلم الطيب - تحقيق الألباني أحمد بن تيمية
٣٨ - لسان العرب ابن منظور
٣٩ - لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ابن رجب الحنبلي
٤٠ - مجالس شهر رمضان محمد بن صالح العثيمين
٤١ - مختار الصحاح محمد بن أبي بكر الرازي
٤٢ - مجموع فتاوى ابن تيمية أحمد بن تيمية
٤٣ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز عبدالحق بن غالب الأندلسي
٤٤ - مختصر منهاج القاصدين - تحقيق علي حسن عبدالحميد أحمد عبدالرحمن المقدسي
٤٥ - مع القرآن وحملته في حياة السلف الصالح . عبيد بن أبي نفيع الشعبي
٤٦ - مناهل العرفان في علوم القرآن الزرقاني
٤٧ - النبذ المستطابة في الدعوات المستجابة سليم الهلالي
٤٨ - نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء . محمد عقيل موسى

٤٩ – النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة — محمد اسماعيل
٥٠ – الوابل الصيب من الكلم الطيب — ابن القيم